عدنان الطرشة

الطبعة العاشرة

ماذا يحب



وماذا يبغض..؟

العبيكان
Obeikan

عدنان الطرشة

ماذا يحب الله جل جلاله

وماذا يبغض..؟

العبيكان
Obeikan

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الطرشة، عدنان

ماذا يحب الله جل جلاله وماذا يبغض./ عدنان الطرشة.- ط١٠.- الرياض، ١٤٣٤هـ

٣١٦ ص؛ ١٦,٥ × ٢٤ سم.

ردمك: ٢-٤٧٢-٥٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- الوعظ والإرشاد ٢- المعاصي والذنوب أ. العنوان

ديوي ٢١٣ ٢٣٩٠ / ١٤٣٤

الطبعة العاشرة

١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م

الناشر العبيكان للنشر

المملكة العربية السعودية - الرياض - المحمدية - طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول

هاتف: 4808654 فاكس: 4808095 ص.ب: 67622 الرياض 11517

موقعنا على الإنترنت

www.obeikanpublishing.com

متجر العبيكان على أبل

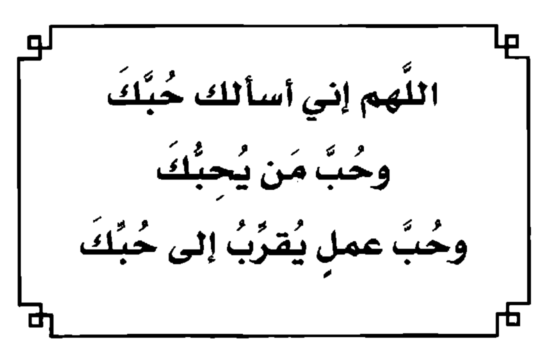
http://itunes.apple.com/sa/app/obeikan-store

امتياز التوزيع شركة مكتبة العبيكان

المملكة العربية السعودية - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع شارع العروبة

هاتف: 4160018 /4654424 - فاكس: 4650129 ص. ب: 62807 الرياض 11595


بسم الله الرحمن الرحيم


اللَّهم إني أسألك حُبَّكَ
وحُبَّ مَن يُحِبُّكَ
وحُبَّ عملٍ يُقرِّبُ إلى حُبِّكَ

المقدمة



إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

الحمد لله الذي سبقت رحمته غضبه، وسبقت محبته بغضه، وسبق رضاه كرهه، لا إله إلا هو، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن؛ لا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.

عندما قيض الله - سبحانه وتعالى - لي الأسباب والظروف للبدء في تأليف هذا الكتاب **«ماذا يحب الله -جل جلاله- وماذا يبغض»**، توقعت في البداية أنها ستكون بضعة آيات وأحاديث ذُكر فيها حب الله، أو بغضه لأشخاص معينين أو لأشياء أو أمور معينة، ولكن ما إن بدأت حتى وجدت أن هناك مشروعًا ضخمًا أمامي، فلم أيأس.. فقد وجدت عونًا كبيرًا لي من الله - تبارك وتعالى - الذي يسر لي البحث والتنقيب والقراءة والاستنباط وغير ذلك مما احتجته في تأليف هذا الكتاب، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

يحتوي الكتاب على أكثر من مئة وخمسين موضوعًا مختلفًا، كل منها يصلح أن يكون خطبة جمعة، أو محاضرة، أو درسًا دينيًا، أو كتابًا ونحو ذلك..

ولا بد لي من أن أنوه بأنه إلى جانب آيات القرآن الكريم، فإنني لم أعتمد في تأليفه إلا على الأحاديث التي صحت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

وقد أثنى معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية على الكتاب وقال في حقه كلمة بليغة وهي: **«لم يسبق لي أن رأيت مثل**

هذا الجمع». فأرجو من الله تعالى أن يكون فعلاً فريدًا في هذا الجمع ومرجعًا في كل ما يحبه الله تعالى ويبغضه.

أما الهدف من تأليفه؛ فلأجل أن يتعرف الإنسان كائنًا مَن كان على مَن يحبهم الله، فيعمل من أجل أن يكون واحدًا منهم، حتى يكون له الفوز والنجاة في الدنيا والآخرة، فقد كان رسول الله ﷺ نفسه يدعو الله تعالى فيقول: «**اللهم... وأسألك حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقرِّب إلى حبك**»[1]. ويتعرف كذلك على من يبغضهم الله، فيحرص على تجنب ما يجعله منهم، وعلى الأعمال التي يبغضها الله، فيتجنبها حتى لا تكون له الخسارة والعذاب في الدنيا والآخرة، وقد كان رسول الله ﷺ يدعو الله تعالى ويتعوَّذ به قائلاً: «**اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء**»[2].

أرجو من الله العلي القدير أن ينفع بهذا الكتاب المسلمين، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجعله من العلم الذي يُنتَفع به، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم الحساب والعرض عليه، إنه أكرم مأمول وبالإجابة جدير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم تسليمًا.

عدنان الطرشة

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٥٨٢.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٨٤٠.



ما يحب الله من العبادات

ما يحب الله من العبادات

أحب الأعمال إلى الله إيمان بالله

قال رسول الله ﷺ: **«أحب الأعمال إلى الله إيمان بالله»**[1].

الإيمان بالله:

الإيمان بالله هو التوحيد، أي؛ إفراد الله بالعبادة وهو ثلاثة أنواع:

١- **توحيد الألوهية:** وهو توحيد الله بأفعال العباد كالصلاة، والذبح، والنذر، والدعاء، والرجاء، والخوف، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والإنابة، والاستغاثة، والاستعانة.

٢- **توحيد الربوبية:** وهو توحيد الله بأفعاله كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، والبعث.

٣- **توحيد الأسماء والصفات:** وهو الإيمان بكل ما ورد في القرآن الكريم، والأحاديث الصحيحة؛ من أسماء الله، وصفاته التي وصف بها نفسه، أو وصفه بها رسوله ﷺ على الحقيقة، وعدم التعرض لها بشيء من التكييف، أو التمثيل، أو التشبيه، أو التأويل، أو التحريف، أو التعطيل. واعتقاد أن الله ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[2]. قال الله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)**﴾[3].

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٦٦.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٣) سورة الإخلاص.

أحب الأعمال إلى الله صلة الرحم

قــال رســول اللــه ﷺ: «**أحــب الأعمــال إلــى اللــه إيمــان باللــه، ثــم صلــة الرحم**»[1].

صلـة الرحـم[2]: قال رســول الله ﷺ: «**إن الله خلـق الخلق، حتــى إذا فرغ من خلقــه قالــت الرحــم هذا مقــام العائذ بك من القطيعــة، قال: نعم، أمــا ترضين أن أصــل مــن وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب. قال: فهو لك**. قال رســـول الله ﷺ: فاقرؤوا إن شـــئتم ﴿ فَهَلْ عَسَــيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِــدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾[3]»[4]. قال العلماء: وحقيقة الصلة العطف والرحمة، فصلة الله ـ سبحانه وتعالى ـ عبارة عن لطفه بهم ورحمته إياهم وعطفه بإحسانه ونعمه أوصلتهم بأهل ملكوته الأعلى وشــرح صدورهم لمعرفته وطاعته. وقال ﷺ: «**من أحب أن يُبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره، فليصل رحمه**»[5].

قال القرطبي: «الرحم على وجهين: عامة وخاصة، فالعامة رحم الدين، ويجب مواصلتها بملازمــة الإيمان والمحبة لأهله ونصرتهــم، والنصيحة وترك مضارتهم والعدل بينهم، والنَّصَفة في معاملتهم والقيام بحقوقهم الواجبة، كتمريض المرضى، وحقوق الموتى من غســلهم والصلاة عليهــم ودفنهم، وغير ذلك من الحقوق المترتبة لهم. وأما الرحم الخاصة وهي رحم القرابة من طرفي الرجل أبيه وأمه، فتجب لهم الحقوق الخاصة وزيــادة، كالنفقة وتفقد أحوالهم، وترك التغافل عن تعاهدهم في أوقات ضروراتهم، وتتأكد في حقهم حقوق الرحم العامة، حتى إذا تزاحمت الحقوق بُدِئ بالأقرب فالأقرب».

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٦٦.

(٢) راجــع: الجامــع لأحــكام القــرآن للقرطبــي ١٦/١٦٤، وشــرح صحيــح مســلم للنــووي ١٦/١١٢-١١٣، وفتح الباري للعسقلاني ١٠/٤١٨.

(٣) سورة محمد، الآية: ٢٢.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: من وصل وصله الله.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: من بسط له في الرزق بصلة الرحم.

وقال ابن أبي جمرة: «تكون صلة الرحم بالمال، وبالعون على الحاجة، وبدفع الضرر، وبطلاقة الوجه، وبالدعاء. والمعنى الجامع إيصال ما أمكن من الخير، ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة، وهذا إنما يستمر إذا كان أهل الرحم أهل استقامة، فإن كانوا كفارًا أو فجارًا فمقاطعتهم في الله هي صلتهم، بشرط بذل الجهد في وعظهم، ثم إعلامهم إذا أصروا أن ذلك بسبب تخلفهم عن الحق، ولا يسقط مع ذلك صلتهم بالدعاء لهم بظهر الغيب أن يعودوا إلى الطريق المثلى».

أحب الأعمال إلى الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال رسول الله ﷺ: **«أحب الأعمال إلى الله إيمان بالله، ثم صلة الرحم، ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»**[1].

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2]:

قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[3].

المعروف: جميع الطاعات، وسميت معروفًا؛ لأنها تعرفها العقول السليمة والفطر المستقيمة، وتقرها الشرائع السماوية، وأول المعروف وأعظمه عبادة الله وحده لا شريك له، وإخلاص العبادة له وترك عبادة ما سواه. وبعد ذلك سائر الطاعات من واجبات ومستحبات كلها تدخل في نطاق المعروف، فكل ما أمر الله تعالى به أو أمر به رسوله ﷺ فإنه معروف.

المنكر: كل ما نهى الله تعالى عنه ورسوله، فجميع المعاصي كبائرها وصغائرها منكر؛ لأنها تنكرها العقول السليمة والفطر المستقيمة، وتنكرها الشرائع السماوية، وأعظم المنكر الشرك بالله -عز وجل-.

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٦٦.

(٢) راجع: وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن باز، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للفوزان.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

وجميع الرسل الذين بعثهم الله تعالى دعوا الناس إلى توحيد الله، الذي هو أعظم المعروف، ونهوا الناس عن الشرك بالله، وهو عبادة غير الله جل وعلا أو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله سبحانه، الذي هو أعظم المنكر، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[1]، وكما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[2].

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرق بين المؤمنين والمنافقين، وهو أخص أوصاف المؤمن. وهناك مراتب ثلاث للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بيَّنها رسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام: **«من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»**[3].

كذلك هناك ثلاث صفات ينبغي أن يتحلى بها الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر وهي:

الصفة الأولى: العلم: أن يكون عالمًا بالمعروف الذي يأمر به، والمنكر الذي ينهى عنه.

الصفة الثانية: الرفق: أن يكون رفيقًا حكيمًا بما يأمر به وفيما ينهى عنه، قال المصطفى ﷺ: **«إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه»**[4].

الصفة الثالثة: الصبر: أن يكون صبورًا على الأذى. كما حكى الله سبحانه عن وصية لقمان الحكيم لابنه ليمتثلها الناس ويقتدوا بها؛ لأنها وصية نافعة: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾[5].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب: فضل الرفق.

(٥) سورة لقمان، الآية : ١٧.

فالعلـم يكون قبل الأمر والنهي، والرفـق يكون في حالة الأمر والنهي، والصبر يكون بعد الأمر والنهي.

أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة

قال رسول الله ﷺ: «أحب الأديان إلى الله تعالى الحنيفية السمحة»[1].

أحـب الأديان، أي؛ خصـال الدين؛ لأن خصال الدين كلها محبوبة، لكن ما كان منها سـمحًا - أي سهلاً - فهو أحب إلى الله. والمراد بالأديان الشرائع الماضية قبل أن تبدل وتنسخ.

الحنيفية: هي ملة إبراهيم، والحنيف في اللغة من كان على ملة إبراهيم، وسمي إبراهيـم حنيفًا لميله عن الباطـل إلى الحق؛ لأن أصل الحنف الميل، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْـلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[2]، فقد ادَّعـى كل فريق من اليهود والنصارى أن إبراهيم كان على دينه، فأكذبهم الله تعالى بأن اليهودية والنصرانية إنما كانتا من بعده؛ ونزهه الله تعالى من دعاويهم الكاذبة، وبـيَّن أنه كان على الحنيفية الإسـلامية ولم يكن مشـركًا. والحنيف: هو المائل عن الشرك قصدًا، أي؛ تاركًا له عن بصيرة ومقبل على الحق بكليته لا يصده عنه صاد، ولا يرده عنه راد.. وهو الذي يوحد ويحج ويضحي ويختتن ويستقبل القبلة. وقال أبو قلابة: الحنيف الذي يؤمن بالرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم. وقال قتادة: الحنيفية شـهادة أن لا إله إلا الله يدخل فيها تحريم الأمهات والبنات والخالات والعمَّات وما حرم الله -عزَّ وجلَّ- والختان.. والمسلم: المتذلل لأمر الله تعالى المنطاع له..

السـمحة: السـمحة هي السـهلة، أي؛ أنها مبنية على السهولة، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾[3]، فدين الإسـلام ذو يسـر بالنسـبة إلى الأديـان قبله؛ لأن الله رفع عن هذه الأمـة الإصر الذي كان على من

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٦٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٧.

(٣) سورة الحج، الآية: ٧٨.

قبلهم. ومن أوضح الأمثلة له أن توبتهم كانت بقتل أنفسهم، وتوبة هذه الأمة بالإقلاع والعزم والندم[1]. قال رسول الله ﷺ: **«إن الدين عند الله الحنيفية المسلمة لا اليهودية، ولا النصرانية، ولا المجوسية»**[2].



أحب الأشياء إلى الله الفرائض

قال رسول الله ﷺ: **«إن الله قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب. وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه»**[3]. وقوله **«من عادى لي وليًا»** المراد بولي الله العالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته.

الفرائض: دخل تحت هذا اللفظ جميع فرائض العين والكفاية والفرائض الظاهرة:

فعلاً: كالوضوء والصلاة والزكاة وصدقة الفطر والصيام والإحرام والحج والجهاد في سبيل الله.

وتركًا: كالزنا والقتل وشرب الخمر والربا وأكل لحم الخنزير وغيرها من المحرمات والفواحش ما ظهر منها وما بطن.

وباطنًا: كالعلم بالله والحب له والتوكل عليه والخوف منه وغير ذلك.

فالفرائض هي الأصل الذي ترجع إليه جميع الفروع والأمر بها جازم يتضمن أمرين: الثواب على فعلها، والعقاب على تركها.

وأداء الفرائض أحب الأعمال إلى الله تعالى وأشد تقريبًا إليه. وفي الإتيان بالفرائض على الوجه المأمور به امتثال الأمر واحترام الآمر وتعظيمه بالانقياد إليه وإظهار عظمة الربوبية وذل العبودية فكان التقرب بذلك أعظم العمل[4].

---

(١) راجع: فتح الباري للعسقلاني ١/٩٣-٩٤، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤/٦٩-٧٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/١٩٢، ٥٧٢.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٣٠٥٨.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: التواضع.

(٤) راجع: فتح الباري للعسقلاني ١١/٣٤٣.

أحب العمل إلى الله الصلاة على وقتها

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة على وقتها**»[1].

الصلاة على وقتها: إن لكل صلاة من الصلوات الخمس وقت محدد إذا خرج فقد فاتت الصلاة، والله ـ عزَّ وجلَّ ـ يحب أن تُصلَّى الصلاة في وقتها المحدد لا أن تُصلَّى قضاءً في غير وقتها. قال ابن بطال: فيه أن البدار إلى الصلاة في أول أوقاتها أفضل من التراخي فيها؛ لأنه إنما شرط فيها أن تكون أحب الأعمال إذا أقيمت لوقتها المستحب... وقال الطبري: إن من ضيَّع الصلاة المفروضة حتى يخرج وقتها من غير عذر مع خفة مؤنتها عليه وعظيم فضلها فهو لما سواها أضيع[2].

فإخراجها عن وقتها محرم، وقد قال الله تعالى: ﴿**فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ**﴾[3]. ﴿**لِّلْمُصَلِّينَ**﴾ الذين هم من أهل الصلاة وقد التزموا بها ثم هم عنها ساهون، إما عن فعلها بالكلية، وإما عن فعلها في الوقت المقدر لها شرعًا فيخرجها عن وقتها بالكلية. عن ابن عباس قال: الذين يؤخرونها عن أوقاتها. وعن أبي العالية: لا يصلونها لمواقيتها، ولا يتمون ركوعها ولا سجودها.. ﴿**عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ**﴾ إما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخره دائمًا أو غالبًا، وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به. وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها[4].



أحب العمل إلى الله بر الوالدين

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله عزَّ وجلَّ؟ قال: «**الصلاة على وقتها**». قال: ثم أي؟ قال: «**ثم بر الوالدين**»[5].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب: فضل الصلاة لوقتها.

(٢) فتح الباري ٢/٩، ٦/٤.

(٣) سورة الماعون، الآيتان: ٤-٥.

(٤) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٥٩٢، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠/١٤٤.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: البر والصلة.

بر الوالدين[1]: أخبر ﷺ أن بر الوالدين أحب الأعمال إلى الله بعد الصلاة التي هي أعظم دعائم الإسلام بعد الشهادتين. ورتب ذلك بـ (ثم) التي تعطي الترتيب والمهلة.

قال الله تعالى: ﴿ **وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا** ﴾[2].

﴿ **وَقَضَى** ﴾ أي؛ أمر وألزم وأوجب.. أمر الله سبحانه بعبادته وتوحيده، وجعل بر الوالدين مقرونًا بذلك، كما قرن شكرهما بشكره فقال: ﴿ **أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ** ﴾[3].. والمعنى: قلنا له أن اشكر لي ولوالديك. قيل: الشكر لله على نعمة الإيمان، وللوالدين على نعمة التربية. وقال سفيان بن عيينة: من صلَّى الصلوات الخمس فقد شكر الله تعالى، ومن دعا لوالديه في أدبار الصلوات فقد شكرهما... قال العلماء: فأحق الناس بعد الخالق المنان بالشكر والإحسان والتزام البر والطاعة له والإذعان مَن قرن الله الإحسان إليه بعبادته وطاعته وشكره بشكره وهما الوالدان.

ومن البر بهما والإحسان إليهما ألا يتعرض لسبهما ولا يعُقُّهما؛ فإن ذلك من الكبائر بلا خلاف، وبذلك وردت السنة الثابتة؛ قال ﷺ: «**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه**» قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟، قال: «**يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه**»[4].

ومن الإحسان إليهما والبر بهما إذا لم يتعين الجهاد ألا يجاهد إلا بإذنهما؛ فقد قال رجل للنبي ﷺ: أجاهد؟ قال: «**لك أبوان؟**» قال: نعم. قال: «**ففيهما فجاهد**»[5]. ومن برهما أن ينفق عليهما إذا احتاجا، فقد قال رجل للنبي ﷺ: يا رسول الله! إن لي مالاً وولدًا، وإن أبي يريد أن يجتاح مالي. فقال ﷺ: «**أنت ومالُكَ**

---

(١) راجع: تفسير الآيات في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢٠/٥، ١٠/١٥٥-١٦٠، ١٤/٤٣-٤٥.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣-٢٤.

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٤.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: لا يسب الرجل والديه.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: لا يجاهد إلا بإذن الأبوين.

لأبيك»[1]. ومن برهما بعد موتهما الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما بعدهما وإكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا رحم للولد إلا من قبلهما.

ومن البـر بالوالدين أن يقابلهما بالقول الموصوف بالكرامة، وهو السـالم عن كل عيـب. وقـد قال النبي ﷺ: «**رَغِـمَ أنفه ثم رغـم أنفه ثم رغم أنفـه**» قيل: مَن يا رسـول اللـه؟ قال: «**مـن أدرك والديه عنـد الكبر أحدهمـا أو كليهما ثـم لم يدخل الجنة**»[2]. فالسعيد الذي يبادر اغتنام فرصة بِرهما لئلا تفوته بموتهما فيندم على ذلك. والشقي من عقَّهما، لا سيما من بلغه الأمر ببرهما.

ومـن البر بهما ألا ينهرهما بل يخاطبهما بالقـول اللّيِّن اللطيف، مثل: يا أبتاه ويا أماه، من غير أن يسميهما ويُكَنِّيهما... وأن يشفق بهما ويتذلل لهما تذلل العبيد للسـادة.. وأن يترحم عليهما ويدعـو لهما، وأنْ يرحمهما كما رحمـاه ويرْفُق بهما كما رَفَقا به؛ إذ وَلِياه صغيرًا جاهلاً محتاجًا فآثراه على أنفسـهما، وأسهرا ليلهما، وجاعا وأشبعاه، وتعريا وكَسَواه، فلا يجزيهما إلا أن يبلغا من الكبر الحد الذي كان فيـه من الصغر، فيلي منهما ما وَلِيا منه، ويكون لهما حينئذ فضل التقدم. وليتذكر العبد شفقة الأبوين وتعبهما في التربية، ليزيده ذلك إشفاقًا لهما وحنانًا عليهما..

وإذا كان الله -عزَّ وجلَّ- قد أمر ببر الوالدين والإحسـان إليهما، فقد نهى في الوقت نفسه عن طاعتهما إذا كانا مشركين وأمرا ولدهما بالشرك أو بمعصية الله، فقال تعالى: ﴿ **وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْـرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَـبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾[3]. فطاعة الوالدين لا تراعى في ركوب كبيرة ولا في ترك فريضة على الأعيان، وتلزم طاعتهمـا في المباحات، والآية دليـل على صلة الأبوين الكافرين بما أمكن من المال إن كانـا فقيرين، وإلانة القول والدعاء إلى الإسـلام برفق ومصاحبتهما في الدنيا بما يحسن.

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ١٨٥٥.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب: تقديم الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها.

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٥.

أحب العمل إلى الله الجهاد في سبيل الله

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال: **«الصلاة على وقتها»**. قال: ثم أي؟ قال: **«ثم بر الوالدين»**. قال: ثم أي؟ قال: **«الجهاد في سبيل الله»**[1].

الجهاد في سبيل الله[2]: قال الله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**[3].

أصل الشراء بين الخلق أن يعوَّضوا عما خرج من أيديهم ما كان أنفع لهم أو مثل ما خرج عنهم في النفع؛ فاشترى الله سبحانه من العباد إتلاف أنفسهم وأموالهم في طاعته، وإهلاكها في مرضاته، وأعطاهم سبحانه الجنة عوضًا عنها إذا فعلوا ذلك. وهو عوض عظيم لا يدانيه المعوَّض ولا يقاس به، فأجرى ذلك على مجاز ما يتعارفونه في البيع والشراء، فمن العبد تسليم النفس والمال، ومن الله الثواب والنوال فسمي هذا شراء.

قوله تعالى: **﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** الآية، بيان لما يقاتل له وعليه.. ولا أحد أوفى بعهده من الله. فأظهروا السرور ببيعكم الذي بايعتم به، والبشارة إظهار السرور في البشرة، وذلك هو الفوز العظيم وهو الظفر بالجنة والخلود فيها.

قال رسول الله ﷺ: «لغَدْوة في سبيل الله أو رَوحة خير من الدنيا وما فيها»[4]. الغدوة المرة الواحدة من الغدو وهو الخروج في أي وقت كان من أول النهار إلى انتصافه، والروحة المرة الواحدة من الرواح وهو الخروج في أي وقت كان من

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: البر والصلة.

(٢) راجع: فتح الباري للعسقلاني ١٤/٦، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨/ ٩٠-٩١، ٨/ ١٦٩-١٧١.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١١١.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب: الغدوة والروحة في سبيل الله.

زوال الشـــمس إلى غروبها، وذلك للجهاد في سبيل الله.. والمراد أن هذا القدر من الثواب خير من الثواب الذي يحصل لمن لو حصلت له الدنيا كلها لأنفقها في طاعة الله.. والحاصل أن المراد تســهيل أمر الدنيا وتعظيم أمر الجهاد، وأن من حصل له من الجنة قدر سوط يصير كأنه حصل له أمر أعظم من جميع ما في الدنيا فكيف بمن حصل منها أعلى الدرجات، والنكتة في ذلك أن سبب التأخير عن الجهاد الميل إلى سبب من أسباب الدنيا فنبه هذا المتأخر أن هذا القدر اليسير من الجنة أفضل من جميع ما في الدنيا...

وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَـبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُـمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِـنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾[1].

﴿مَا لَكُمْ﴾ ((ما)) حرف اســتفهام معناه التقرير والتوبيخ، التقدير: أي شـــيء يمنعكم عــن كذا... ﴿اثَّاقَلْتُـمْ إِلَـى الأَرْضِ﴾ أصله تثاقلتم، قال المفســرون: معناه اثاقلتـم إلى نعيـم الأرض، أو الإقامة فـــي الأرض. وهو توبيخ علـــى ترك الجهاد وعتـــاب على التقاعــد عن المبادرة إلى الخروج، وهو نحو مـــن أخلد إلى الأرض... ﴿أَرَضِيتُـم بِالْحَيَـاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ﴾ أرضيتُم بنعيـــم الدنيا بدلاً من نعيم الآخرة.. عاتبهـــم الله على إيثار الراحة في الدنيا علـــى الراحة في الآخرة، إذ لا تنال راحة الآخرة إلا بنصب الدنيا..

وقال تعالى: ﴿إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَـيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]. وهذا تهديد شــديد ووعيــد مؤكد في ترك النفير.. ووجب بمقتضى هذه الآية النفير للجهاد والخروج إلى الكفار لمقاتلتهم على أن تكون كلمة الله هي العليا.. وإلا فالعذاب الأليم هو في الدنيا باســتيلاء العدو وبالنار في الآخرة.. ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ توعَّد بأن يبدل قومًا لا يقعدون عن الجهاد عند

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٨.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٩.

الاستنفار. كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾[1]، وقد قيل: إن المراد بهذه الآية وجوب النفير عند الحاجة وظهور الكفرة واشتداد شوكتهم.. وقيل: إن الإمام إذا عيَّن قومًا وندبهم إلى الجهاد لم يكن لهم أن يتثاقلوا عند التعيين، ويصير بتعيينه فرضًا على من عيَّنه لا لمكان الجهاد ولكن لطاعة الإمام. والله أعلم.

أحب الأعمال إلى الله كثرة السجود

عن معدان بن أبي طلحة اليعمري قال: لقيت ثوبان مولى رسول الله ﷺ فقلت: أخبرني بعمل أعمله يدخلني الله به الجنة -أو- بأحب الأعمال إلى الله، فسكت، ثم سألته فسكت، ثم سألته الثالثة فقال: سألت عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: **«عليك بكثرة السجود لله، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها خطيئة»**[2].

السجود[3]: هو ركن من أركان الصلاة، ويكون بملامسة الجبهة والأنف للأرض؛ فإذا فعل ذلك المصلي فإنه يكون أقرب ما يكون من ربه، فقد قال رسول الله ﷺ: **«أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء»**[4]، وهذا موافق لقول الله تعالى ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾[5].

وكثرة السجود أحب الأعمال إلى الله لأن السجود لله غاية التواضع والذلة والعبودية لله تعالى، وفيه تمكين أعز أعضاء الإنسان وأعلاها وهو وجهه من التراب الذي يُداس ويمتهن. ولله غاية العزة، وله العزة التي لا مقدار لها؛ فكلما بَعُدْتَ من صفته، قربت من جنته، ودنوت من جواره في داره.

(١) سورة محمد، الآية: ٣٨.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب: فضل السجود والحث عليه.

(٣) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي ٢٠٦/٤، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨٦/٢٠.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود.

(٥) سورة العلق، الآية: ١٩.

ولما كان السـجود أحـب الأعمال إلى الله كان فضلـه عظيمًا، وأجره لا يقدر، وكيف تقدَّر مرافقة النبي ﷺ في الجنة؟! فعن ربيعة بن كعب الأسـلمي قال: كنت أبيت مع رسـول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: «**سل**» فقلت: أسـألك مرافقتك في الجنة، قال: «**أو غير ذلك؟**» قلت: هو ذاك، قال: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**»[1].

ومن فضل السجود أنه «**إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار، أمر الله الملائكة أن يُخرجوا من كان يعبد الله، فيخرجونهم، ويعرفونهم بآثار السجود، وحرَّم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرُجون من النار، فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود**»[2]. قال الله تعالى: ﴿ **سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ** ﴾[3].

ومن فضل السجود أنه جُعل فيه الدعاء، وأن من يجتهد في الدعاء في سجوده جدير وخليق أن يُسـتجاب له، قال رسول الله ﷺ: «**فأما الركوع فعظِّموا فيه الرب عزَّ وجلَّ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقَمِن أن يستجاب لكم**»[4].

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾[5].

أحب الأعمال إلى الله ذكر الله

قال رسـول الله ﷺ: «**أحب الأعمال إلى الله أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله**»[6]. قال الطيبي: رطوبة اللسـان عبارة عن سهولة جريانه، كما أن يبسه، عبارة عن ضده، ثم إن جريان اللسان عبارة عن مداومة الذكر.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب: فضل السجود والحث عليه.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب: فضل السجود.

(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب: النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٩٨.

(٦) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٦٥.

ذكر الله[1]: أصل الذكر التنبه بالقلب للمذكور والتيقظ له. وسُمِّي الذكر باللسان ذكرًا؛ لأنه دلالة على الذكر القلبي؛ غير أنه لما كثر إطلاق الذكر على القول اللساني صار هو السابق للفهم. والمراد ذكر القلب الذي يجب استدامته في عموم الحالات.

وقيل: الذكر هو الإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب في قولها والإكثار منها مثل الباقيات الصالحات وهي «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» وما يلتحق بها من الحوقلة والبسملة والحسبلة والاستغفار ونحو ذلك والدعاء بخيري الدنيا والآخرة، ويطلق ذكر الله أيضاً ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه أو ندب إليه كتلاوة القرآن وقراءة الحديث ومدارسة العلم والتنفل بالصلاة، ثم الذكر يقع تارة باللسان ويؤجر عليه الناطق، ولا يشترط استحضاره لمعناه ولكن يشترط ألا يقصد به غير معناه، وإن انضاف إلى النطق الذكر بالقلب فهو أكمل، فإن انضاف إلى ذلك استحضار معنى الذكر وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى ونفي النقائص عنه ازداد كمالاً، فإن وقع ذلك في عمل صالح مهما فرض من صلاة أو جهاد أو غيرهما ازداد كمالاً، فإن صحح التوجه وأخلص لله تعالى في ذلك فهو أبلغ الكمال.

وقيل: المراد بذكر اللسان الألفاظ الدالة على التسبيح والتحميد والتمجيد، والذكر بالقلب التفكر في أدلة الذات والصفات وفي أدلة التكاليف من الأمر والنهي حتى يطلع على أحكامها، وفي أسرار مخلوقات الله، والذكر بالجوارح هو أن تصير مستغرقة في الطاعات، ومن ثم سمى الله الصلاة ذكرًا فقال تعالى: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾[2].

وقيل: ذكر الله تعالى ضربان: ذكر بالقلب وذكر باللسان. وذكر القلب نوعان: أحدهما وهو أرفع الأذكار وأجلها الفكر في عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته

(١) راجع: فتح الباري للعسقلاني ٢٠٩/١١، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١٥/٢، ١٢١/١٤، ١٢٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٠٢/٣-٥٠٣، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٥/١٧، ومدارج السالكين لابن القيم ٢٩٧/٢-٢٩٩.

(٢) سورة الجمعة، الآية: ٩.

وملكوته وآياته في سماواته وأرضه. والثاني ذكره بالقلب عند الأمر والنهي فيمتثل ما أمر به ويترك ما نهي عنه ويقف عما أشــكل عليه. وأما ذكر اللسان مجردًا فهو أضعف الأذكار ولكن فيه فضل عظيم كما جاءت به الأحاديث.

قــال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُــوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾[1]. أمر الله تعالى عباده بأن يذكروه ويشــكروه، ويكثروا من ذلك على مــا أنعم به عليهم بأنواع النعم وصنوف المنن لما لهم في ذلك من جزيل الثواب، وجميل المآب. وأن يشغلوا ألسنتهم في معظم أحوالهم بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير. وجعل تعالى ذلك دون حد لســهولته على العبد. قال مجاهد: وهذه كلمات يقولهن الطاهر والمحدِث والجنب. وقال: لا يكون ذاكرًا لله تعالى كثيرًا حتى يذكره قائمًا وجالسًــا ومضطجعًا. ولعظم الأجــر فيه قال ابن عباس: إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حــدًّا معلومًــا ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فــإن الله تعالى لم يجعل له حــدًّا ينتهي إليه ولــم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على تركه فقال: ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًــا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ ﴾[2] بالليل والنهار، في البر والبحر والجو، وفي الســفر والحضر، والغنى والفقر، والســقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال. فإذا فعلتم ذلك صلَّى عليكم هو وملائكته.

قال رســول الله ﷺ: **«ألا أنبئكـم بخير أعمالكم وأزكاها عنـد مليككم وأرفعها فــي درجاتكـم، وخير لكم من إنفـاق الذهب والوَرِق، وخير لكم مــن أن تَلْقوا عدوكم فتضربـوا أعناقهـم ويضربـوا أعناقكـم؟»** قالوا: بلى، قال: **«ذِكْرُ اللـه»**. قال معاذ بن جبل: ما شيء أنجى من عذاب الله، من ذكر الله[3].

وقال تعالى: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَــالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾[4]، أي؛ واذكر ربك في نفســك ســرًا وتذللاً وخوفًا

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤١.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٠٣.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٦٨٨.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥.

من الله تعالى، وأن تسـمع نفسك دون غيرك في أوائل النهار وأواخره، ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله. المراد الحض على كثرة الذكر من العبد بالغدو والآصال لئلا يكون من الغافلين. قال المصطفى ﷺ: **«مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت»**[1].

لقـد ذكر اللـه -عزَّ وجلَّ- الذكر فـي آيات كثيرة جدًا في القـرآن؛ في الأمر بـه، والنهي عن ضده وهي الغفلـة، وتعليق الفلاح بالإكثار منـه، والثناء على أهله وحسـن جزائهم، وجعل ذكره للذاكر جزاء لذكره له، وأنه أكبر من كل شـيء، وختم الأعمـال الصالحة به، فختم بـه عمل الصيام، وختم به الحـج، وختم به الصلاة، وختـم به الجمعة، وذكر اختصـاص الذاكرين بالانتفاع بآياته وهـم أولوا الألباب، وذكر مصاحبته لجميع الأعمال واقترانه بها وأنه روحها فإنه سبحانه قرنه بالصلاة والصيـام والحج ومناسـكه بل هو روح الحج ولُبُّه ومقصـوده، وقرنه بالجهاد وأمر بذكره عند ملاقاة الأقران ومكافحة الأعداء.



يحب الله التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير[2]

قال رسـول الله ﷺ: **«أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت»**[3]. وقال ﷺ: **«لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر؛ أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس»**[4].

سـبحان اللـه: أي؛ تعالـى الله وتقدس وتنزه. فالتسـبيح يتضمـن التقديس، والتنزيه من كل سوء ومما لا يليق به سبحانه وتعالى من الشريك والولد والصاحبة،

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب: فضل ذكر الله عزَّ وجلَّ.

(٢) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٢٤، وشرح صحيح مسلم للنووي ٣/١٠١، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠/٢٢٣، ولا إله إلا الله محمد رسـول الله لحمدان الهجادي ٢٢- ٣٠، ومعنى لا إله إلا الله لبدر الدين الزركشـي بتحقيق علي القره داغي ٨٢-٨٣.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الآداب، باب: بيان ما يستحب من الأسماء.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الذكر، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

والتبرئة من النقائص مطلقًا وسمات الحدوث مطلقًا، فهو ذكر عظيم لله تعالى لا يصلح لغيره.

الحمد لله: الحمد معناه الثناء الكامل؛ فهو سبحانه يستحق الحمد بأجمعه إذ له الأسماء الحسنى والصفات العلا. قال رسول الله ﷺ: **«ما أنعم الله على عبد نعمة فقال: الحمد لله، إلا كان الذي أعطاه أفضل مما أخذ»**[1]. قال ابن عباس: الحمد لله هو الشكر لله والإقرار له بنعمته وهدايته وابتدائه وغير ذلك، وقال عليه الصلاة والسلام: **«أفضل الدعاء: الحمد لله»**[2].

قال رسول الله ﷺ: **«الحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض»**[3]. قيل: لو قُدِّر ثوابهما جسمًا لملأ ما بين السماوات والأرض، وسبب عظم فضلهما ما اشتملتا عليه من التنزيه لله تعالى بقوله: (**سبحان الله**)، والتفويض والافتقار إلى الله تعالى بقوله: (**الحمد لله**).

لا إله إلا الله: أي؛ لا معبود بحق إلا الله، وهي كلمة التوحيد والركن الأول من أركان الإسلام وأفضل الذكر، قال رسول الله ﷺ: **«أفضل الذكر: لا إله إلا الله»**[4]. قيل إن هذه الكلمة فيها خاصيتان: إحداهما: أن جميع حروفها جوفية التي يكون مخرج نطقها في الجوف وليس فيها من الحروف الشفهية التي يكون مخرجها من الشفتين مثل: الباء والفاء والميم؛ للإشارة إلى الإتيان بها من خالص جوفه وهو القلب لا من الشفتين. والثانية: أنه ليس فيها حرف ذو نقط بل جميعها متجردة عن النقط؛ إشارة إلى التجرد عن كل معبود سوى الله تعالى.

وهي نفي وإثبات: (لا إله) نفي الألوهية عما سوى الله تعالى، (إلا الله) إثبات الألوهية له -جل جلاله-، فهي نافية جميع ما يُعبد من دون الله سبحانه وتعالى،

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٣٠٦٧.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٦٩٤.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب: فضل الضوء.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٦٩٤.

ومثبتة العبادة لله وحده؛ لأنه تعالى المستحق للعبادة لذاته.. لذا يلزم قائلها أن ينفي بالفعل ما نفاه بالقول، وأن يثبت بالفعل ما أثبته للحق جل وعلا بالقول؛ لأن الهدف ليس النطق باللسان، بل تحقيق المعنى المشتملة عليه هذه الكلمة المباركة.

وهذه الكلمة شعار المسلمين وعنوانهم البارز.. يحقق بها العبد عبوديته للخالق تبارك وتعالى.. إقرارًا وخضوعًا وتمجيدًا له جل وعلا.. بها تشرق النفس وتسمو.. فترتبط بمن خلقها سبحانه وتعالى.. وبها يعلن المرء إسلامه وانضمامه إلى المؤمنين بالله رب العالمين.. والمطيعين أمره.. المتمسكين بحبله المتين.. المعتمدين عليه سبحانه وتعالى.. المفوضين أمرهم له جل وعلا..

الله أكبر: أي؛ أن الله تعالى هو أكبر من كل شيء. ويقال: أبلغ لفظة للعرب في معنى التعظيم والإجلال: الله أكبر، أي؛ صفة بأنه أكبر من كل شيء. قال الشاعر:

رأيت الله أكبر كل شيء محاولة وأكثرهم جنودًا

وكان النبي ﷺ إذا دخل في الصلاة قال: «**الله أكبر**». وقال عمر بن الخطاب: قول العبد الله أكبر خير من الدنيا وما فيها.

يحب الله التسبيح والتعظيم

قال رسول الله ﷺ: «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»[1].

الحبيبتان[2]: الحبيبتان تثنية حبيبة وهي المحبوبة، والمراد أن قائلها محبوب لله.. وخص الرحمن من الأسماء الحسنى للتنبيه على سعة رحمة الله تعالى على عباده حيث يجازي على العمل القليل بالثواب الجزيل، ولما فيها من التنزيه والتحميد والتعظيم... وقوله «خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان» وصفهما بالخفة

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾...

(٢) راجع: فتح الباري للعسقلاني ١١/٢٠٦-٢٠٨، ١٣/٥٤٠-٥٤١، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٧/٤٩.

والثقل لبيان قلة العمل وكثرة الثواب. وقوله «خفيفتان» فيه إشارة إلى قلة كلامهما وأحرفهما ورشاقتهما، والخفة مستعارة للسهولة، وشبه سهولة جريانها على اللسان بما خف على الحامل من بعض الأمتعة فلا تتعبه كالشيء الثقيل، وفيه إشارة إلى أن سائر التكاليف صعبة شاقة على النفس ثقيلة وهذه سهلة عليها مع أنها تثقل الميزان كثقل الشاق من التكاليف.

وقد سئل بعض السلف عن سبب ثقل الحسنة وخفة السيئة، فقال: لأن الحسنة حضرت مرارتها وغابت حلاوتها فثقلت فلا يحملنك ثقلها على تركها، والسيئة حضرت حلاوتها وغابت مرارتها؛ فلذلك خفت فلا يحملنك خفتها على ارتكابها.

وقال ﷺ: **«من قال سبحان الله وبحمده في يوم مئة مرة حُطّت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»**[1].

وقوله **«سبحان الله وبحمده»** معناه تنزيه الله عما لا يليق به من كل نقص، فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل.

وقال عليه الصلاة والسلام: **«ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله»**، قلت: يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام إلى الله، فقال: **«إن أحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده»**[2].

قال النووي: هذا محمول على كلام الآدمي وإلا فالقرآن أفضل وكذا قراءة القرآن أفضل من التسبيح والتهليل المطلق، فأما المأثور في وقت أو حال ونحو ذلك فالاشتغال به أفضل والله أعلم.

قال ابن بطال: هذه الفضائل الواردة في فضل الذكر إنما هي لأهل الشرف في الدين والكمال كالطهارة من الحرام والمعاصي العظام فلا تظن أن من أدمن الذكر وأصر على ما شاءه من شهواته وانتهك دين الله وحرماته أنه يلتحق بالمطهرين المقدسين ويبلغ منازلهم بكلام أجراه على لسانه ليس معه تقوى ولا عمل صالح.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب: فضل التسبيح.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الذكر، باب: فضل سبحان الله وبحمده.

يحب الله دعاء استفتاح الصلاة[1]

قال رســول الله ﷺ: **«إن أحب الكلام إلى الله أن يقول العبد: سـبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمُك، وتعالى جدُّك، ولا إله غيرك»**[2].

سـبحانك اللهم وبحمدك: أي؛ أنزهك تنزيهًا من كل السوء والنقائص، وقيل: تقديره أســبحك تسبيحًا ملتبسًــا ومقترنًا بحمدك، فالباء للملابسة والواو زائدة. وقيل: الواو بمعنى مع، أي؛ أســبحك مع التلبس بحمــدك. وحاصله نفي الصفات السلبية وإثبات النعوت الثبوتية.

وتبارك اسمك: أي؛ كثرت بركة اسمك، إذ وجد كل خيرٍ من ذِكْر اسمك. وقيل: تعاظم ذاتك، أو هو على حقيقته؛ لأن التعاظم إذا ثبت لأسمائه تعالى فأولى لذاته. ونظيره قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾[3].

وتعالى جَدُّكَ: تعالى: تفاعل من العلو، والجد: العظمة، أي؛ علا ورفع عظمتك علــى عظمة غيرك، غايــة العلو والرفع. قال ابن حجــر: أي؛ تعالى غناؤك عن أن ينقصه إنفاق أو يحتاج إلى معين ونصير. وقيل: أي؛ علا جلالك وعظمتك، والجد: الحظ والسعادة والغنى.

ولا إله غيرك: أي؛ لا إله إلا أنت. لا معبود بحق غيرك. أي؛ أنفي الألوهية عما ســواك، وأثبتها لك، وأنفي جميع ما يُعبد من دونك تباركت وتعاليت، وأثبِّت العبادة لك وحدك؛ لأنك سبحانك المستحق للعبادة لذاته.

ويلــزم من قائلهــا أن ينفي بالفعل ما نفاه بالقول، وأن يثبت بالفعل ما أثبته لله -جل جلاله- بالقول؛ لأن الهدف ليس النطق باللســان، بل تحقيق المعنى المشــتملة عليه هذه الكلمة المباركة.

---

(١) راجع: تحفة الأحوذي للمباركفوري ٢/٤٢.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، رقم: ٢٩٣٩.

(٣) سورة الأعلى، الآية: ١.

أحب الصلاة إلى الله قيام ثلث الليل

قال رسـول الله ﷺ: **«أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السـلام، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه»**[(١)].

صلاة داود: كان داود عليه السلام يجم نفسه بنوم أول الليل ثم يقوم في الوقت الذي ينادي الله فيه: هل من سائل فأعطيه سؤله. ثم يستدرك بالنوم ما يستريح به من نصب القيام فـي بقية الليل، وهذا هو النوم عند السـحر، وإنما صارت هذه الطريقة أحب من أجل الأخذ بالرفق للنفس التي يخشـى منها السآمة، وقد قال ﷺ: **«فوالله لا يَمَلُ الله حتى تَمَلُوا»**[(٢)]، والله يحب أن يديم فضله ويوالي إحسانه، وإنما كان ذلك أرفق؛ لأن النوم بعد القيام يريح البدن ويذهب ضرر السهر وذبول الجسم، بخلاف السهر إلى الصباح.

وفيه من المصلحة أيضًا اسـتقبال صلاة الصبح وأذكار النهار بنشـاط وإقبال، وأنه أقرب إلى عدم الرياء؛ لأن من نام السـدس الأخير أصبح ظاهر اللون سـليم القوى فهو أقرب إلى أن يخفى عمله الماضي على من يراه[(٣)].



أحب الصيام إلى الله صيام يوم بعد يوم

قال رسـول الله ﷺ: **«أحب الصيام إلى الله صيام داود، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا»**[(٤)].

صيام داود: عن عبد الله بن عمرو قال: أُخبر رسـول الله ﷺ أني أقول: والله لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشـت، فقلـت له: قد قلته بأبي أنت وأمي. قال: **«فإنـك لا تسـتطيع ذلـك، فصم وافطـر، وقم ونم، وصم من الشـهر ثلاثـة أيام فإن الحسـنة بعشـر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر»**. قلت: إني أطيق أفضل من ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب: من نام عند السحر.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: أحب الدين إلى الله أدومه.

(٣) العسقلاني: فتح الباري ٣/١٦.

(٤) أخرجـه البخـاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: أحب الصلاة إلى اللـه صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود.

قال: **«فصم يومًا وأفطر يومين»**. قلت: إني أطيق أفضل من ذلك. قال: **«فصم يومًا وأفطر يومًا، فذلك صيام داود عليه السلام، وهو أفضل الصيام». فقلت: إني أطيق أفضل من ذلك، فقال النبي ﷺ: «لا أفضل من ذلك»**[1].

قال ابن خزيمة: الدليل على أن صيام داود إنما كان أعدل الصيام وأحبه إلى الله؛ لأن فاعله يؤدي حق نفسه وأهله وزائره أيام فطره بخلاف من يتابع الصوم..[2].

وفي قصة عبد الله بن عمرو هذه من الفوائد بيان رفق رسول الله ﷺ بأمته وشفقته عليهم وإرشاده إياهم إلى ما يصلحهم وحثه إياهم على ما يطيقون الدوام عليه، ونهيهم عن التعمق في العبادة لما يخشى من إفضائه إلى الملل المفضي إلى الترك أو ترك البعض، وقد ذم الله تعالى قومًا لازموا العبادة ثم فرطوا فيها. وفيه الندب إلى الدوام على ما وظفه الإنسان على نفسه من العبادة.. وفيه الإشارة إلى الاقتداء بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام في أنواع العبادات[3].



يحب الله الوتر

قال رسول الله ﷺ: **«إن الله وتر يحب الوتر»**[4].

الوتر[5]: الفرد ومعناه في حق الله تعالى الواحد الذي لا شريك له ولا نظير، واحد في ذاته لا يقبل الانقسام والتجزئة، وواحد في صفاته فلا شبه له ولا مثل، وواحد في أفعاله فلا شريك له ولا معين.. وقيل: إن معنى يحب الوتر تفضيل الوتر في الأعمال وكثير من الطاعات فجعل الصلاة خمساً والطهارة ثلاثًا والطواف

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب: صوم الدهر.

(٢) العسقلاني: فتح الباري ٤/٢٢٤.

(٣) العسقلاني: فتح الباري ٤/٢٢٦.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الذكر، باب: أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها.

(٥) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي ٦/١٧، وفتح الباري للعسقلاني ١١/٢٢٧، وتحفة الأحوذي للمباركفوري ٢/٤٤١.

ســـبعًا والسعي سبعًا ورمي الجمار سبعًا وأيام التشريق ثلاثًا والاستجاء ثلاثًا وكذا الأكفان، وفي الزكاة خمســـة أوسق وخمس أواق من الورق ونصاب الإبل وغير ذلك وجعـــل كثيرًا من عظيم مخلوقاته وترًا منها الســـماوات والأرضـــون والبحار وأيام الأسبوع وغير ذلك.

وقيل: إن معنـــاه منصرف إلى صفة من يعبد الله بالوحدانية والتفرد مخلصًا. وقيل: أي؛ يثيب عليه ويقبله من عامله. قال القاضي: كل ما يناســـب الشـــيء أدنى مناسبة كان أحب إليه مما لم يكن له تلك المناسبة.

وهناك من حمله على صلاة الوتر مستندًا إلى حديث: **«إن الله تعالى وتر يحب الوتـــر، فأوتـــروا يا أهل القرآن»**(١)، ولكن لا يلزم أن يحمل الحديث الأول على هذا بل العموم فيه أظهر.

أحب العمل الصالح إلى الله في الأيام العشر

قال رسول الله ﷺ: **«ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشـــر»**، فقالوا: يا رســـول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: **«ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله، فلم يرجع من ذلك بشيء»**(٢).

الأيام العشـــر: هي العشـــر الأول من شـــهر ذي الحجة، وأنواع العمل في هذه العشر هي:

- **أداء الحـــج والعمـــرة:** وقد قال رســـول الله ﷺ: **«من حج لله فلـــم يـرفث ولم يفســـق رجـــع كيوم ولدتـــه أمـــه»**(٣)، وقال ﷺ: **«العمرة إلـــى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»**(٤).

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٣١.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٦٠٥.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب: فضل الحج المبرور.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب العمرة، باب: العمرة. وجوب العمرة وفضلها.

- **الصيـام**: صيـام هذه الأيام أو ما تيسـر منهـا، قال ﷺ: **«كل عمـل بن آدم يضاعف الحسـنة عشـر أمثالها إلى سبع مئة ضعف، قال الله عزَّ وجلَّ: إلا الصوم فإنـه لـي وأنا أجزي به»**[1]، وبالأخص صيام يـوم عرفة لغير الحاج الذي قال عنه النبي ﷺ: **«صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يُكفِّر السـنة التي قبله والسـنة التي بعده»**[2].

- **ذكـر اللـه**: التكبير (الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد) ورفع الصوت به في المساجد والدور والطرق والأسواق.. والتهليل والتكبير والتحميد والتسبيح.

- **النوافل**: الإكثار من الأعمال الصالحة من نوافل العبادات كالصلاة والصدقة والجهـاد وقراءة القـرآن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر ونحو ذلك، فإنها من الأعمال التي تضاعف في هذه الأيام.

- **صلاة العيد والأضحية**: وهي سـنة أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين فدى الله ولده بذبح عظيم.



أحب السور إلى الله سورة الفلق

عـن عقبـة بن عامر قال: تعلقت بقدم رسـول الله ﷺ فقلت: يا رسـول الله، أقرئني سورة هود وسورة يوسف. فقال لي رسول الله ﷺ: **«يا عقبة بن عامر، إنك لم تقرأ سورة أحب إلى الله عزَّ وجلَّ ولا أبلغ عنده من قل أعوذ برب الفلق»**[3].

سـورة الفلق[4]: سـورة الفلق وهي: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَـرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَـرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**﴾.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصيام، باب: فضل الصيام.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصيام، باب: استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر ويوم عرفة..

(٣) مسند أحمد، رقم: ١٧٣٤٩، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٤) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦١٢/٤، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧٧/٢٠.

﴿ **الْفَلَقِ** ﴾ أي: الصبح، وقيل: الخلق، أمر الله نبيه أن يتعوذ من الخلق كله، وقال كعب الأحبار: الفلق: بيت في جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره. وقيل: هو جب في قعر جهنم عليه غطاء فإذا كشف عنه خرجت منه نار تضج منه جهنم من شدة حر ما يخرج منه. وقيل: الفلق من أسماء جهنم. وقيل: هو كل ما انفلق عن شيء من حيوان وصبح وحب ونوى وماء فهو فلق. وقد اختار البخاري في صحيحه أن الفلق هو فلق الصبح.

﴿ **مِن شَرِّ مَا خَلَقَ** ﴾ أي: من شر جميع المخلوقات بما فيهم جهنم وإبليس وذريته. ﴿ **وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ** ﴾، قال مجاهد: غاسق الليل إذا وقب غروب الشمس. وقيل: إنه الليل إذا أقبل بظلامه. وقيل: إذا وقب: الليل إذا ذهب. وقيل: الغاسق هو القمر؛ وعن عائشة أن النبي ﷺ نظر إلى القمر فقال: «**يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا، فإن هذا هو الغاسق إذا وقب**»[1].

﴿ **وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ** ﴾ أي: السواحر إذا رقين ونفثن في العقد. ﴿ **وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ** ﴾: الحسد هو تمني زوال نعمة المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها، فالحسد شر مذموم، والحاسد عدو نعمة الله. قال بعض الحكماء: بارز الحاسد ربه من خمسة أوجه: أحدها: أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره. وثانيها: أنه ساخط لقسمة ربه، كأنه يقول: لم قسمت هذه القسمة؟ وثالثها: أنه ضاد فعل الله، أي: إن فضل الله يؤتيه من يشاء، وهو يبخل بفضل الله. ورابعها: أنه خذل أولياء الله، أو يريد خذلانهم وزوال النعمة عنهم. وخامسها: أنه أعان عدوه إبليس.

إن سورة الفلق هي إحدى السور الثلاث التي يقال لها المعوذات، وهي: الفلق والناس والإخلاص، قال رسول الله ﷺ: «**أُنزِل -أو أُنزِلت- عليَّ آيات لم يُرَ مثلهن قط: المعوذتين**»[2] والمعوذتين؛ أي: الفلق والناس، وقال ﷺ: «**يا عقبة، ألا أعلمك خير سورتين قرئتا**» فعلمني ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ** ﴾ و﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ** ﴾ قال: فلم

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٦٨١.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة المعوذتين.

يرني سُـــررت بهما جدًا، فلما نزل لصلاة الصبح صلَّى بهما، صلاة الصبح للناس، فلما فرغ رسول الله ﷺ من الصلاة، التفت إليَّ فقال: «**يا عقبة، كيف رأيت؟**»[1].

ففـــي الحديث بيان عظم فضل هاتين الســـورتين اللتين تقــرآن كل يوم مرات متعددة وفي مناسبات مختلفة مثل دبر الصلوات الخمس وفي الصباح والمساء وعند النوم وفي المرض وفي الرقية والتعوذ وغير ذلك.

فأما بعد الصلوات، فقد أمر رسول الله ﷺ بقراءة المعوذتين في عقب الصلوات، قـــال عقبة بن عامر: «**أمرني رســول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذتــين في دبر كل صلاة**»[2]، فمن بين الأذكار التي يقولها المســلم بعد كل فريضة: ســـورة الإخلاص والمعوذتين، ولكن بعد صلاة الفجر والمغرب يكررها ثلاث مرات وهذا هو الأفضل.

وكذلك قراءتها في الصباح والمســـاء؛ عن عبد الله بن خبيب، قال: خرجنا في ليلة مطيرة، وظلمة شـــديدة، نطلب رســـول الله ﷺ يصلي لنا، قال: فأدركته فقال: «**قل**». فلم أقل شيئًا، ثم قال: «**قل**». فلم أقل شيئًا. قال: «**قل**». فقلت: ما أقول؟ قال: **﴿قُـلْ هُوَ اللَّـهُ أَحَدٌ﴾**[3] **والمعوذتين، حين تمســي وتصبح ثلاث مـرات تكفيك من كل شيء**»[4]، أي؛ تدفع عنك من كل سوء، أو تغنيك عما سواها مما يتعوذ به.

أما عند النوم؛ فقد قال رســـول الله ﷺ لعقبة: «**يا عقبة بن عامر، ألا أعلمك ســورًا مــا أنزلت فــي التوراة ولا في الزبــور ولا في الإنجيل ولا فــي الفرقان مثلهن؛ لا يأتــين عليــك ليلة إلا قرأتهن فيها ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَـدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُـلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّـاسِ﴾**» قال عقبة: فما أتت عليَّ ليلة إلا قرأتهن فيها، وحق لي ألا أدعهن وقد أمرني بهن رسول الله ﷺ[5].

وكان رســـول الله ﷺ ينفث على نفســـه بهـــذه المعوذات كل ليلـــة إذا أوى إلى

---

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٢٩٨.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٣٢٤.

(٣) سورة الإخلاص، الآية: ١.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٨٢٩.

(٥) مسند أحمد، رقم: ١٧٣٨٣، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

فراشـــه، فعن عائشـــة: «أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشــه كل ليلة جمع كفيه ثم نفـث فيهمـا فقرأ فيهمـا ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِـرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات»[1].

أمـا عنـد المـرض؛ فعـن عائشـة: «أن رسـول اللـه ﷺ كان إذا اشـتكى يقـرأ علـى نفسـه بالمعـوذات وينفـث، فلمـا اشـتد وجعـه كنـت أقـرأ عليـه وأمسـح بيـده رجـاء بركتهـا»[2]، وعنهـا أيضًـا: «أن النبـي ﷺ كان ينفـث علـى نفسـه -في المرض الذي مات فيه- بالمعوذات، فلما ثقل كنت أنفث عليه بهن، وأمسح بيده نفسه لبركتها»[3]، فسألت الزهري: كيف ينفث؟ قال: كان ينفث على يديه ثم يمسح بهما وجهه.

وأمر رسـول اللـه ﷺ بالتعـوذ بالمعوذتين عنـد الخوف من شـيء، أو عند التغيرات الكونية؛ عن عقبة بن عامر قال: بينا أنا أسـير مع رسـول الله ﷺ، بين الجحفـة والأبواء، إذ غشـيتنا ريح، وظلمة شـديدة، فجعل رسـول الله ﷺ يتعوَّذ بـ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ ويقول: «يا عقبة، تعوَّذ بهما فما تعوَّذ مُتعوِّذ بمثلهما»[4] أي؛ هما أفضل التعاويذ التي يتعوذ بها من شـر المخلوقات والسحر والحسد، ومن شر الوسواس الخناس من شياطين الجن والناس.

يحب الله الكثرة في صلاة الجماعة

قال رسـول الله ﷺ: «وصلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده، وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل، وما كان أكثر فهو أحب إلى الله تعالى»[5].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب: فضل المعوذات.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب: فضل المعوذات.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب: الرقي بالقرآن والمعوذات.

(٤) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٢٩٩.

(٥) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٥١٨.

صلاة الجماعة: صلاة الجماعة هي الصلاة التي يجتمع فيها عدد من المصلين لأداء صلاة من الصلوات الخمس التي فرضها الله -عزَّ وجلَّ- على المسلم المكلف، وكلما اجتمع عدد أكبر في الصلاة كان ذلك أحب إلى الله تعالى؛ ولهذا كانت المساجد أحب البلاد إلى الله؛ لأن فيها يجتمع العدد الأكبر من المصلين؛ ولأجل ذلك جعل الله جلَّ وعلا صلاة الجماعة تفضل على صلاة المنفرد بسبع وعشرين درجة، قال رسول الله ﷺ: «**صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة**»[1].

وقد جعل الله -عزَّ وجلَّ- الجزيل من الأجر والثواب والإكرام للمشي إلى المساجد والعودة منها وانتظار الصلاة والصف الأول وغير ذلك... فقال رسول الله ﷺ: «**أعظم الناس أجرًا في الصلاة أبعدهم فأبعدهم ممشىً، والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجرًا من الذي يصلي ثم ينام**»[2]، وقال ﷺ: «**مَن غدا إلى المسجد وراح أعدَّ الله له نزله من الجنة كلما غدا أو راح**»[3]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطوتاه إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة**»[4]، وقال ﷺ: «**من خرج من بيته متطهرًا إلى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج المحرم**»[5]، وقال ﷺ: «**بشِّر المشَّائين في الظُلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**»[6]، وقال ﷺ: «**لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا لاستهموا عليه**»[7]، وقال ﷺ:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب: فضل صلاة الجماعة.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب: فضل صلاة الفجر في جماعة.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب: فضل مَن غدا إلى المسجد ومَن راح.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: ثواب المشي إلى الصلاة.

(٥) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٥٢٢.

(٦) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٥٢٥.

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب: فضل التهجير إلى الظهر.

«الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه ما لم يُحدث: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه. لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه، لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة»[1].

وقد بيّن لنا رسول الله ﷺ أنه لا يتخلف عن صلاة الجماعة في المسجد خاصة صلاتي الفجر والعشاء إلا المنافقون؛ وأنه ﷺ همَّ بأن يُحرِّق بيوت من لا يخرج إلى الصلاة، فقال ﷺ: **«ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا. لقد هممت أن آمر المؤذن فيقيم، ثم آمر رجلاً يؤم الناس، ثم آخذ شُعلاً من نار فأُحرِّق على مَن لا يخرج إلى الصلاة بعد»**[2]. وما كان يتخلف عن صلاة الجماعة في عهد رسول الله ﷺ إلا منافقون قد عُلِم نفاقهم أو مريض، بل إن كان المريض ليمشي بين رجلين يعتمد عليهما حتى يأتي الصلاة في المسجد.

قال عبد الله بن مسعود: **«من سرَّه أن يلقى الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث يُنادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يُهادى بين الرجلين حتى يُقام في الصف»**[3].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب: مَن جلس في المسجد ينتظر الصلاة، وفضل المساجد.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب: فضل العشاء في الجماعة.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاة الجماعة والتشديد في التخلف عنها.

أحب الجهاد إلى الله كلمة حق لإمام جائر

قال رسول الله ﷺ: «**أحب الجهاد إلى الله كلمة حق تقال لإمام جائر**»[1].

أحب الجهاد: أي؛ من أحب أنواع الجهاد بالمعنى اللغوي العام.

كلمة حق: كلمة حق هي ما أفاد أمرًا بمعروف، أو نهيًا عن منكر؛ من لفظ أو ما في معناه ككتابة ونحوها لإمام ظالم، وإنما صار ذلك أحب الجهاد إلى الله وأفضله؛ لأن مَن جاهد العدو كان مترددًا بين رجاء وخوف لا يدري هل يغلب أو يغلب وصاحب السلطان مقهور في يده، فهو إذا قال الحق وأمره بالمعروف فقد تعرض للتلف وأهدف نفسه للهلاك، فصار ذلك أفضل أنواع الجهاد من أجل غلبة الخوف[2].

إمام جائر: إمام جائر أي؛ ظالم. وظلم الإمام يسري إلى جم غفير، فإذا كفه فقد أوصل النفع إلى خلق كثير بخلاف قتل كافر، والمراد بالإمام: من له سلاطة وقهر.



رضي الله الإسلام دينًا

قال الله تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾[3].

الإسلام[4]: هو شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً.

وهذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٦٨.

(٢) عون المعبود للعظيم آبادي ١١/٣٣٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٤) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٣٦٢، ٢/١٤، ٣/٣١٢.

جعلــه الله تعالى خاتم الأنبياء وبعثه إلى الإنــس والجن فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شــرعه، وكل شــيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً﴾[1] أي؛ صدقًا في الأخبــار وعدلاً في الأوامر والنواهي، فلما أكمل لهم الدين تمت عليهم النعمة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ أي؛ فارضوه أنتم لأنفســكم فإنه الدين الــذي أحبه ورضيه وبعث به أفضل الرسل الكرام، وأنزل به أشرف كتبه.

ولم يكتف الله تعالى بالرضا بالإسلام دينًا، بل وعد تعالى بأن يمكّن الإسلام في الأرض فقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْــرِكُونَ بِي شَــيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْــدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[2].

وقــد فعــل الله - تبارك وتعالى - ما وعد به من التمكين للإســلام وله الحمد والمنة؛ فبداية كان رســول الله ﷺ في مكة بمفــرده، ثم أصبح معه نفر قليل وظلوا بمكة نحوًا من عشــر ســنين يدعون إلى الله وحده وإلى عبادته وحده لا شريك له ســرًا؛ وهم خائفون لا يؤمرون بالقتال، حتى أمروا بالهجــرة إلى المدينة فقدموها فأمرهم الله بالقتال.. ولم يمت النبي ﷺ حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وســائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها، وأخــذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشــام، وهاداه هرقــل ملك الروم وصاحب مصر وإســكندرية وهو المقوقس، وملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة.

ثم لما مات رســول الله ﷺ واختار الله له ما عنده من الكرامة قام بالأمر بعده خليفتــه أبو بكر الصديق فلمَّ شــعث مــا وهى بعد موته ﷺ وأخــذ جزيرة العرب ومهدها وبعث جيوش الإسلام إلى بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد رضي الله عنه ففتحوا

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٥.

(٢) سورة النور، الآية: ٥٥.

طرفًا منها؛ وجيشًا آخر صحبة أبي عبيدة رضي الله عنه ومن اتبعه من الأمراء إلى أرض الشام، وثالثًا صحبة عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى بلاد مصر؛ ففتح الله للجيش الشامي في أيامه بصرى ودمشق ومخاليفهما من بلاد حوران وما والاها. ومنَّ على أهل الإسلام بأن ألهم الصديق أن يستخلف عمر الفاروق فقام بالأمر بعده قيامًا تامًا لم يدر الفلك بعد الأنبياء على مثله في قوة سيرته وكمال عدله. وتم في أيامه فتح البلاد الشامية بكمالها وديار مصر إلى آخرها وأكثر إقليم فارس. وكسر كسرى وتقهقر إلى أقصى مملكته، وقسر قيصر وانتزع يده عن بلاد الشام وانحدر إلى القسطنطينية؛ وأنفق أموالهما في سبيل الله، كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله؛ عليه من ربه أتم سلام وأزكى صلاة.

ثم لما كانت الدولة العثمانية امتدت الممالك الإسلامية إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها؛ ففتحت بلاد المغرب إلى أقصى ما هنالك الأندلس وقبرص؛ وبلاد القيروان وبلاد سبتة مما يلي البحر المحيط ومن ناحية المشرق إلى أقصى بلاد الصين؛ وقتل كسرى وباد ملكه بالكلية؛ وفتحت مدائن العراق وخراسان والأهواز وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جدًا؛ وخذل الله ملكهم الأعظم خاقان، وجبي الخراج من المشارق والمغارب إلى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه الأمة على حفظ القرآن؛ وقد قال رسول الله ﷺ: **«إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوِيَ لي منها»**[1]. وها نحن نتقلب فيما وعد الله تعالى به حيث دخل الإسلام جميع بلدان العالم ومدنها، والخير والفتوحات والنصر للإسلام سيستمر بإذن الله تعالى إلى ما شاء الله كما أخبر الله -عزَّ وجلَّ- بذلك، وكما بشَّر رسوله ﷺ حيث قال: **«ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزًا يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر»**[2].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم: ٣.

فــلا أحد ولا جماعة ولا دولة ولا أكبــر من ذلك ولا أصغر بقادر على أن ينزع الإســلام من الأرض أو يخمده أو يقضي عليه أو ما شــابه ذلك، ومَن يحاول ذلك فمثله كمثل من يريد أن يطفئ شــعاع الشــمس بفمه، وكما أن هذا مستحيل فذاك مستحيل أيضًا؛ والمتأمل في الأحداث يمكنه أن يرى بسهولة أنه كلما أريد بالإسلام مثل هذا المكر والكيد زاد الله من انتشاره وأدخل فيه أفرادًا وجماعات وشعوبًا من الأمم نفســها التي تكيد للإســلام. وكيف لا يكون ذلك وخالق الســماوات والأرض ومَــن فيهن يقول: ﴿ **يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِــمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَــلَ رَسُــولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْــرِكُونَ** ﴾[1]. نعم ليظهره على جميع الأديان من سائر أهل الأرض من عرب وعجم.

وقــد قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْــلامُ** ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾[3].

رفعت الأقلام وجفت الصحف وبُت في الأمر وانتهى الجدال ولا حاجة للبحث أو المناقشــة أو للتقريب بين الأديان أو ما شــابه ذلك، فالله تعالى قد تكلم وفصل في الأمر، وإذا تكلم الله خالق الســماوات والأرض ومَن فيهن فعلى جميع المخلوقين الســكوت والخضوع والاستسلام. فقد أخبر تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد ســوى الإســلام وهو اتباع خاتم أنبيائه ورســله محمد ﷺ فيما بعثه به، وقد سد الله ســبحانه جميع الطرق إليــه إلا من جهة محمد ﷺ، فمن لقــي الله بعد بعثة محمد ﷺ بدين على غير شريعته فليس بمتقبل منه وهو من الخاسرين. ﴿ **أَفَنَجْعَلُ الْمُسْــلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ** ﴾[4]. ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾[5].

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٣٢-٣٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٤) سورة القلم، الآية: ٣٥.

(٥) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

يرضى الله عن ثلاثة أمور

قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى: يرضى لكم ثلاثًا... فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاهُ الله أمركم...»[1].

عبادة الله وعدم الشرك به[2]: أصل العبودية الخضوع والذل، والتعبيد التذليل؛ والاستعباد وهو أن يتخذه عبدًا؛ والعبادة الطاعة؛ وعبادة الله التذلل والخضوع له.

قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[3]، يأمر الله - تبارك وتعالى - بعبادته وحده لا شريك له، فإنه هو الله الذي لا إله غيره ولا رب سواه ولا تنبغي العبادة إلا له؛ والعبادة هي الغاية المقصودة بالخلق، والتي لها خلقوا، ولها أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، ولأجلها خلقت الجنة والنار.. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[4]، فالعبادة: هي الغاية التي خلق لها الجن والإنس والخلائق كلها.. وأصل العبادة: محبة الله، بل إفراده بالمحبة، وأن يكون الحب كله لله، فلا يحب معه سواه، وإنما يحب لأجله وفيه، كما يحب أنبياءه ورسله وملائكته وأولياءه، فمحبتنا لهم من تمام محبته، وليست محبة معه، كمحبة من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحبه. وإذا كانت المحبة له هي حقيقة عبوديته وسرها؛ فهي إنما تتحقق باتباع أمره، واجتناب نهيه. فعند اتباع الأمر واجتناب النهي تتبين حقيقة العبودية والمحبة.

وبنيت العبادة على أربع قواعد: التحقق بما يحبه الله ورسوله ويرضاه، من قول اللسان والقلب، وعمل القلب والجوارح. والعبودية: اسم جامع لهذه المراتب الأربع:

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٩٥.

(٢) راجع: مدارج السالكين لابن القيم ١/١١٨-١٢٤.

(٣) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٤) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

فقول القلب: هو اعتقاد ما أخبر الله سبحانه به عن نفسه، وعن أسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته ولقائه على لسان رسله.

وقول اللسان: الإخبار عنه بذلك، والدعوة إليه، والذبّ عنه، وتبيين بطلان البدع المخالفة له، والقيام بذكره، وتبليغ أوامره.

وعمل القلب: كالمحبة له، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والخوف منه والرجاء له، وإخلاص الدين له، والصبر على أوامره، وعن نواهيه، وعلى أقداره، والرضى به وعنه، والموالاة فيه، والمعاداة فيه، والذل له والخضوع، والإخبات إليه، والطمأنينة به، وغير ذلك من أعمال القلوب التي فرضها أفرض من أعمال الجوارح ومستحبها أحب إلى الله من مستحبها. وعمل الجوارح دونها إما عديم المنفعة أو قليل المنفعة.

وأعمال الجوارح: كالصلاة والجهاد، ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات، ومساعدة العاجز، والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك.

وجميع الرسل دعوا إلى توحيد الله وإخلاص عبادته، وجعل النبي ﷺ إحسان العبودية أعلى مراتب الدين، وهو الإحسان. فقال ﷺ عن الإحسان: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[1]. ولا ينفك العبد من العبودية ما دام في دار التكليف إلى أن يموت، قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[2] أي: الموت.

قال رسول الله ﷺ: «**يا معاذ بن جبل**» قلت: لبيك رسول الله وسعديك. قال: «**هل تدري ما حق الله على العباد؟**» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئًا**»، ثم سار ساعة ثم قال: «**يا معاذ بن جبل**» قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: «**هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟**» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**أن لا يعذبهم**»[3].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان..

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩٩.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: حق الله على العباد وحق العباد على الله.

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[1].

الاعتصام بحبل الله وعدم التفرق[2]: العصمة المَنَعَة، والاعتصام افتعال من العصمة. وهو التمسك بما يعصمك، ويمنعك من المحذور والمخوف. والعصمة الحمية. والاعتصام الاحتماء. ومنه سميت القلاع: العَواصم، لمنعها وحمايتها. والحبل لفظ مشترك، وأصله في اللغة السبب الذي يوصل به إلى البغية والحاجة.

قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾[3]. قيل: حبل الله هو عهد الله، وقيل: هو القرآن حبل الله المتين، والاعتصام به التمسك بآياته والمحافظة على العمل بها، قال رسول الله ﷺ: «**وإني تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله عزَّ وجلَّ هو حبل الله مَن اتبعه كان على الهدى ومَن تركه كان على ضلالة**»[4]. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في القرآن: هو حبل الله المتين. ولا تختلف به الألسن. ولا يَخْلَقُ على كثرة الرد، ولا يشبع منه العلماء. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إن هذا القرآن هو حبل الله، وهو النور المبين، والشفاء النافع، وعِصمة مَن تمسك به، ونجاة من تبعه. وقيل: هو الجماعة؛ والله تعالى يأمر بالألفة وينهى عن الفُرقة فإن الفرقة هلكة والجماعة نجاة. قال ابن مسعود: عليكم بالجماعة. فإنها حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة.

﴿وَلا تَفَرَّقُوا﴾ يعني؛ ولا تختلفوا في ذلك الاعتصام كما اختلف أهل الكتاب وكما افترقت اليهود والنصارى في أديانهم. ويجوز أن يكون معناه ولا تفرقوا متابعين للهوى والأغراض المختلفة، وكونوا في دين الله إخوانًا؛ فيكون ذلك منعًا لهم عن التقاطع والتدابر.

أوجب الله تعالى علينا التمسك بكتابه وسنة نبيه والرجوع إليهما عند الاختلاف، وأمرنا بالاجتماع على الاعتصام بالكتاب والسنة اعتقادًا وعملاً؛ وذلك سبب اتفاق

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٢) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤/١٠٢-١٠٦، ومدارج السالكين لابن القيم ١/٤٥٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

الكلمة وانتظام الشتات الذي يتم به مصالح الدنيا والدين، والسلامة من الاختلاف، وأمر بالاجتماع ونهى عن الافتراق الذي حصل لأهل الكتابين.

نصح ولاة الأمر[١]: هم الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولايات.

قال رسـول الله ﷺ: **«الدين النصيحـة، قلنا: لمَن؟ قال: لله ولكتابه ولرسـوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»**[٢]. النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له. قال النووي: أما النصيحة لأئمة المسلمين: فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهـم بـه ونهيهم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بمـا غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسـلمين، وترك الخروج عليهم، وتألف قلوب المسـلمين لطاعتهم. قال الخطابي: ومن النصيحة لهم، الصلاة خلفهم والجهاد معهم وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة، وألا يغروا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يُدعى لهم بالصلاح.

وقال العسـقلاني: والنصيحة لأئمة المسلمين إعانتهم على ما حملوا القيام به، وتنبيههـم عند الغفلة، وسـد خلتهم عند الهفوة، وجمـع الكلمة عليهم، ورد القلوب النافرة إليهم، ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن الظلم بالتي هي أحسن. ومن جملة أئمة المسـلمين أئمة الاجتهـاد، وتقع النصيحة لهم ببث علومهم، ونشـر مناقبهم، وتحسين الظن بهم.

---

(١) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي ٣٨/٢، وفتح الباري للعسقلاني ١٣٨/١.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: الدين النصيحة.


مَن يحب الله
ومَن يبغض
من الناس

مَن يحب الله من الناس

يحب الله المحسنين

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله محسن يحب الإحسان**»[2].

الإحسان[3]: الإحسان هو لبُّ الإيمان وروحه وكماله، وهو أعلى مراتب الدين وغايتها، وأعظم أخلاق عباد الله الصالحين، وجامع لكل الأخلاق العالية والصفات الحسنة؛ وأصل العبودية لله ودوران أحوالها على أمرين: تعظيم قدرة الله تبارك وتعالى، والإحسان إلى خلق الله بالقول والفعل.

سأل جبريل عليه السلام النبي ﷺ عن الإسلام، ثم سأله عن الإيمان، ثم سأله عن الإحسان، فقال ﷺ عن الإحسان: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[4]. إن الإحسان صفة الله وهو المحسن المجمل، والإحسان الذي به سمى العبد محسنًا أن يعبد الله كأنه يراه، أي؛ يعبده على المشاهدة. والإحسان هو كمال الحضور مع الله -عزَّ وجلَّ-، ومراقبته الجامعة لخشيته ومحبته ومعرفته، والإنابة إليه، والإخلاص له. وأن يعلم العبد على الدوام ويتيقن باطلاع الحق - سبحانه وتعالى - على ظاهره وباطنه. فاستدامته لهذا العلم واليقين: هي (المراقبة) وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه رقيب عليه، ناظر إليه، سامع لقوله. وهو مطلع على عمله كل وقت وكل لحظة، وكل نَفَس وكل طرفة عين. فإن لم تكن تراه فإنه يراك، أي؛ فإن لم تحسن فهو المحسن.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٢٤.

(٣) راجع: مدارج السالكين لابن القيم ٢/٦٤، ٤٢٩، وفيض القدير للمناوي ٢/٢٦٤.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان.

المحسـنون: هـم الذين يؤدون العبادة على وجهها الأكمـل أداءً خاليًا من الرياء ويتقنونهـا ويخلصون فيها، ويراقبـون ربهم - تبارك وتعالى - في إتمام الخشـوع والخضوع وغير ذلك ويستحضرون عظمته وجلاله حالة الشروع وحالة الاستمرار. ويغلب عليهم مشـاهدة الحق بقلوبهم فكأنهم يرونه، أو يستحضرون أن الحق مطلع عليهم يرى كل ما يعملون.

والإحسـان يدخل فيه الإسـلام والإيمان، والمحسن لا يكون محسنًا إلا إذا كان مسلمًا مؤمنًا، فالمحسنون هم المسلمون الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويصومون رمضان، ويحجون البيت إن استطاعوا إليه سبيلاً.

والمحسـنون هم المؤمنون الذين يؤمنون بالله، وملائكته، وكتبه، ورسـله، واليوم الآخر، والجنة والنار، والميزان، والبعث بعد الموت، والقدر خيره وشره.

والمحسـنون هم الذين يحسـنون في أعمالهم بامتثال الطاعات، ويخلصون لله العمل وينقادون لأمره ويتبعون شـرعه، وينتهون عما نهـى عنه وزجر، ويتبعون في أعمالهم ما شرعه الله لهم وما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق، ويعدلون إذا حكموا، ويحسنون القول إذا قالوا.

وهم الذين ينفقون في سـبيل الله في سـائر وجوه القربات ووجوه الطاعات، وخاصـة صرف الأمـوال في قتال الأعـداء، وبذلها فيما يقوى به المسـلمون على عدوهم.. ويحسـنون الظن بالله في إخلافه عليهم.. وينفقون في السراء والضراء، في الشـدة والرخاء، والمنشـط والمكره، والصحة والمرض، وفي جميع الأحوال.. ولا يشـغلهم أمر عن طاعة الله تعالى، والإنفاق في مراضيه، والإحسـان إلى خلقه من قراباتهم وغيرهم بأنواع البر.

وهـم الذين يكظمون الغيظ، فإذا ثار بهم الغيظ يكتموه فلا يعملوه، ولا يعملون غضبهم في الناس بل يكفون عنهم شـرهم ويحتسـبون ذلك عند الله -عزَّ وجلَّ-. والعافين عن الناس، فمع كف الشـر يعفون عمن ظلمهم في أنفسـهم فلا يبقى في أنفسهم موجدة على أحد. ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٠.

يحب الله المتقين

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[1].

التقوى: قال رسول الله ﷺ: «**التقوى ههنا**» ويشير إلى صدره ثلاث مرات[2]، وفي رواية: «**إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم**» وأشار بأصابعه إلى صدره[3]، أي؛ إن الأعمال الظاهرة لا يحصل بها التقوى وإنما تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته[4].

المتقون: المتقون هم الذين يؤمنون بالغيب، ويقيمون الصلاة، ومما رزقهم الله ينفقون، والذين يؤمنون بما أُنزل إلى محمد ﷺ، وما أُنزل من قبله، وبالآخرة هم يوقنون. الذين يوفون بعهودهم ويتقون محارم الله ويطيعون الله ويتبعون شريعته التي بعث بها خاتم رسله وسيدهم..

وهم الذي ينفقون في سبيل الله، ويكظمون الغيظ، ويعفون عن الناس.. الذين إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا عقاب الله وجزيل ثوابه ووعده ووعيده؛ فتابوا وأنابوا واستعاذوا بالله ورجعوا إليه من قريب فإذا هم مبصرون؛ فاستقاموا وصحوا مما كانوا فيه..

قال ابن عباس: هم المؤمنون الذين يتقون الشرك بي ويعملون بطاعتي. وقال أيضاً: الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى، ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به. وقال الحسن البصري: اتقوا ما حرم الله عليهم، وأدُّوا ما افترض عليهم. وقد قيل إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أُبَي بن كعب عن التقوى فقال له: أما سلكت طريقًا ذا شوك؟ قال: بلى، قال: فما عملت؟ قال: شمرت واجتهدت، قال: فذلك التقوى[5]. ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[6].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٤.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره.

(٤) النووي: شرح صحيح مسلم ١٢١/١٦.

(٥) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٢/١، ٢٩٠/٢.

(٦) سورة القمر، الآيتان: ٥٤-٥٥.

يحب الله المتوكلين

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[1].

التـوكل[2]: التوكل في اللغـة: إظهار العجز والاعتماد علـى الغير؛ يقال وكلت أمـري إلى فـلان، أي؛ ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه، ووكل فلان فلانًا اسـتكفاه أمـره ثقة بكفايته، والمراد بالتوكل التوكل على الله -عزَّ وجلَّ-؛ وهو عمل قلبي ليس بقول اللسـان، ولا عمل الجوارح، ولا هو من باب العلـوم والإدراكات. ومن الناس: من يفسـره بالاسترسـال مع الله مع ما يريد. ومنهم: من يفسره بالرضى بالمقدور. وقـال بعضهم: التوكل التعلق بالله في كل حـال. وقيل غير ذلك؛ وحقيقة الأمر أن التـوكل حال مركبة من مجموعة أمور: معرفة بالرب وصفاته، إثبات في الأسـباب والمسببات، رسوخ القلب في مقام توحيد التوكل فلا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيده، اعتماد القلب على الله تعالى واسـتناده إليه وسـكونه إليه، حسن الظن بالله -عزَّ وجلَّ-، استسـلام القلب له، التفويـض، الرضى؛ وهي ثمرة التوكل. ومن فسر التوكل بها فإنما فسره بأجل ثمراته، وأعظم فوائده. فإنه إذا توكل حق التوكل رضي بما يفعله وكيله. وأجمع القوم على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسـباب. فلا يصـح التوكل إلا مع القيام بها وإلا فهو بطالة وتوكل فاسـد. فقد كان التوكل حال النبي ﷺ والكسب سنته. فمن طعن في الحركة فقد طعن في السنة. ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان.

والتوكل هو منزل من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين، بل هو من معالي درجات المقربين؛ وأعظم بمقام موسـوم بمحبة الله تعالى صاحبه، ومضمون كفاية الله تعالى مُلابسـه، فمن الله تعالى حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه: فقد فاز الفوز العظيم، فإن المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) راجع: إحياء علوم الدين للغزالي ٤/٢٤٣، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤/١٢٢، والفوائد لابن القيم ١٤٨-١٤٩، ومدارج السالكين لابن القيم ٢/١١٤-١٢٢، وفتح الباري للعسقلاني ١١/٣٠٥.

المتوكلـون: المتوكلــون هم الذين يتوكلــون على الله ويعتمــدون عليه مع إظهار العجــز، ويفوِّضون جميــع أمورهم إليه.. ويثقون بالله ويوقنــون بأن قضاءه ماض، ويتبعون ســنة نبيه ﷺ في الســعي فيما لا بد منه من الأسباب من مطعم ومشرب وتحرزٍ من عدو وإعداد الأســلحة واستعمال ما تقتضيه ســنة الله تعالى المعتادة.. ولا يطمئنون إلى شيء من تلك الأسباب ولا يلتفتون إليها بالقلوب ولا يتعاطونها إلا بحكم الأمر، فإنها لا تجلب نفعًا ولا تدفع ضرًا، بل السبب والمسبب فعل الله تعالى، والكل منه وبمشيئته.

المتــوكل: المتــوكل هــو الذي ترك الاختيــار والتدبير في رجــاء زيادة أو خوف نقصان أو طلب صحة أو فرار من ســقم، وعلم أن الله على كل شــيء قدير، وأنه المتفرد بالاختيار والتدبير، وأن تدبيره لعبده خير من تدبير العبد لنفسه، وأنه أعلم بمصلحتــه من العبد وأقدر على جلبها وتحصيلها منه، وأنصح للعبد منه لنفســه، وأرحم به منه بنفسه، وأبر به منه بنفسه. وعلم مع ذلك أنه لا يستطيع أن يتقدم بين يدي تدبيره خطوة واحدة ولا يتأخر عن تدبيره له خطوة واحدة، فلا متقدم له بين يدي قضائه وقدره ولا متأخر، فألقى نفســه بين يديه وسلم الأمر كله إليه، وانطرح بــين يديه انطراح عبد مملوك ضعيف بين يــدي ملك عزيز قاهر، له التصرف في عبده بكل ما يشاء، وليس للعبد التصرف فيه بوجه من الوجوه، فاستراح حينئذ من الهموم والغموم والأنكاد والحســرات، وحمَّل كَلــه وحوائجه ومصالحه مَن لا يبالي بحملهــا ولا يثقله ولا يكترث بها، فتولاها دونه وأراه لطفه وبرَّه ورحمته وإحســانه فيهــا من غير تعب من العبد ولا نصب ولا اهتمام منه؛ لأنه قد صرف اهتمامه كله إليــه وجعله وحده همــه فصرف عنه اهتمامه بحوائجه ومصالــح دنياه وفرَّغ قلبه منها..

والله ســبحانه قــد أمر العبد بأمر وضمن له ضمانًا، فــإن قام بأمره بالنصح والصدق والإخلاص والاجتهاد، قام الله سبحانه له بما ضمنه له من الرزق والكفاية والنصــر وقضاء الحوائج، فإنه ســبحانه ضمن الرزق لمن عَبَــدَه، والنصر لمن توكل عليه واســتنصر به، والكفاية لمن كان هو همه ومراده، والمغفرة لمن استغفره، وقضاء

الحوائج لمن صدقه في طلبها ووثق به وقوي رجاؤه وطمعه في فضله وجوده. ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[1]. ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[2].

يحب الله الصابرين

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[3].

قال رسول الله ﷺ: **«الإيمان: الصبر والسماحة»**[4].

الصبر: الصبر في اللغة: الحبس والكف. فهو حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش. وهو ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله تعالى. وصبر عن معصية الله تعالى. وصبر على امتحان الله تعالى. وقيل: الصبر هو الصبر على المصائب والنكبات وأنواع المكاره في الدنيا، والوقوف مع البلاء بحسن الأدب، وألا يعترض على المقدور.

الصابرون: الصابرون هم الذين يصبرون على دينهم الذي ارتضاه الله لهم وهو الإسلام، فلا يدعوه لسراء ولا لضراء، ولا لشدة ولا لرخاء، حتى يموتوا مسلمين.

ويصبرون على العبادات، ويصبرون عن المعاصي والشهوات وعلى مخالفة أهواء النفس، وعدم اتباع خطوات الشيطان.

ويصبرون على الجهاد، ولا يضعفون لما يصيبهم في سبيل الله، ولا يضعفون عن عدوهم ولا يخضعون، ويصبرون ولا يفرُّون ويوطنون أنفسهم على الموت. ويصبرون عن محبة الدنيا ويرغبون في الدار الآخرة.

ويصبرون على الأمراض والبلاء وأذى الناس واستهزائهم بهم على التزامهم بالدين ويحتسبون عند الله رجاء ثوابه، ويصبرون على الأقدار والمصائب وإذا

(١) سورة الطلاق، الآية: ٣.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٣٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

(٤) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٢٧٩٥.

أصابتهم مصيبة قالـوا: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، اللهم أجرنا في مصيبتنا وأخلف لنا خيرًا منها. ويصبرون على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما يصيبهم بسببه من الأذى.

إن من حسـن التوفيق وأمارات السعادة الصبر على الملمات، والرفق عند النوازل. ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[1].

يحب الله المتبعين لرسوله

قال اللـه تعالى: ﴿ قُـلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّـونَ اللَّـهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُـمُ اللَّـهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[2].

المتبعون لرسول الله ﷺ[3]: المتبعون لرسول الله ﷺ هم الذين يحبون الله تعالى فيتبعون محمدًا ﷺ ويسيرون على نهجه، ولا يبتدعون في الدين ما لم يأت به النبي ﷺ؛ لأن هذا شـرط لمحبة الله لهم. ويستحيل ثبوت محبتهم لله، وثبوت محبة الله لهم دون المتابعة لرسوله ﷺ. قال بعض السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾ الآية.

إن الله يحب من أطاع رسوله ﷺ واتبع سنته.. وهذه الآية الكريمة حاكمة على كل مـن ادَّعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشـرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله، كما قـال ﷺ: **«مـن أحدث في أمرنا هـذا ما ليس منه فهـو رد»**[4]، وفي رواية ثانية: **«من عمـل عمـلاً ليس عليه أمرنا فهو رد»**[5]. والرد معناه مردود فهو باطل غير معتد به، وهـذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسـلام وهو مـن جوامع كلمه ﷺ فإنه

---

(١) سورة الزمر، الآية: ١٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٣) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٣٦٦، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٢/١٦.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور.

صريـــح في رد كل البدع والمخترعات، وفـــي الرواية الثانية زيادة وهي أنه قد يعاند بعض الفاعلين في بدعة ســبق إليها فإذا احتج عليــه بالرواية الأولى يقول: أنا ما أحدثت شــيئًا. فيحتج عليه بالثانيـــة التي فيها التصريح برد كل المحدثات ســواء أحدثها الفاعل أو سبق بإحداثها... وهذا الحديث مما ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات وإشاعة الاستدلال به.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُـولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَـإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾[1] أي؛ أن مخالفة النبي ﷺ في عقيدته وشريعته كفر والله لا يحب من اتصف بذلك وإن ادَّعى وزعم في نفســه أنه محب لله ويتقرب إليه حتى يتابع الرسول النبي الأمي خاتم الرسل ورسول الله إلى جميع الثقلين الجن والإنس الذي لو كان الأنبياء بل المرسلون بل أولوا العزم منهم في زمانه ما وسعهم إلا اتباعه والدخول في طاعته واتباع شريعته.



يحب الله المقاتلين في سبيله

قال اللــه تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِـبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَــبِيلِهِ صَفًّـا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[2].

المقاتلون في سبيل الله[3]: المقاتلون في سبيل الله هم الذين يقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا الســفلى، ويجاهدون في الله حق جهاده ويدعون إليه تعالى، وينشرون دينه الإسلام.

عن عبد الله بن ســلام قال: قعدنا نفرًا من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا فقلنــا: لــو نعلم أي الأعمال أحب إلى اللــه لعملناه، فأنزل الله: ﴿ سَـبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ الآيات[4].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٢.

(٢) سورة الصف، الآية: ٤.

(٣) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨/٥٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٣٨٣.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٦٣٦.

قالـوا لو نعلم أحب الأعمـال إلى الله لعملناه فدلهم اللـه على أحب الأعمال إليـه فقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ﴾، فهذا إخبار من الله تعالـى بمحبته عباده المؤمنين إذا صفوا مواجهين لأعداء الله في حومة الوغى يقاتلـون في سـبيل الله من كفر بالله لتكون كلمة الله هـي العليا ودينه هو الظاهر العالي على سائر الأديان.

واللـه -عزَّ وجلَّ- يحـب الذين يصفُّون أنفسـهم صفًّـا للقتال ﴿ كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ متلاصـق بعضه ببعض كقطعة واحدة، ويحب الذي يثبت في الجهاد في سبيل الله ويلزم مكانه كثبوت البناء، ولا يخرج من الصف إلا لحاجة تعرض للإنسان، أو في رسـالة يرسـلها الإمام، أو في منفعة تظهر في المقام، كفرصة تنتهز ولا خلاف فيهـا. وفي الخـروج عن الصف للمبارزة خلاف على قولـين أحدهما: إنه لا بأس به إرهابًا للعدو، وطلبًا للشـهادة وتحريضًا على القتال. وقالوا: لا يبرز أحد طالبًا لذلك؛ لأن فيه رياءً وخروجًا إلى ما نهى الله عنه من لقاء العدو، وإنما تكون المبارزة إذا طلبها الكافر؛ كما كانت في حروب النبي ﷺ يوم بدر وفي غزوة خيبر، وعليه درج السلف.

يحب الله الأذلة على المؤمنين الأعزة على الكافرين

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾[1].

هـؤلاء القوم يرأفون بالمؤمنين ويرحمونهم ويلينون لهم، ويغلظون على الكافرين ويعادونهم. قال ابن عباس: هم للمؤمنين كالوالد للولد والسيد للعبد، وهم في الغلظة على الكفار كالسـبع على فريسـته. فمـن صفات المؤمنين الكمـل أن يكون أحدهم متواضعًا لأخيه ووليه، رحيمًا بالأخيار، ضحوكًا بشوشًا في وجه أخيه المؤمن، شديدًا عنيفًا على الكفار، غضوبًا عبوسًـا في وجه الكافر، متعززًا على خصمه وعدوه كما قال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾[2].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

وهؤلاء القوم يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم، لا يردهم عما هم فيـــه من طاعة الله وإقامة الحدود وقتال أعدائه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يردهـــم عن ذلك راد، ولا يصدهم عنـــه صاد، ولا يحيك فيهم لوم لائم، ولا عذل عاذل، بخلاف المنافقين الذين يخافون الدوائر[١].



يحب الله المقسطين

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٢].

المقســطون: المقسطون هم العادلون المحقون الذين يدعون إلى الحق، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويتقون الله، ويصلون الرحم.

وهـــم الذين يحكمون بين الناس بالقســـط، أي؛ بالحق والعدل، ويقضون بينهم بحكم الله الذي أنزله في كتابه.

وهم الذين ينصفون الناس، ويعطونهم الحق والعدل من أنفســـهم، فيبرون من برهم، ويحسنون إلى من أحسن إليهم.

قـــال رســـول الله ﷺ: **«إن المقســطين عند الله علــى منابر من نــور عن يمين الرحمــن عــزَّ وجــلَّ، وكلتــا يديه يمــين: الذين يعدلون فــي حكمهــم، وأهليهم، وما وَلُــوا»**[٣]. فهذا الفضل إنما هو لمن عـــدل فيما تقلده من: خلافة أو إمارة أو قضاء أو حسبة أو نظر على يتيم أو صدقة أو وقف، وفيما يلزمه من حقوق أهله وعياله ونحو ذلك[٤].

---

(١) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٧٣، ٤/٢١٨، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦/١٤٣.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٢.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب: فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق.

(٤) النووي: شرح صحيح مسلم ١٢/٢١٢.

يحب الله التوابين والمتطهرين

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[1].

التوابـون: التوابون هم الذين إذا فعلوا سـيئة أو فاحشـة أو ظلموا أنفسـهم ذكروا الله فندموا وتابوا وآمنوا ورجعوا إلى الله من قريب، واستغفروا لذنوبهم ولم يستمروا على ما فعلوا من المعصية غير مقلعين عنها، وعزموا ألا يعودوا إليها أبدًا، وأتبعوا توبتهم الأعمال الصالحة، ولو تكرر منهم الذنب تابوا منه، ومن تاب تاب الله عليه، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

المتطهـرون: المتطهرون هم الذين يتنزهـون عن الأقذار والأذى، الذين يعتزلون النساء في المحيض ولا يأتونهن في أدبارهن.. ويتطهرون بالماء من الجنابة والأحداث، ويحرصون دائمًا على النظافة؛ لأنها من الإيمان، ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[2].

فاللـه -عزَّ وجـلَّ- هو الآمر بالتوبة وهو يحـب التوابين ويحب المتطهرين، وهم الذين رجعوا إليه وطهروا بقربه من أرجاسـهم، فإذا تقربوا إليه بما يحبه أحبهـم، وإذا أحبهم غـار عليهم أن يظهر أحد على نقـص أو على خلل فيهم، ويسـبل عليهم سـتره الأعظم. فإذا قبل تعالى توبة عبده أنسـى الخلق ذنوبه، وأسبل عليه ستر الوقار لينظر إليه بعين الإجلال لا الاحتقار؛ وذلك لأن المؤمن عليـه لباس التقوى وهو وقايتـه، وهو بين الخلق في ذلك اللباس موقر ومهاب، وتقـواه لا ترى وإنما يـرى طلاوة ذلك اللباس وزهوته، فـإذا أذنب فقد تدنس اللباس وذهب ذلك الوقار، فإذا تاب أنسى الله الحفظة وجوارحه ذلك لتعود له المهابة والإجلال[3].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٨.

(٣) فيض القدير للمناوي ٣١٣/١.

يحب الله المتقرب إليه بالنوافل

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب. وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه. وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه. وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته**»[١].

المتقرب إلى الله بالنوافل[٢]: المتقرب إلى الله بالنوافل هو الذي يؤدي الفرائض التي افترضها الله تعالى عليه، كالصلاة، والزكاة، والصيام وغيرها، ويزيد عليها بالنوافل، أي؛ التطوع من صلاة، وصيام، وصدقة وغيرها، ويداوم على الإتيان بها.

إن أداء الفرائض أحب الأعمال إلى الله تعالى، والأمر بها جازم، ويقع بتركها المعاقبة بخلاف النفل في الأمرين وإن اشترك مع الفرائض في تحصيل الثواب فكانت الفرائض أكمل؛ فلهذا كانت أحب إلى الله تعالى وأشد تقريبًا، والفرض كالأصل والأس، والنفل كالفرع والبناء، وفي الإتيان بالفرائض على الوجه المأمور به امتثال الأمر واحترام الآمر وتعظيمه بالانقياد اليه وإظهار عظمة الربوبية وذل العبودية، فكان التقرب بذلك أعظم العمل، والذي يؤدي الفرض قد يفعله خوفًا من العقوبة ومؤدي النفل لا يفعله إلا إيثارًا للخدمة فيجازى بالمحبة التي هي غاية مطلوب من يتقرب بخدمته.

وفي الحديث عظم قدر الصلاة فإنه ينشأ عنها محبة الله للعبد الذي يتقرب بها؛ وذلك لأنها محل المناجاة والقربة، ولا واسطة فيها بين العبد وربه، ولا شيء أقر لعين العبد منها؛ ولهذا جاء في الحديث «**وجُعلَتْ قرة عيني في الصلاة**»[٣]، ومن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: التواضع.

(٢) راجع: فتح الباري للعسقلاني ٣٤٣/١١، وشرح متن الأربعين النووية ١٢٧- ١٢٨.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣١٢٤.

كانت قرة عينه في شيء فإنه يود ألا يفارقه ولا يخرج منه؛ لأن فيه نعيمه وبه تطيب حياته، وإنما يحصل ذلك للعابد بالمصابرة على النصب، فإن السالك غرض الآفات والفتور... وهذا الحديث أصل في السلوك إلى الله والوصول إلى معرفته ومحبته وطريقه، إذ المفترضات الباطنة وهي الإيمان، والظاهرة وهي الإسلام، والمركب منهما وهو الإحسان فيهما كما تضمنه حديث جبريل، والإحسان يتضمن مقامات السالكين من الزهد والإخلاص والمراقبة وغيرها، وفي الحديث أيضًا أن من أتى بما وجب عليه وتقرب بالنوافل لم يرد دعاؤه لوجود هذا الوعد الصادق المؤكد بالقسم... وفيه أن العبد ولو بلغ أعلى الدرجات حتى يكون محبوبًا لله لا ينقطع عن الطلب من الله لما فيه من الخضوع له وإظهار العبودية.

وقوله «يتقرب إليَّ» التقرب طلب القرب، وقيل: قرب العبد من ربه يقع أولاً بإيمانه، ثم بإحسانه. وقرب الرب من عبده ما يخصه به في الدنيا من عرفانه، وفي الآخرة من رضوانه، وفيما بين ذلك من وجوه لطفه وامتنانه. ولا يتم قرب العبد من الحق إلا ببعده من الخلق. وقرب الرب بالعلم والقدرة عام للناس، وباللطف والنصرة خاص بالخواص، وبالتأنيس خاص بالأولياء.

فمن صلى النوافل مع الفرائض يصير أحب إلى الله، فإذا أحب الله عبده شغله بذكره وطاعته وحفظه من الشيطان، واستعمل أعضاءه في الطاعة، وحبب إليه سماع القرآن والذكر، وكره إليه سماع الغناء وآلات اللهو وصار من الذين قال الله تعالى في حقهم: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾[2]، فإذا سمعوا منهم كلامًا فاحشًا أضربوا عنه وقالوا قولاً يسلمون فيه، وحفظ بصره عن المحارم فلا ينظر إلى ما لا يحل له، وصار نظره نظر فكر واعتبار، فلا يرى شيئًا من المصنوعات إلا استدل به على خالقه، وقال علي رضي الله عنه: «ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الله تعالى قبله».

---

(١) سورة القصص، الآية: ٥٥.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

ومعنى الاعتبار العبور بالفكر في المخلوقات إلى قدرة الخالق، فيسبح عند ذلك ويقدس ويعظم وتصير حركاته باليدين والرجلين كلها لله تعالى، ولا يمشي فيما لا يعنيه ولا يفعل بيده شيئًا عبثًا، بل تكون حركاته وسكناته لله تعالى. فيثاب على ذلك في حركاته وسكناته وفي سائر أفعاله.

وقوله **«بالنوافل حتى أحبه»** ظاهره أن محبة الله تعالى للعبد تقع بملازمة العبد التقرب بالنوافل، والمراد من النوافل ما كانت حاوية للفرائض مشتملة عليها ومكملة لها... وقيل إن معنى الحديث أنه إذا أدى الفرائض ودام على إتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرها أفضى به ذلك إلى محبة الله تعالى... وأيضًا فقد جرت العادة أن التقرب يكون غالبًا بغير ما وجب على المتقرب كالهدية والتحفة بخلاف من يؤدي ما عليه من خراج أو يقضي ما عليه من دين. وأيضاً فإن من جملة ما شرعت له النوافل جبر الفرائض.. فتبين أن المراد من التقرب بالنوافل أن تقع ممن أدى الفرائض لا من أخل بها، كما قال بعض الأكابر: من شغله الفرض عن النفل فهو معذور، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور.

قوله **«كنت سمعه الذي يسمع به»** إلخ، قد استشكل كيف يكون الباري جل وعلا سمع العبد وبصره إلخ؟ والجواب من أوجه: **أحدها**: أنه ورد على سبيل التمثيل، والمعنى كنت سمعه وبصره في إيثاره أمري، فهو يحب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح. **ثانيها**: أن المعنى كليته مشغولة بي فلا يصغى بسمعه إلا إلى ما يرضيني، ولا يرى ببصره إلا ما أمرته به. **ثالثها**: أن المعنى أجعل له مقاصده كأنه ينالها بسمعه وبصره إلخ. **رابعها**: كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة على عدوه. **خامسها**: أن المعنى كنت حافظ سمعه الذي يسمع به، فلا يسمع إلا ما يحل استماعه، وحافظ بصره كذلك إلخ.

سادسها: أن المعنى لا يسمع إلا ذكري، ولا يلتذ إلا بتلاوة كتابي، ولا يأنس إلا بمناجاتي، ولا ينظر إلا في عجائب ملكوتي، ولا يمد يده إلا فيما فيه رضاي ورجله كذلك.. وقيل: اتفق العلماء ممن يعتد بقوله أن هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد

وتأييـــده وإعانته.. وقال الخطابي: هذه أمثـــال والمعنى توفيق الله لعبده في الأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء، وتيسير المحبة له فيها بأن يحفظ جوارحه عليه ويعصمه عـــن مواقعة ما يكره الله من الإصغاء إلى اللهو بســـمعه، ومن النظر إلى ما نهى الله عنـــه ببصـــره، ومن البطش فيما لا يحل له بيده، ومن الســـعي إلـــى الباطل برجله..

سـابعها: قال الخطابي أيضًا: وقد يكون عبر بذلك عن ســـرعة إجابة الدعاء والنجح في الطلب، وذلك أن مساعي الإنسان كلها إنما تكون بهذه الجوارح المذكورة.



أحب الناس إلى الله إمام عادل

قال رســـول الله ﷺ: **«إن أحب النـــاس إلى الله عزَّ وجلَّ يـــوم القيامة، وأقربهم منه مجلسًا إمام عادل»**[1].

الإمـــام العـــادل[2]: الإمـــام العادل هـــو كل من إليه نظر في شـــيء من مصالح المسلمين فعدل فيه من الولاة والحكام. وهو الذي يتبع أمر الله بوضع كل شيء في موضعـــه من غير إفراط ولا تفريط. وهو الـــذي يديم النصيحة لعباد الله ويعرفهم ما يجب عليهم في أمور دينهم ودنياهم، ويقوم بما يتعين عليه من حفظ شـــرائعهم، ويحفظ حقوقهم، ويحمي حوزتهم، ويجاهد عدوهم، ويردع المفســـدين منهم، ويقيم الحدود فيهم.

والإمام العادل له درجات عالية ومنازل رفيعة في الآخرة؛ وقد بشَّر رسول الله ﷺ بحســـن عاقبة الذين يعدلون في حكمهم وما ولوا فقال ﷺ: **«إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عزَّ وجلَّ وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون فـــي حكمهـــم وأهليهـــم وما وَلُـــوا»**[3]، فهذا الفضل إنما هو لمـــن عدل فيما تقلده من خلافة، أو إمارة، أو قضاء، أو حسبة، أو نظر على يتيم، أو صدقة، أو وقف، وفيما يلزمه من حقوق أهله وعياله ونحو ذلك.

---

(١) مسند أحمد، رقم: ١١١١٧، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن.

(٢) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي ٧/١٢١، ١٢/٢١٢، وفتح الباري العسقلاني ٢/١٤٥.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب: فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق.

والإمــام العادل هــو أيضًا من الســبعة الذين يظلهم الله فــي ظله، قال ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل..**»[1]، وبدأ به في الذكر قبل الستة الآخرين لكثرة مصالحه وعموم نفعه.

ومــن فضل الله تعالى في الدنيا على الإمام العادل أنه لا يرد دعوته إذا دعاه، قال رســول الله ﷺ: «**ثلاث لا يُـرَدُّ دعوتهم: الإمـام العادل، والصائـم حين يفطر، ودعـوة المظلـوم**»[2]، وهنا أيضًا بدأ به وقدمه على الآخريــن؛ لأن في الإمام العادل منافع تعم جميع من يحكمهم أو يلي أمرهم من الناس.



أحب الناس إلى الله أنفعهم

قال رســول الله ﷺ: «**أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عزَّ وجلَّ سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشــي مع أخي المسـلم في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في المسـجد شهرًا، ومن كف غضبه، ستر الله عورته، ومن كظم غيظًا، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضىً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها لـه، أثبـت الله تعالـى قدمه يوم تـزل الأقدام، وإن سـوء الخُلُق ليفسـد العمل، كما يفسد الخلُ العسلَ**»[3].

أنفــع النــاس: أنفع الناس هو الذي ينفع نفســه ووالديه وأهله وأولاده وإخوانه المسلمين.

ينفع نفسه وأهله وأولاده بامتثال أوامر الله تعالى ورسوله ﷺ، وأداء العبادات والطاعات وكل ما يؤدي به وبهم إلى الفوز بالجنة وســعادتهم في الآخرة، واجتناب نواهي الله -عزَّ وجلَّ- ورسوله ﷺ، وترك المحرمات والمنكرات وكل ما يؤدي به وبهم

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب: من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، وفضل المساجد.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٠٥٠.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٧٦.

إلى جهنم وشقائهم في الآخرة. وينفع والديه بأن يبرَّهما ويدخل السرور إليهما ويقوم على خدمتهما.

وينفع إخوانه المسلمين بأحب الأعمال إلى الله: سرور يدخله على مسلم بفعل المعروف له وأدناه أن يلقاه بوجه طلق بشوش مبتسم لقول النبي ﷺ: **«لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»**[1]، وقوله ﷺ: **«تبسمك في وجه أخيك لك صدقة»**[2].

أو كربة وهي الغمة يزيلها عن مسلم ويفرِّجها عنه بماله أو جاهه أو مساعدته أو إشارته ورأيه ودلالته، لقول النبي ﷺ: **«من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة»**[3].

أو دين يقضيه عنه، أو يؤخر مطالبته إن كان هو صاحب الدين، وقد قال النبي ﷺ: **«من أنظر معسرًا، فله بكل يوم مثله صدقة، قبل أن يحلَّ الدَّين، فإذا حلَّ الدَّين فأنظره فله بكل يوم مثلاه صدقة»**[4]، وقال ﷺ: **«من يسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة»**[5]، وقال عليه الصلاة والسلام: **«من سرَّه أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فليُنفس عن معسر أو يضع عنه»**[6]؛ أو يسقط الدين عن أخيه ويتصدق به عليه وهو خير من تأخير مطالبته، فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[7]، وقال رسول الله ﷺ: **«من أنظر معسرًا، أو وضع عنه أظلَّه الله في ظلِّه»**[8].

أو جوع يطرده عنه لوجه الله تعالى لا يريد بذلك مكافأة ولا ثناءً ولا شكرًا، لقول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب: استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٥٩٤.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الذكر، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

(٤) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٦١٠٨.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الذكر، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب المساقاة، باب: فضل إنظار المعسر والتجاوز في القضاء.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٨٠.

(٨) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، باب: حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر.

نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ﴾[1]، ولقول النبي ﷺ: **«أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وكونوا إخوانًا كما أمركم الله»**[2]؛ ولأنه كما قال ﷺ: **«خيركم من أطعم الطعام، ورد السلام»**[3].

أو حاجة يقضيها لمسلم أو ينفِّذها له أو يساعده فيها أو يمشي معه فيها لقول رسول الله ﷺ: **«من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»**[4]، وقوله ﷺ: **«الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»**[5].

أو غضب يكفه عن الآخرين؛ لأن الله -عزَّ وجلَّ- قد مدح الذين يغفرون عند الغضب وأثنى عليهم فقال: ﴿ **وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ** ﴾[6]؛ ولأن رسول الله ﷺ قد أوصى بعدم الغضب فقال ﷺ: **«لا تغضب»**[7]. وحث عليه الصلاة والسلام على ملك النفس عند الغضب وأن ذلك من العبادة وجهاد للنفس؛ فقال ﷺ: **«ليس الشديد بالصُرَعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»**[8].

أو غيظ يكظمه ولا يعمل غضبه في الناس بل يكف عنهم شره ويحتسب ذلك عند الله -عزَّ وجلَّ-؛ لأن الله تعالى قد أثنى على الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، وأخبر أنه يحبهم بإحسانهم في ذلك، فقال تعالى: ﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[9]؛ ولأن رسول الله ﷺ قد حث على كظم الغيظ والعفو عن الناس فقال ﷺ: **«ما من جرعة أعظم أجرًا عند الله، من جرعة غيظ، كظمها عبد ابتغاء وجه الله»**[10]. وقال عليه الصلاة والسلام:

---

(١) سورة الإنسان، الآيتان: ٨-٩.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٠٨٩.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٣١٨.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب: لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يُسْلِمه.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الذكر، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

(٦) سورة الشورى، الآية: ٣٧.

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: الحذر من الغضب.

(٨) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: الحذر من الغضب.

(٩) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

(١٠) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٣٣٧٧.

«من كظم غيظًا، وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله عزَّ وجلَّ على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيِّره الله من الحور ما شاء»[1].

أو سوء خُلُق يتجنبه حتى لا يفسد ما يقوم به من عمل أو خدمة لأخيه المسلم، ويخالق الناس بخلق حسن حتى يدرك درجة الصائم القائم في الليل كما أخبر النبي ﷺ: **«إن المؤمن ليدرك بحسن خُلُقه درجة الصائم القائم»**[2]، ولكي يكون أجره ثقيلاً في الميزان يوم القيامة لقول رسول الله ﷺ: **«ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخُلُق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة»**[3].

إن أحب الناس إلى الله أنفعهم، فهو ينفع الجميع؛ لأنه يعمل بقول رسول الله ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»**[4]، فهو يحب لإخوانه ما يحبه لنفسه من الخير، ويحب أن يحصل لهم نظير ما يحصل له، وكذلك يبغض لإخوانه ما يبغض لنفسه من الشر، وهو لا يحب أن يكون أفضل من غيره، ولا يتم ذلك إلا بترك الحسد والغل والحقد والغش.



أحب العباد إلى الله أحسنهم خُلُقًا

قال رسول الله ﷺ: **«أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خُلُقًا»**[5].

حسن الخُلُق[6]: الخُلُق والخَلْق عبارتان مستعملتان معًا، يقال: فلان حسن الخُلُق والخَلْق، أي؛ حسن الباطن والظاهر، فيراد بالخَلْق الصورة الظاهرة، ويراد بالخُلُق الصورة الباطنة. وذلك لأن الإنسان مركب من جسد مدرَك بالبصر، ومن

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٩٩٧.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤٠١٣.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦٢٩.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

(٥) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٧٩.

(٦) راجع: إحياء علوم الدين للغزالي ٣/٥٢-٧٠، وفتح الباري للعسقلاني ١٠/٤٥٦، ٤٥٩، وعون المعبود للعظيم آبادي ١٣/١٠٧.

روح ونفس مدرَك بالبصيرة. ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما قبيحة وإما جميلة. فالخُلُق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعًا سميت تلك الهيئة خُلُقًا حسنًا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خُلُقًا سيئًا. ولا يوصف الإنسان بخُلُق حسن ما حتى يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ، وتصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية، أما مَن تكلف عمل ما بجهد وروية فلا يقال إن هذا خُلُقه.. ومثال على ذلك الذي يتكلف بذل المال لحاجة عارضة أو يسكت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خُلُقه السخاء والحلم.

إن الخلقة الظاهرة لا يمكن تغييرها في حين الأخلاق على العكس من ذلك حيث تقبل التغيير؛ ولهذا وُجد الدين والدعوة إلى مكارم الأخلاق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجدت الوصايا والمواعظ والتأديبات، وقد قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾[1]؛ فتغيير ما بالنفس من الأخلاق السيئة إلى الأخلاق الحسنة واكتساب أخلاق حسنة جديدة ممكن بالمجاهدة ورياضة النفس؛ وقد كان النبي ﷺ يدعو ربه ليرشده إلى أحسن الأخلاق ويوفقه للتخلق بها: «**اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت**»[2]، وكان ﷺ يوصي: «**وخالق الناس بخُلُق حسن**»[3].

والأخلاق أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره، وهي محمودة ومذمومة، فالمحمودة على الإجمال أن تكون مع غيرك على نفسك فتنصف منها ولا تنصف لها، وعلى التفصيل العفو والحلم والجود والصبر وتحمل الأذى والرحمة والشفقة وقضاء الحوائج والتوادد ولين الجانب ونحو ذلك، والمذموم منها ضد ذلك... والخلق جبلة في نوع الإنسان، وهم في ذلك متفاوتون، فمن غلب عليه شيء منها إن كان

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: صلاة النبي ﷺ ودعاؤه بالليل.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦١٨.

محمــودًا وإلا فهو مأمور بالمجاهدة فيه حتى يصيــر محمودًا، وكذا إن كان ضعيفًا فيرتاض صاحبه حتى يقوى.

إن لحســن الخُلُق ثمرات وهي علامات تدل عليه، فقيل: حســن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الأذى واحتمال المؤن. وقيل: هو ألا يخاصم ولا يخاصم من شــدة معرفته بالله. وقيل: هو أن يكون مــن الناس قريبًا وفيما بينهم غريبًا. وقيل: هو إرضاء الخلق في السراء والضراء. وقيل: هو الرضا عن الله تعالى. وقيل: أدناه الاحتمال وترك المكافأة والرحمة للظالم والاســتغفار له والشــفقة عليه. وقيل: ألا يتهم الحق في الرزق ويثق به ويســكن إلى الوفاء بما ضمن فيطيعه ولا يعصيه في جميع الأمور فيما بينه وبينه، وفيما بينه وبين الناس. وقيل: حسن الخلق في ثلاث خصال: اجتناب المحارم، وطلب الحلال، والتوســعة على العيال. وقيل: هو ألا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق. وقيل: هو ألا يكون لك هم غير الله تعالى.

وجمع بعضهم علامات حســن الخُلُــق فقال: هو أن يكون كثيــر الحياء، قليل الأذى، كثير الصلاح، صدوق اللســان، قليل الكلام، كثيــر العمل، قليل الزلل، قليل الفضول، برًا وصولاً وقورًا صبورًا شكورًا رضيًا حليمًا رفيقًا عفيفًا شفيقًا، لا لعانًا ولا ســبابًا ولا نمامًا ولا مغتابًا ولا عجولاً ولا حقودًا ولا بخيلاً ولا حســودًا، بشاشًا هشاشًا، يحب في الله، ويبغض في الله، ويرضى في الله، ويغضب في الله.

قال رسول الله ﷺ: **«ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة»**[1]. وقال عليه الصلاة والســلام: **«إن المؤمن ليدرك بحســن خُلُقه درجــة الصائم القائــم»**[2]. وإنما أعطي صاحب الخلق الحسن هذا الفضل العظيم؛ لأن الصائم والمصلي في الليل يجاهدان أنفســهما في مخالفة حظهما، وأما من يحســن خلقه مع الناس مع تباين طبائعهم وأخلاقهم فكأنه يجاهد نفوسًــا كثيرة فأدرك ما أدركه الصائم القائم في الليل في الطاعة فاستويا في الدرجة بل ربما زاد.

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦٢٩.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤٠١٣.

يحب الله صاحب الخصال الثلاث

قال رسول الله ﷺ: «إن أحببتم أن يحبكم الله تعالى ورسوله فأدُّوا إذا ائتمنتم، واصدقوا إذا حدَّثتم، وأحسنوا جوار مَن جاوركم»[1].

قــال ﷺ: «أربــع إذا كــن فيك فـلا عليك ما فاتك مــن الدنيا، صــدقُ الحديث، وحفظ الأمانة، وحسن الخُلُق، وعفة مطعم»[2].

أداء الأمانــة[3]: أداء الأمانــة هي أن يقــوم المؤتَمَن بتســليم المؤتمِن ما أودعه عنــده وائتمنــه عليــه من مال أو غيــره وهي ضــد الخيانة؛ وقد أمــر الله تعالى ورســوله ﷺ بــأداء الأمانة وعدم الخيانة فقــال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُـمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَــاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾[4]؛ وقال رســوله ﷺ: «أدِّ الأمانــة إلى مَن ائتمنــك، ولا تخن مَن خانك»[5]. قال ابن عباس: لم يرخص الله لمعســر ولا لموسر أن يمسك الأمانة. وأجمعــوا على أن الأمانات مردودة إلى أربابهــا الأبرار منهم والفجار. وحاصله أن الأمانــة لا تخان أبــدًا؛ لأن صاحبها إما أمين أو خائن، وعلــى التقديرين لا تخان، «ولا تخن من خانك» فيه دليل على أنه لا يجوز مكافأة الخائن بمثل فعله... ويصح الاستدلال به على أنه لا يجوز للإنسان إذا تعذر عليه استيفاء حقه أن يحبس عنده وديعة لخصمه أو عارية.

وأداء الأمانــة مــن صفات المؤمنين كما قــال تعالــى: ﴿ وَالَّذِينَ هُــمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِــمْ رَاعُــونَ ﴾[6] أي؛ إذا اؤتمنــوا لم يخونوا بل يؤدوا الأمانــات إلى أهلها، لا كإحــدى صفــات المنافقــين وهــي «إذا اؤتمــن خــان»[7]؛ فمن يخون فــلا أمانة له

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٤٠٩.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٨٧٣.

(٣) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٢٧/١، وعون المعبود للعظيم آبادي ٢٢٧/٩، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦٦/٥.

(٤) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(٥) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٠١٨.

(٦) سورة المؤمنون، الآية: ٨.

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: علامة المنافق.

ومَــن لا أمانة لــه لا إيمان له كمــا أخبرنا المصطفــى ﷺ: «**لا إيمان لمـن لا أمانة له**»[1].

وأمْــر الله - تبارك وتعالى - ورســوله ﷺ عن أداء الأمانة يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنســان من حقــوق الله -عزَّ وجلَّ- على عبــاده من الصلاة والزكاة والصيــام والكفارات والنذور وغير ذلك مما هو مؤتمــن عليه لا يطلع عليه العباد، ومــن حقوق العباد بعضهم على بعض كالأســرار والودائــع وغير ذلك مما يأتمنون بــه من غير اطلاع بينة على ذلــك، فأمَر الله -عزَّ وجلَّ- بأدائها فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه ذلك يوم القيامة كما ثبت عن رســول الله ﷺ أنه قال: «**لتُؤَدُّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**»[2].

صـدق الحديـث: صدق الحديث هو ضد الكذب؛ وهو أن يصدق الإنســان في كلامه الذي يتحدث به إلى الناس ويتحرى الصدق بكل ما يتلفظ به لسانه ويتجنب الكذب. وقد حذَّر رســول الله ﷺ من الكذب حتى ولو كان على ســبيل الإضحاك فقــال ﷺ: «**ويل للـذي يحدث بالحديـث ليضحك به القـوم فيكذب، ويـل له، ويل له**»[3].

بل إن الذي يحدث بكل ما يســمعه من الناس كفاه كذبًا، قال ﷺ: «**كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع**»[4]، أي؛ يكفيه ذلك من الكذب فإنه قد استكثر منه؛ لأن ما يسمعه الإنسان فيه الصدق وفيه الكذب، فإذا حدَّث بكل ما سمع حدَّث بالكذب لا محالة، وقد أخبر ﷺ أن من علامات المنافق: «**إذا حدَّث كذب**»[5].

ولهــذا حذَّر النبي ﷺ من الكذب حتى لا يــؤدي بصاحبه إلى النار فقال عليه الصلاة والســلام: «**إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذَّابًا**»[6]؛ فهذا

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٧١٧٩.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب: تحريم الظلم.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٨٨٥.

(٤) أخرجه مسلم في باب: النهي عن الحديث بكل ما سمع.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: علامة المنافق.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب: قبح الكذب وحسن الصدق وفضله.

تحذير من الكذب والتساهل فيه، فإنه إذا تساهل فيه كثر منه فعرف به وكتبه الله كذابًا إن اعتاده واستحق صفة الكذابين وعقابهم، فإما يُشتهر بهذه الصفة في الملأ الأعلى وإما بأن يلقى ذلك في قلوب الناس وألسنتهم. وحتى لا يقع المسلم في ذلك حث النبي ﷺ على الصدق وقصده والاعتناء به حتى يؤدي به إلى الجنة ويستحق الوصف بمنزلة الصديقين وثوابهم ويُشتهر بذلك في الملأ الأعلى أو عند الناس[1]، فقال ﷺ: «**عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صديقًا**»[2].

والله -عزَّ وجلَّ- يرضى عن الصادقين وفي الآخرة لهم الفوز العظيم، قال تعالى: ﴿**قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[3]. ولأن الصدق شأنه عظيم فقد مدح الله -عزَّ وجلَّ- نفسه به فقال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا**﴾[4]، أي: لا أحد أصدق من الله في حديثه وخبره ووعده ووعيده جلَّ شأنه وتقدست أسماؤه لا إله إلا هو ولا معبود بحق إلا هو.

حسن الجوار[5]: حسن الجوار هو أن يحسن الإنسان جوار من جاوره من الناس ومعاملتهم بالإحسان وملاطفتهم وكف طرق الأذى عنهم؛ ومَن لم يحسن جوار جاره لا يحبه الله تعالى ولا رسوله بل هو بغيض عندهما. واسم الجار يشمل المسلم والكافر، والعابد والفاسق، والصديق والعدو، والبلدي والغريب، والنافع والضار، والقريب والأجنبي، والأقرب دارًا والأبعد، وله مراتب بعضها أعلى من بعض، فأعلاها من اجتمعت فيه الصفات الأول كلها ثم أكثرها وهلم جرًّا إلى الواحد، وعكسه من اجتمعت فيه الصفات الأخرى كذلك، فيعطي كل حقه بحسب حاله،

---

(١) انظر: النووي، شرح صحيح مسلم ١٦/١٦٠.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب: قبح الكذب وحسن الصدق وفضله.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١١٩.

(٤) سورة النساء، الآية: ٨٧.

(٥) العسقلاني: فتح الباري ٥/١٩٨، ١٠/٤٤١-٤٤٦.

وقد تتعارض صفتان فأكثر فيرجح أو يساوي. وقيل إن الجيران ثلاثة: جار له حق وهو المشرك له حق الجوار، وجار له حقان وهو المسلم له حق الجوار وحق الإسلام، وجار له ثلاثة حقوق مسلم له رحم له حق الجوار والإسلام والرحم.

لقد أمر الله -عزَّ وجلَّ- ورسوله ﷺ بالإحسان إلى الجار، قال تعالى: ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ ﴾[1]. فأكد ذكر الجار بعد الوالدين والأقربين، وقال رسول الله ﷺ: **«ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورِّثه»**[2]، وكما جاء الأمر بالإحسان إلى الجار جاء أيضًا النهي عن إيذائه، فقال النبي ﷺ: **«مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره»**[3]. وقال ﷺ: **«والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن»** قيل: ومَن يا رسول الله؟ قال: **«الذي لا يأمن جاره بوائقه»**[4]. البائقة هي الداهية والشر والخصومات والغائلة والشيء المهلك. ففي هذا الحديث تأكيد حق الجار وكف الأذى عنه لقسمه ﷺ على ذلك، وتكريره اليمين ثلاث مرات. وحق الجوار ليس بكف الأذى فقط بل باحتمال الأذى أيضاً.

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: حفظ الجار من كمال الإيمان، وكان أهل الجاهلية يحافظون عليه، ويحصل امتثال الوصية به بإيصال ضروب الإحسان إليه بحسب الطاقة كالهدية، والسلام، وطلاقة الوجه عند لقائه، وتفقد حاله، ومعاونته فيما يحتاج إليه إلى غير ذلك. وقد نفى ﷺ الإيمان عمن لم يأمن جاره بوائقه وهي مبالغة تنبئ عن تعظيم حق الجار وأن إضراره من الكبائر. ويفترق الحال في ذلك بالنسبة للجار الصالح وغير الصالح؛ والذي يشمل الجميع إرادة الخير له، وموعظته بالحسنى، والدعاء له بالهداية، وترك الإضرار له إلا في الموضع الذي يجب فيه الإضرار له بالقول والفعل، والذي يخص الصالح هو جميع ما تقدم، وغير

(١) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: الوصاة بالجار.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: إثم مَن لا يأمن جاره بوائقه.

الصالح كفه عن الذي يرتكبه بالحسنى على حسب مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويعظ الكافر بعرض الإسلام عليه ويبين محاسنه والترغيب فيه برفق، ويعظ الفاسق بما يناسبه بالرفق أيضًا ويستر عليه زلله عن غيره، وينهاه برفق، فإن أفاد فبه وإلا فيهجره قاصدًا تأديبه على ذلك مع إعلامه بالسبب ليكف.

وقيل إن من حق الجار على الجار: إن استقرضك أقرضته، وإن استعانك أعنته، وإن مرض عدته، وإن احتاج أعطيته، وان افتقر عدت عليه، وإن أصابه خير هنيته، وإن أصابته مصيبة عزيته، وإذا مات اتبعت جنازته، ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذيه بريح قدرك إلا أن تغرف له، وإن اشتريت فاكهة فأهد له، وإن لم تفعل فأدخلها سرًا ولا تخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده.

قال رسول الله ﷺ: **«يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك»**[1]، وقال ﷺ: **«يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فِرْسَنَ شاة»**[2]، أي؛ لا تحقرن أن تهدي المرأة لجارتها شيئًا ولو حافر شاة لا ينتفع به في الغالب.. وأشير بذلك إلى المبالغة في إهداء الشيء اليسير وقبوله لا إلى حقيقة الفرسن؛ لأنه لم تجر العادة بإهدائه، أي؛ لا تمنع جارة من الهدية لجارتها الموجود عندها لاستقلاله بل ينبغي أن تجود لها بما تيسر وإن كان قليلاً فهو خير من العدم.. وفي الحديث الحض على التهادي ولو باليسير؛ لأن الكثير قد لا يتيسر كل وقت، وإذا تواصل اليسير صار كثيرًا، وفيه إسقاط التكلف واستحباب التوادد والتحابب، كما في قوله ﷺ: **«تهادوا تحابُّوا»**[3]، فكأنه قال: لتوادد الجارة جارتها بهدية ولو حقرت، فيتساوى في ذلك الغني والفقير، وخص النهي بالنساء؛ لأنهن موارد المودة والبغضاء؛ ولأنهن أسرع انفعالاً في كل منهما.

وإذا تأكدت هذه الحقوق للجار الإنساني، مع وجود الحائل من الجدران ونحوها التي تحجبه عن نظره فلا يطَّلع عليه، فمن الأولى أن يراعي حق الملَكين الحافظين

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب: الوصية بالجار والإحسان إليه.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: لا تحقرن جارة لجارتها.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٠٠٤.

اللذيــن ليس بينه وبينهما جدار ولا حائل فهما يطّلعــان عليه - بألا يؤذيهما بارتكاب المخالفات والمعاصي في ساعات أيامه، فقد جاء أنهما يسران بوقوع الحسنات ويحزنان بوقوع السيئات، فينبغي مراعاة جانبهما وحفظ خواطرهما بالتكثير من عمل الطاعات والمواظبة على اجتناب المعصية، فهما أولى برعاية الحق من كثير من الجيران.

أما حــد الجوار فقد اختلف فيه: فجاء عن علي رضي الله عنه: «مَن ســمع النداء فهو جار» وقيل: «مَن صلى معك صلاة الصبح في المسجد فهو جار»، وعن عائشة رضي اللــه عنها: «حــد الجوار أربعون دارًا من كل جانب» وقيــل: «أربعون دارًا عن يمينه وعن يساره ومن خلفه ومن بين يديه» وهذا يحتمل كالأولى، ويحتمل أن يريد التوزيع فيكون من كل جانب عشرة.



المؤمن القوي أحب إلى الله

قال رســول الله ﷺ: «**المؤمن القــوي خير وأحب إلى الله مــن المؤمن الضعيف وفي كلٍ خير**»[1].

المؤمــن القــوي[2]: القوة هي عزيمة النفس والقريحة فــي أمور الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقدامًا على العدو في الجهاد، وأسرع خروجًا إليه وذهابًا في طلبه، وأشــد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى فــي كل ذلك، واحتمال المشــاق فــي ذات الله تعالى، وأرغب فــي الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات، وأنشط طلبًا لها ومحافظة عليها ونحو ذلك.

والقوة هي قوة البدن وإجادة القتال بأنواع الأســلحة المســتخدمة في كل زمان ومكان وهي مما يجب أن يعدها المســلمون أفرادًا وجماعات ودولاً اتباعًا لأمر الله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْــتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾[3]؛ وذلك للجهاد في ســبيل الله وإعلاء كلمة الله وقتال أعدائهم وتحرير أراضيهم ونصرة الحق والمظلومين.

(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب: الإيمان للقدر والإذعان له.

(٢) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي ١٣/٦٤، ١٦/٢١٥، وفي ظلال القرآن لسيد قطب ٣/١٥٤٤.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

وقد خطب رسول الله ﷺ ذات يوم على المنبر فقال: **«وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي»**[1]. فقد فسرَّ النبي ﷺ القوة بالرمي، وفي الحديث فضيلة الرمي والمناضلة والاعتناء بذلك بنية الجهاد في سبيل الله تعالى، وكذلك ممارسة الرياضات القتالية واستعمال سائر أنواع السلاح، وكذلك المسابقة بالخيل وغيرها، والمراد بهذا كله التمرن على القتال والتدرب واكتساب الخبرات القتالية ورياضة الأعضاء بذلك.

ففي إعداد القوى النفسية والبدنية إرهاب للأعداء والمنافقين والكافرين والخائنين كما قال الله تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ** ﴾؛ ولهذا يجب على المسلمين إعداد هذه القوة دائمًا واستكمالها بأقصى الحدود الممكنة حتى ترهب القوى الباطلة وأعداء الله وتلقي في قلوبهم الرعب فتهاب مهاجمة ديار الإسلام ولا تفكر في الوقوف في وجه المد الإسلامي وهو ينطلق لتحرير الناس كلهم في الأرض كلها وتقرير ألوهية الله وحده وتحطيم ألوهية العبيد. فالمسلمون مكلفون أن يكونوا أقوياء، وأن يحشدوا ما يستطيعون من أسباب القوة ليكونوا مرهوبين في الأرض، ولتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، وليكون الدين كله لله.

وبالجملة فالله يحب من المؤمن أن يكون قوي النفس والبدن جميعًا حتى يقوى على نشر دينه والجهاد في سبيله وهو أحب إلى الله من المؤمن الضعيف. وأما قوله ﷺ **«وفي كلٍ خير»** فمعناه في كلٍ من القوي والضعيف خير لاشتراكهما في الإيمان مع ما يأتي به الضعيف من العبادات.



يحب الله المجاهد

قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة يحبهم الله: الرجل يلقى العدو في فئة فينصُبُ لهم نحره حتى يقتل أو يفتح لأصحابه...»**[2].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب: فضل الرمي والحث عليه.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٠٧٤.

المجاهد: هو الذي يجاهد في سبيل الله فيكر على العدو مهاجمًا ومتصديًا لهم فإما يُقتل أو يفتح لأصحابه الطريق إلى العدو، وهو إنما يفعل ذلك؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1]. فهو يتاجر بنفسه فيبيعها ويشتري الجنة، وهي أحب التجارات إلى الله -عزَّ وجلَّ- كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

وهو يفعل ذلك لأن الجهاد في سبيل الله من أحب العمل إلى الله، والمجاهد من أفضل الناس، فقد سئل رسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ: **«مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله»**[3].

وهو يفعل ذلك؛ لأنه قد **«تكفَّل الله لمن جاهد في سبيله، لا يُخرجه إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلماته بأن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة»**[4].

يحب الله قائم الليل

قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة يحبهم الله: الرجل يلقى العدو في فئة فينصُبُ لهم نحره حتى يقتل أو يفتح لأصحابه؛ والقوم يسافرون فيطول سُراهم حتى يحبوا أن يمسُّوا الأرض فينزلون؛ فيتنحى أحدهم فيصلي حتى يوقظهم لرحيلهم...»**[5].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١١.

(٢) سورة الصف، الآيات: ١٠-١٣.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب: أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾.

(٥) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٠٧٤.

قائم الليل: قائم الليل هو المسافر مع قوم حتى إذا تعبوا من السفر الطويل في الليل أحبوا التوقف للراحة والنوم، فينزلون وينامون، أما هو فيتنحى جانبًا ليصلي بدلاً من النوم كما فعل الآخرون، فيبيت لربه سجدًا وقيامًا حتى يطلع الصباح فيوقظ قومه للرحيل.

فهو يقيم الليل مصليًا بدلاً من النوم لأن الله تعالى قال: ﴿**قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾[1]؛ ولأن رسول الله ﷺ قال: «... **وصلُّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»[2]. وقد مدح الله سبحانه الذين يفعلون ذلك ويواظبون عليه وأثنى عليهم فقال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (15) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (16) كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (17) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾[3]، وقال تعالى: ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا**﴾[4]، أي؛ يتركون النوم والاضطجاع على الفرش ويقيمون الليل بالصلاة والدعاء والاستغفار. وقد أعد الله تعالى لمثل هؤلاء العباد الصالحين «**ما لا عين رات، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»[5]، فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى الله لهم في الجنات من النعيم المقيم واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد؛ قال الله تعالى: ﴿**فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[6].

فهذا تنبيه وإعلام عن عظم قيام الليل وأنه من معالي الأمور التي يجب أن يهتم بها المؤمن. وقائم الليل لا يتساوى مع نائم الليل أو تارك الصلاة في النهار والليل وقد نفى الله - تبارك وتعالى - التسوية بينهما قائلاً: ﴿**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾[7].

---

(١) سورة المزمل، الآية: ٢.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٢٦٣٠.

(٣) سورة الذاريات، الآيات: ١٥-١٨.

(٤) سورة السجدة، الآية: ١٦.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة.

(٦) سورة السجدة، الآية: ١٧.

(٧) سورة الزمر، الآية: ٩.

يحب الله الجار الصابر

قال رســـول الله ﷺ: «**ثلاثة يحبهم الله: الرجل يلقى العدو في فئة فينصُبُ لهـم نحـره حتى يقتل أو يفتح لأصحابه؛ والقوم يسـافرون فيطول سُـراهم حتى يحبـوا أن يمسُّـوا الأرض فينزلـون؛ فيتنحـى أحدهـم فيصلـي حتـى يوقظهـم لرحيلهـم، والرجـل يكون له الجار يؤذيه جاره فيصبر على أذاه حتى يفرِّق بينهما موت أو ظعن**»[1].

الجـار الصابـر: الجار الصابـــر هو الذي يكون له جار يؤذيـــه فلا يقابل الأذى بالأذى، ولا السيئة بالسيئة بل يصبر على أذى جاره ويحتسب ذلك عند الله؛ لأن من جملة الإحســـان إلى الجار تحمل أذاه، ويعمل بوصية النبي ﷺ التي أوصاها لرجل جاء يشـــكو جاره، فقال له النبي ﷺ: «**اذهب فاصبر**»[2]؛ ذلك لأنه يريد أن يكون كما قال النبي ﷺ: «**خير الجيران عند الله خيرهم لجاره**»[3].

وهو يحـــب كذلك أن يكون من أهل هذه الآية: ﴿**وَالْكَاظِمِـينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِـنِينَ**﴾[4]. فهو يكظم غيظه على أذى جاره ويعفو عما يصدر منه من أفعال سيئة تجاهه؛ لأن العفو عن الناس وخصوصًا الجار من أجلِّ ضروب فعل الخير، وصبر الجار على أذى جاره لن يضيع عند الله تعالى بل سيجزيه أحسن الجزاء وبغير حساب، قال الله تعالى: ﴿**وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[5]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[6].

قـــال بعض أهل العلم: الصبر علـــى الأذى جهاد النفس، وقد جبل الله الأنفس على التألم بما يفعل بها ويقال لها؛ ولهذا شق على النبي ﷺ نسبتهم له إلى الجور في القســـمة، لكنه حلم عن القائل فصبر لما علم من جزيل ثواب الصابرين وأن الله

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٠٧٤.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤٢٩٢.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٥٨٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٤.

(٥) سورة النحل، الآية: ٩٦.

(٦) سورة الزمر، الآية: ١٠.

تعالى يأجره بغير حساب، والصابر أعظم أجرًا من المنفق؛ لأن حسنته مضاعفة إلى سبع مئة، والحسنة في الأصل بعشر أمثالها إلا من شاء الله أن يزيده[1].

يحب الله الزاهد في الدنيا

قال رسول الله ﷺ: «**ازهد في الدنيا يحبك الله**»[2].

الزهد في الدنيا[3]: الزهد في الدنيا هو ترك ما لا يحتاج إليه من الدنيا وإن كان حلالاً والاقتصار على الكفاية والورع وترك الشبهات. فللزهد في الدنيا حقيقة وأصل وثمرة: أما حقيقته فهو عزوف النفس عن الدنيا وانزواؤها عنها طوعًا مع القدرة عليه. وأما أصله فهو العلم والنور الذي يشرق في القلب حتى ينشرح به الصدر، ويتضح به أن الآخرة خير وأبقى، وأن نسبة الدنيا إلى الآخرة أقل من نسبة حصى إلى جوهرة. وأما ثمرته فهي القناعة من الدنيا بقدر الضرورة، وهو قَدْر زاد الراكب. فالأصل نور المعرفة، فيثمر حال الانزواء، ويظهر على الجوارح بالكف إلا عن قدر الضرورة في زاد الطريق.

والزهد على درجات: إحداها، أن يزهد ونفسه مائلة إلى الدنيا ولكن يجاهدها وهذا متزهد وليس بزاهد. ولكن بداية الزهد التزهد. الثانية، أن تنفر نفسه عن الدنيا ولا تميل إليها، لعلمه أن الجمع بينها وبين نعيم الآخرة غير ممكن، فتسمح نفسه بتركها، كما تسمح نفس من يبذل درهمًا ليشتري جوهرة، وإن كان الدرهم محبوبًا عنده وهذا زهد. الثالثة، ألا تميل نفسه إلى الدنيا ولا تنفر عنها، بل يكون وجودها وعدمها عنده بمثابة واحدة، ويكون المال عنده كالماء، وخزانة الله تعالى كالبحر، فلا يلتفت قلبه إليه رغبة ونفورًا. وهذا هو الأكمل؛ لأن الذي يبغض شيئًا فهو مشغول به كالذي يحبه.

---

(١) فتح الباري ١٠/٥١١-٥١٢.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٣٣١٠.

(٣) راجع: إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ٣/٢١٤، وكتاب الأربعين في أصول الدين ١٥٤،١٥٧، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٧/١٩٢-١٩٣، ١٨/٩٣، والفوائد لابن القيم ١٢٢-١٢٤، وفتح الباري للعسقلاني ١١/٢٧٠.

لقد ذم الله تعالى الدنيا وزهَّد فيها في كثير من الآيات، وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا والزهد فيها وصرف الخلق عنها وترغيبهم في الآخرة ودعوتهم إليها. قال الله تعالى: ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ** ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ **وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾[2]؛ فهذا من الله - جل وعلا - تزهيد في الدنيا وتقليلها وتحقيرها وترغيب في حسن المرجع إلى الله تعالى في الآخرة التي هي الحياة الدائمة الحق التي لا زوال لها ولا انقضاء بل هي مستمرة أبد الآباد.

وقد حث رسول الله ﷺ في كثير من الأحاديث على الزهد في الدنيا؛ لأنها كما قال ﷺ: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء**»[3]. وقال ﷺ: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»[4]. وزاد في رواية أخرى: «**وعُدَّ نفسك من أهل القبور**»[5]. وكان ﷺ يرغِّب في الآخرة لأنها هي دار المقر وما الدنيا فيها إلا كما قال ﷺ: «**والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليم، فلينظر بم يرجع**»[6]، فما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة في قصر مدتها وفناء لذاتها ودوام الآخرة ودوام لذاتها ونعيمها إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالإصبع إلى باقي البحر.

وهكذا كانت حياته ﷺ وقد قال ﷺ: «**لو كان لي مثل أُحد ذهبًا؛ ما يسرني أن لا تمر عليَّ ثلاث ليالٍ وعندي منه شيء إلا شيئًا أرصده لدَين**»[7]. فقد كان النبي ﷺ

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٤-١٥.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٨٨٩.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: قول النبي ﷺ «**كن في الدنيا كأنك غريب...**».

(٥) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٩٠٢.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الجنة، باب: فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة.

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: قول النبي ﷺ «**ما يسرني ان عندي مثل احد هذا ذهبًا**».

في أعلى درجات الزهد في الدنيا بحيث أنه لا يحب أن يبقى بيده شيء من الدنيا إلا لإنفاقه فيمن يستحقه، وإما لإرصاده لمن له حق، وإما لتعذر من يقبل ذلك منه. وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها**»[1]، و«**ما ترك رسول الله ﷺ، عند موته درهمًا ولا دينارًا، ولا عبدًا ولا أمة، ولا شيئًا إلا بغلته البيضاء وسلاحه، وأرضًا جعلها صدقة**»[2].

إن إيثار الدنيا على الآخرة يكون إما من فسادٍ في الإيمان، وإما من فساد في العقل. وما أكثر ما يكون منهما. ولهذا نبذها رسول الله ﷺ وراء ظهره هو وأصحابه وصرفوا عنها قلوبهم، وطرحوها ولم يألفوها، وهجروها ولم يميلوا إليها، وعدُّوها سجنًا لا جنة، فزهدوا فيها حقيقة الزهد.. وعلموا أنها معبر وممر لا دار مقام ومستقر، وأنها دار عبور لا دار سرور، وأنها سحابة صيف تتقشع عن قليل، وخيال طيف ما استتم الزيارة حتى أذَّن بالرحيل.

قال عليه الصلاة والسلام: «**الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر**»[3]؛ فكل مؤمن مسجون ممنوع في الدنيا من الشهوات المحرمة والمكروهة، مكلف بفعل الطاعات الشاقة، فإذا مات استراح من هذا وانقلب إلى ما أعد الله تعالى له من النعيم الدائم والراحة الخالصة من النقصان.

فالزاهد في الدنيا هو الذي علم أن الله -عزَّ وجلَّ- قد أهان الدنيا، وأنه لم يرضها لأوليائه، وأنها عنده حقيرة قليلة، وأن رسول الله ﷺ زهَّد فيها وحذَّر أصحابه من فتنتها. وهو الذي نظر في الدنيا وسرعة زوالها وفنائها واضمحلالها ونقصها وخستها وألم المزاحمة عليها والحرص عليها، وما في ذلك من الغصص والنغص والأنكاد، وآخر ذلك الزوال والانقطاع مع ما يعقب من الحسرة والأسف. ونظر في الآخرة وإقباله ومجيئها ولا بد، ودوامها وبقائها، وشرف ما فيها من الخيرات والمسرَّات والتفاوت الذي بينها وبين ما في الدنيا. وإذا كان أغلب الناس لا يتركون

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٩٣٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب: الوصايا.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزهد.

النفع العاجل واللذة الحاضرة إلــى النفع الآجل واللذة الغائبة المنتظرة؛ فالزاهد في الدنيا قد تبين له فضل الآجل على العاجل، وقويت رغبته في الأعلى الأفضل.

فالمؤمــن الذي يحبه اللــه هو الذي لا يركن إلى الدنيــا ولا يتخذها وطنًا، ولا يحدِّث نفســه بطول البقاء فيها، ولا بالاعتناء بهــا، ولا يتعلق منها إلا بما يتعلق به الغريب في غير وطنه، ولا يشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله ووطنه.



يحب الله قارئ سورة الإخلاص

عن عائشة أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بقل هو الله أحد، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «**سَـلوه لأي شـيء يصنع ذلك؟**» فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: «**أخبروه أن الله يحبه**»[(١)].

قال ابن دقيق العيد: يحتمل أن يكون ســبب محبة الله له محبته لهذه السورة، ويحتمــل أن يكون لما دل عليه كلامه؛ لأن محبته لذكر صفات الرب دالة على صحة اعتقاده. قــال المازري: محبة الله لعباده إرادته ثوابهــم وتنعيمهم، وقيل: هي نفس الإثابة والتنعيم. وقال ابن التين: معنى محبة المخلوقين لله إرادتهم أن ينفعهم.

وقال القرطبي في المفهم: محبة الله لعبده تقريبه له وإكرامه وليست بميل ولا غرض كما هي من العبد، وليســت محبة العبد لربه نفس الإرادة بل هي شيء زائد عليها، فإن المرء يجد من نفسه أنه يحب ما لا يقدر على اكتسابه ولا على تحصيله، والإرادة هي التي تخصص الفعل ببعض وجوهه الجائزة ويحس من نفسه أنه يحب الموصوفين بالصفات الجميلة والأفعال الحسنة كالعلماء والفضلاء والكرماء وإن لم يتعلــق له بهم إرادة مخصصة، وإذا صح الفرق فالله - ســبحانه وتعالى - محبوب لمحبيه على حقيقة المحبة كما هو معروف عند من رزقه الله شيئًا من ذلك، فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من محبيه المخلصين[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى.

(٢) العسقلاني: فتح الباري ١٣/٣٥٧-٣٥٨.

يحب الله الكرماء والجودة

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله كريم يحب الكرماء، جواد يحب الجودة**»[1].

الكرم والجود والسخاء[2]: الكرم والجود والسخاء هو بذل ما يُقتنى بغير عوض، وضده البخل الذي هو منع ما يُطلب مما يُقتنى، ولا يقال للرجل كريم حتى يظهر ذلك منه، ولما كان أكرم الأفعال ما يُقصد به أشرف الوجوه، وأشرفها ما يُقصد به وجه الله تعالى، وإنما يحصل ذلك من المتقي - قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[3]. قال رسول الله ﷺ: «**الحسب: المال. والكرم: التقوى**»[4]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ: مَن أكرم الناس؟ قال: «**أكرمهم أتقاهم**»[5].

فأكرم الناس من اتقى الله، والكريم: التقي. والكريم لا يكون حقودًا ولا حسودًا، ولا شامتًا، ولا باغيًا، ولا ساهيًا، ولا لاهيًا، ولا فاجرًا، ولا فخورًا، ولا كاذبًا، ولا ملولاً، ولا يقطع إلفه، ولا يؤذي إخوانه، ولا يضيع الحفاظ، ولا يجفو في الوداد، يعطي من لا يرجو، ولا يأمن من لا يخاف، ويعفو عن قدرة، ويصل عن قطيعة.. الكريم يلين إذا استعطف، ويُجل الكرام، ولا يهين اللئام، ولا يؤذي العاقل، ولا يمازح الأحمق، ولا يعاشر الفاجر، مؤثرًا إخوانه على نفسه باذلاً لهم ما ملك، إذا اطلع على رغبة من أخ لم يدع مكافأتها، وإذا عرف منه مودة لم ينظر في قلق العداوة، وإذا أعطاه من نفسه الإخاء لم يقطعه بشيء من الأشياء.. إن كرام الناس أسرعهم مودة، وأبطؤهم عداوة. الكريم مَن أعطاه شَكره، ومَن منعه عَذره، ومن قطعه وصله، ومن وصله فضله، ومن سأله أعطاه، ومن لم يسأله ابتدأه، وإذا

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٠٠.

(٢) راجع: إحياء علوم الدين للغزالي ٢٥٩/٣-٢٦١، وروضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان ١٣٦-١٣٨، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨/١٨-٢٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٦٢/٤، ومدارج السالكين لابن القيم ٢٧٩/٢-٢٨٢.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٦٠٩.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ﴿أم كنتم شهداء﴾ -إلى قوله- ﴿ونحن له مسلمون﴾.

استضعف أحدًا رحمه، وإذا استضعفه أحد رأى الموت أكرم له منه.. الكريم يحسن الذكر، ويشـرف القدر، محمود الأثر في الدنيـا، مرضى العمل في العقبى، يحبه القريب والقاصي، ويألفه المتسـخط والراضي، يفارقـه الأعداء واللئام، ويصحبه العقلاء والكرام.

والسـخاء من أخلاق الأنبياء عليهم السـلام وهو أصل من أصول النجاة، وقد **«كان رسـول الله ﷺ أجود الناس»**[1]، وأرفع درجات السـخاء الإيثار. فالسخاء عبارة عـن بذل ما لا يحتاج إليه لمحتاج أو لغير محتاج، أما الإيثار فهو أن يجود بالمال مع الحاجة، والبذل مع الحاجة أشـد. وليس بعد الإيثار درجة في السـخاء، وقد أثنى الله -عزَّ وجلَّ- على الصحابة رضي الله عنهم فقال تعالى: ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ﴾[2].

فالإيثار هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية، ورغبة في الحظوظ الدينية. وذلك ينشـأ عن قوة اليقين، وتوكيد المحبة، والصبر على المشـقة. ومن يفعل ذلك فقد وقى شُحَّ نفسه وأفلح فلاحًا لا خسارة بعده. والإيثار بالنفس فوق الإيثار بالمال وإن عاد إلى النفس. ومن الأمثال السائرة:

والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وأفضل الجود بالنفس الجود على حماية الدين وكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، والجهـاد لجعل كلمة الذين كفروا السـفلى وكلمة الله هـي العليا. قيل: أجود الناس في الدنيا من جاد بحقوق الله، وإن رآه الناس بخيلاً بما سوى ذلك.

وقيل: إن الجود عشـر مراتب: الجود بالنفس، الجود بالرياسة، الجود بالراحة والرفاهيـة وإجمام النفس، الجود بالعلم وبذله، الجـود بالنفع بالجاه، الجود بنفع البدن على اختلاف أنواعـه، الجود بالعرض، الجود بالصبر والاحتمال والإغضاء، الجود بالخُلق والبشر والبسطة، الجود بترك ما في أيدي الناس عليهم.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب: ٥.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٩.

قال رسـول الله ﷺ: «**أفضل الصدقة جهد المقل**»[1]؛ والمقل هو الفقير الصابر على الجوع القليل المال؛ وهذا المقام أعلى من حال ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ** ﴾[2]، و﴿ **وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ** ﴾[3]، فإن هـؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به، وقد لا يكـون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به، وهؤلاء آثروا على أنفسـهم مع خصاصتهم وحاجتهـم إلـى ما أنفقوه، ومن هـذا المقام تصدق أبو بكـر الصديق رضي الله عنه بجميع ماله فقال له رسـول الله ﷺ: «**يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟**» فقال: أبقيت لهم الله ورسوله[4].

أما الجود فقد قيل إنه عطاء بلا من وإسعاف من غير روية. وقيل: الجود عطاء من غير مسـألة على رؤية التقليل. وقيل: الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما أمكن. وقيل: الجود عطاء على رؤية أن المال لله تعالى والعبد لله -عزَّ وجلَّ- فيعطى عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر. وقيل: من أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سـخاء، ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسـه شيئًا فهو صاحب جود، ومن قاسى الضـر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب إيثار، ومن لم يبذل شـيئًا فهو صاحب بخل. وقيل: الجود وسـط بين الإسـراف والإقتار وبين البسـط والقبض كما قال تعالى: ﴿ **وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ** ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا** ﴾[6].

وقيل: السـخي هـو الذي لا يمنع واجب الشـرع كالـزكاة والنفقة على الأهل والعيال، ولا واجب المروءة وهو ترك المضايقة في الدقائق مع من لا تحسن المضايقة معه، فإن منع واحدًا منها فهو بخيل، ولكن الذي يمنع واجب الشرع أبخل.. فمن أدى واجب الشـرع وواجب المروءة اللائقة به فقد تبرأ من البخل. نعم لا يتصف بصفة

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١١١٢.

(٢) سورة الإنسان، الآية: ٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٠١.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

(٦) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

الجود والسـخاء مـا لم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلـة ونيل الدرجات، فإذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا تتوجه إليه الملامة في العادة فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسه من قليل أو كثير. ودرجات ذلك لا تحصر وبعض الناس أجـود من بعض، فاصطناع المعروف وراء ما توجبه العادة والمروءة هو الجود، ولكن بشـرط أن يكون عن طيب نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة أو مكافأة أو شكر أو ثناء، فإن مَن طمع في الشـكر والثناء فهو بياع وليس بجواد، فإنه يشـتري المدح بماله والمدح لذيذ وهو مقصود في نفسـه، والجود هو بذل الشيء من غير عوض. هذه هي الحقيقة ولا يتصور ذلك إلا من الله تعالى، أما الآدمي فاسـم الجود عليه مجاز إذ لا يبذل الشـيء إلا لغرض، ولكنه إذا لم يكن غرضه إلا الثواب في الآخرة أو اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جوادًا.



أحب العباد إلى الله النافع لعياله

قال رسول الله ﷺ: «**أحب العباد إلى الله تعالى أنفعهم لعياله**»(1).

أنفعهـم لعيالـه: أنفعهـم لعياله هو الـذي ينفع أهله وأولاده بـأن يقيهم النار بتعليمهم الدين وتنشئتهم عليه ومتابعتهم على الالتزام به، ويؤدي إليهم ما عليه من حقوق وواجبات من نفقة وغيرها، قال ﷺ: «**إذا أنفق المسـلم نفقة على أهله - وهو يحتسبها - كانت له صدقة**»(2).

وقال ﷺ: «**أفضـل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه علـى عياله**»(3)، وهو أعظم أجرًا من الدينار الذي ينفقه في سـبيل الله أو في فك رقبة أو على مسـكين لقوله ﷺ: «**أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك**»(4)، وقال عليه الصلاة والسلام: «**ومهما أنفقت فهو لك صدقة، حتى اللقمة ترفعها في فِي امرأتك**»(5).

---

(1) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٧٢.

(2) أخرجه البخاري في كتاب النفقات، باب: فضل النفقة على الأهل.

(3) أخرجه مسلم في كتب الزكاة، باب: فضل النفقة على العيال والمملوك.

(4) أخرجه مسلم في كتب الزكاة، باب: فضل النفقة على العيال والمملوك.

(5) أخرجه البخاري في كتاب النفقات، باب: فضل النفقة على الأهل.

وهو الذي يدخل السرور إلى قلوب عياله بأنواع من الترفيه المباح، ويحرص على درء المفاسد عنهم، وجلب المصالح لهم.

وأحب العباد إلى الله أنفعهم لعياله بالهداية إلى الله، والتعليم لما يصلحهم، والعطف عليهم، والترحم والشفقة، والإنفاق عليهم من فضل ما عنده، وغير ذلك من وجوه الإحسان الأخروية والدنيوية. وفيه حث على فضل قضاء حوائج الخلق ونفعهم بما تيسر من علم أو مال أو جاه أو إشارة أو نصح أو دلالة على خير أو إعانة أو شفاعة أو غير ذلك[1].

وفي الحديث رد على من رفض الدنيا بالكلية من النساك وترك الناس وتخفى للعبادة محتجًا بآية ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[2]، وخفي عليه أن أعظم عبادة الله ما يكون نفعها عائدًا لمصالح عباده.



أحب العباد إلى الله أعجلهم فطرًا

قال رسول الله ﷺ: **«يقول الله عزَّ وجلَّ: إن أحبَّ عبادي إليَّ أعجلهم فطرًا»**[3].

تعجيل الفطر[4]: لقد حث رسول الله ﷺ على تعجيل الفطر للصائم وقال ﷺ: **«لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر»**[5]، ومن أعظم هذا الخير أن الصائم الذي يعجل الفطر يكون من أحب عباد الله إلى الله، ففي تعجيله الفطر بعد تحقق غروب الشمس علامة على محافظته على هذه السُنَّة، وابتعاده عن البدعة، والمخالفة لأهل الكتاب. وهذه السنة أرفق بالصائم وأقوى له على العبادة.

---

(١) المناوي: فيض القدير ٣/٥٠٥.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٣) مسند أحمد، رقم: ٧٢٤٠، وقال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.

(٤) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي ٧/٢٠٨، وفتح الباري للعسقلاني ٤/١٩٩، وعون المعبود للعظيم آبادي ٦/٣٤٣-٣٤٤.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب: تعجيل الإفطار.

ولا يزال أمر الأمة الإسلامية منتظمًا وهم بخير ما داموا محافظين على هذه السنة، واقفين عند حدها غير متنطعين بعقولهم ما يغير قواعدها، وإذا أخروا الفطر كان ذلك علامة على فساد يقعون فيه.

ثم إن تعجيل الفطر وعدم تأخيره فيه ظهور الدين ومخالفة اليهود والنصارى الذين كانوا يؤخرون الفطر، وقد قال النبي ﷺ: «**لا يزال الدين ظاهرًا، ما عجَّل الناس الفطر؛ لأن اليهود والنصارى يؤخرون**»[1]، وظهور الدين مستلزم لدوام الخير، ودوام الخير بتعجيل الفطر. فلا يزال الدين غالبًا وعاليًا أو واضحًا ولائحًا ما عجَّل الناس الفطر وخالفوا اليهود والنصارى الذين يؤخرونه؛ قال الطيبي: في هذا التعليل دليل على أن قوام الدين الحنيفي على مخالفة الأعداء من أهل الكتاب وأن في موافقتهم تلفًا للدين.



يحب الله العبد التقي الغني الخفي

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي**»[2].

التقي: التقي هو الذي يؤمن بالغيب، ويقيم الصلاة، وينفق مما رزقه الله، ويؤمن بما أُنزل إلى محمد ﷺ وما أُنزل من قبله، ويوقن بالآخرة، ويوفي بعهده، ويتقي محارم الله، ويطيع الله ويتبع شريعته التي بعث بها خاتم رسله وسيدهم.

الغني[3]: المراد بالغنى غنى النفس، هذا هو الغنى المحبوب لقوله ﷺ: «**ولكن الغنى غنى النفس**»[4]، قال ابن بطال: معنى الحديث ليس حقيقة الغنى كثرة المال؛ لأن كثيرًا ممن وسع الله عليه في المال لا يقنع بما أوتي فهو يجتهد في الازدياد ولا يبالي من أين يأتيه، فكأنه فقير لشدة حرصه، وإنما حقيقة الغنى غنى النفس، وهو من استغنى بما أوتي وقنع به ورضى ولم يحرص على الازدياد ولا ألح في الطلب،

---

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٢٠٦٣.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد.

(٣) راجع فتح الباري للعسقلاني ١١/٢٧٢-٢٧٣.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: الغنى غنى النفس.

فكأنه غني. وقال القرطبي: معنى الحديث إن الغنى النافع أو العظيم أو الممدوح هو غنى النفس، وبيانه أنه إذا استغنت نفسه كفت عن المطامع فعزت وعظمت وحصل لها من الحظوة والنزاهة والشرف والمدح أكثر من الغنى الذي يناله من يكون فقير النفس لحرصه فإنه يورطه في رذائل الأمور وخسائس الأفعال لدناءة همته وبخله، ويكثر من يذمه من الناس ويصغر قدره عندهم فيكون أحقر من كل حقير وأذل من كل ذليل.

والحاصل أن المتصف بغنى النفس يكون قانعًا بما رزقه الله، لا يحرص على الازدياد لغير حاجة ولا يلح في الطلب ولا يلحف في السؤال، بل يرضى بما قسم الله له، فكأنه واجد أبدًا، والمتصف بفقر النفس على الضد منه لكونه لا يقنع بما أعطي بل هو أبدًا في طلب الازدياد من أي وجه أمكنه، ثم إذا فاته المطلوب حزن وأسف، فكأنه فقير من المال؛ لأنه لم يستغن بما أعطي، فكأنه ليس بغني. ثم غنى النفس إنما ينشأ عن الرضا بقضاء الله تعالى والتسليم لأمره علمًا بأن الذي عند الله خير وأبقى، فهو معرض عن الحرص والطلب. وقال الطيبي: يمكن أن يراد بغنى النفس حصول الكمالات العلمية والعملية، وإلى ذلك أشار القائل:

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر

أي ينبغي أن ينفق أوقاته في الغنى الحقيقي وهو تحصيل الكمالات، لا في جمع المال فإنه لا يزداد بذلك إلا فقرًا. قال ابن حجر: وهذا وإن كان يمكن أن يراد لكن الذي تقدم أظهر في المراد، وإنما يحصل غنى النفس بغنى القلب بأن يفتقر إلى ربه في جميع أموره فيتحقق أنه المعطي المانع فيرضى بقضائه ويشكره على نعمائه ويفزع إليه في كشف ضرائه، فينشأ عن افتقار القلب لربه غنى نفسه عن غير ربه تعالى، والغنى الوارد في قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾[1]. يتنزل على غنى النفس، فإن الآية مكية ولا يخفى ما كان فيه النبي ﷺ قبل أن تفتح عليه خيبر وغيرها من قلة المال والله أعلم.

---

(١) سورة الضحى، الآية: ٨.

الخفي: الخفي هو الخامل المنقطع إلى العبادة والاشتغال بأمور نفسه، قال رسول الله ﷺ: «**رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرَّه**»[1]، الأشعث الملبد الشعر المغبر غير مدهون ولا مرجل، ومدفوع بالأبواب أي لا قدر له عند الناس فهم يدفعونه عن أبوابهم ويطردونه عنهم احتقارًا له، لو أقسم على الله لأبرَّه أي لو حلف على وقوع شيء أوقعه الله إكرامًا له بإجابة سؤاله وصيانته من الحنث في يمينه، وهذا لعظم منزلته عند الله تعالى وإن كان حقيرًا عند الناس، وقيل معنى القسم هنا: الدعاء، وإبراره: إجابته[2].

إن الله يحب التقي الخفي الذي إن غاب لم يفتقد وإن حضر لم يعرف، لا يتظاهر بالخير وإظهار العمل والعلم، ولا يطلب الجاه في قلوب الخلق، يقنع باطلاع الخالق على طاعته دون اطلاع الخلق، ويقنع بحمد الله وحده دون حمد الناس، يكره الشهرة ويفضل خمول الذكر.



يحب الله الحييَّ العفيف المتعفف

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى... يحب الحييَّ العفيف المتعفف**»[3].

الحيي العفيف المتعفف: الحيي العفيف المتعفف هو الفقير المنكف عن الحرام الذي لا مال له ومع ذلك يتعفف ولا يُظهر الشكوى والفقر، ويتوكل على الله ويسأله الرزق، ويستحي أن يسأل الناس أن يتصدقوا عليه من أموالهم حتى أن الناس الذين يجهلون حقيقة أمره وحاله يظنونه غنيًا من التعفف والتنزه عن المسألة، كما قال الله تعالى: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا**﴾[4].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل الضعفاء والخاملين.

(٢) النووي: شرح صحيح مسلم ١٦/١٧٤- ١٧٥.

(٣) صحيح الجامع الصغير: رقم: ١٧١١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٧٣.

قال النبي ﷺ: **«ليس المسكين بالذي ترده التمرة والتمرتان، ولا اللقمة واللقمتان، إنما المسكين المتعفف، اقرؤوا إن شئتم لا يسألون الناس إلحافًا»**(١). وفي رواية: **«ولكن المسكين الذي ليس له غنىً ويستحي، أو لا يسأل الناس إلحافًا»**(٢)، وفي رواية: **«ولكن المسكين الذي لا يجد غنىً يغنيه، ولا يُفطن به فيُتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس»**(٣).

يحب الله لقاء مَن يحب لقاءه

قال رسول الله ﷺ: **«مَن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه»**(٤).

حب لقاء الله: فسَّرَ رسول الله ﷺ مَن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه عندما سألته عائشة رضي الله عنها فقالت: يا نبي الله أكراهية الموت فكلنا نكره الموت، فقال ﷺ: **«ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّرَ برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه»**(٥).

وجاء شريح بن هانئ إلى عائشة -رضي الله عنها- فقال: يا أم المؤمنين! سمعت أبا هريرة يذكر عن رسول الله ﷺ حديثًا إن كان كذلك فقد هلكنا، فقالت: إن الهالك مَن هلك بقول رسول الله ﷺ وما ذاك؟ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومَن كره لقاء الله كره الله لقاءه»**. وليس منا أحد إلا وهو يكره الموت. فقالت: قد قاله رسول الله ﷺ وليس بالذي تذهب إليه، ولكن إذا شخص البصر، وحشرج الصدر، واقشعر الجلد، وتشنجت الأصابع فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه(٦).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب: النهي عن المسألة.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب: قول الله تعالى ﴿لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب: قول الله تعالى ﴿لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الذكر، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

واللقـــاء يقع على أوجه: منها المعاينة، ومنها البعث كقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَـاءِ اللَّهِ ﴾[1]، ومنها الموت كقوله: ﴿ مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ ﴾[2]، وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِـرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ﴾[3]. قيل: المراد بلقاء الله هنا المصير إلى الدار الآخرة وطلب ما عند الله، وليس الغرض به الموت؛ لأن كلاً يكرهه، فمن ترك الدنيا وأبغضها فلا يحب استمرار الإقامة فيها بل يستعد للارتحال عنها أحب لقاء الله[4].

والكراهة المعتبرة هـــي التي تكون عند النزع في حالة لا تقبل توبته ولا غيرها فحينئذ يبشـــر كل إنسان بما هو صائر إليه وما أعد له ويكشف له عن ذلك، فأهل السعادة يحبون الموت ولقاء الله لينتقلوا إلى ما أعد لهم ويحب الله لقاءهم، ويجزل لهم العطاء والكرامة[5].

يحب الله مَن يحب في الله

عـــن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**أن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى فأرصد الله له علـى مدرجتـه مَلَـكًا فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريـد أخًا لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تربُها؟ قال: لا غير أني أحببته في الله عزَّ وجلَّ. قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه**»[6]. معنى أرصده أي أقعده يرقبه، والمدرجة هي الطريق ســميت بذلك؛ لأن الناس يدرجون عليها أي يمضون ويمشـــون. وهل لك عليه من نعمة تربُها، أي تقوم بإصلاحها وتنهض إليه بسبب ذلك.

الحب في الله[7]: في هذا الحديث فضل المحبة في الله تعالى وأنها سبب لحب

(١) سورة يونس، الآية: ٤٥.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٥.

(٣) سورة الجمعة، الآية: ٨.

(٤) العسقلاني: فتح الباري ١١/٣٥٩-٣٦٠.

(٥) النووي: شرح صحيح مسلم ١٧/١٠.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل الحب في الله تعالى.

(٧) راجع: الروح لابن القيم ٢٤١-٢٤٣، وكتاب الأربعين في أصول الدين للغزالي ٦٤.

الله تعالى العبد، وقد قال رسول الله ﷺ: **«إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أُظِلُّهُم في ظلِّي يوم لا ظلَّ إلا ظلِّي»**[1].

وقـال ﷺ: **«قـال اللـه تعالى: حُقَّـت محبتي للمتحابـين فيَّ، وحُقَّـت محبتي للمتواصلين فيَّ، وحُقَّت محبتي للمتناصحين فيَّ، وحُقَّت محبتي للمتزاورين فيَّ، وحُقَّـت محبتي للمتباذلين فيَّ. المتحابون فيَّ على منابر من نور، يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء»**[2].

إن كل حـب لا يتصور دون الإيمان بالله واليوم الآخر، فهو حب في الله، ولكنه علـى درجتين: إحداهما؛ أن تحبه لتنـال منه في الدنيا نصيبًا يوصلك إلى الآخرة، كحبك أستاذك وشيخك، بل تلميذك الذي ينمو علمك بتعليمه.. الثانية، وهي أعلى، أن تحبه لأنه محبوب عند الله -عزَّ وجلَّ- ويحب الله تعالى، وإن لم يتعلق غرض به لك في الدنيا والآخرة، من علم أو معونة على دين أو غيره، وهذا أكمل.. ومن أحب لقـاء الله لم يمكنه ألا يحب عباده الصالحين المرضيين عنهم، إلا أن ذلك قد يقوى حتى يحمل على أن يسلك بهم مسلك نفسه، بل يؤثرهم على نفسه.

فالحـب فـي الله هو من كمال الإيمـان، والمحب في الله تابـع لمحبة الله فإذا تمكنت محبته من قلب العبد أوجبت تلك المحبة أن يحب ما يحبه الله، فإذا أحب ما أحبه ربه ووليه كان ذلك الحب له وفيه كما يحب رسـله وأنبياءه وملائكته وأولياءه لكونـه تعالى يحبهم، ويبغض من يبغضهم لكونه تعالى يبغضهم، وعلامة هذا الحب والبغـض في الله أنه لا ينقلـب بغضه لبغيض الله حبًا لإحسـانه إليه وخدمته له وقضاء حوائجه، ولا ينقلب حبه لحبيب الله بغضًا إذا وصل إليه من جهته ما يكرهه ويؤلمه إما خطأ وإما عمدًا مطيعًا لله فيه أو متأولاً أو مجتهدًا أو باغيًا نازعًا تائبًا، والدين كله يدور على أربع قواعد: حبٍ وبغضٍ ويترتب عليهما فعل وترك؛ فمن كان حبه وبغضه وفعله وتركه لله فقد اسـتكمل الإيمـان بحيث إذا أحب أحب لله، وإذا

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل الحب في الله تعالى.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٤٣٢١.

أبغض أبغض لله، وإذا فعل فعل لله، وإذا ترك ترك لله، وما نقص من أصنافه هذه الأربعة نقص من إيمانه ودينه بحسبه..

والمحب في الله عليه حقوق كثيرة لمن يحبه في الله تعالى، ومن هذه الحقوق: أن يخبره بأنه يحبه في الله -عزَّ وجلَّ-، وأن يبذل له نفسه وماله في مهماته في جميع حالاته، ويعينه في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة، ولا يكلفه ما يشق عليه، ولا يتكلف له، ويسكت عن ذكر عيوبه ولا يماريه ولا يناقشه ولا يسيء الظن به، ولا يهجره فوق ثلاثة أيام، ولا يفشي سره، ويدعوه بأحب أسمائه إليه، ويثني عليه بما يعرف من محاسن أحواله، وينصره ظالمًا أو مظلومًا، ويعلمه وينصح له ويرشده إلى كل ما ينفعه في الدين والدنيا، ويستره ويعفو عن زلاته وهفواته، ولا يقطعه ولا يهجره، ويعوده إذا مرض، ويقف بجانبه عند المصيبة وحوادث الزمان، ويقبل عذره، ويثبت على حبه، ويفي ويخلص له، ويدعو له في حياته وبعد مماته بكل ما يحبه لنفسه وأهله.

أما محبة ما زينه الله للنفوس من النساء والبنين والذهب والفضة والخيل المسوَّمة والأنعام والحرث فيحبها محبة شهوة كمحبة الجائع للطعام والظمآن للماء، فهذه المحبة ثلاثة أنواع: فإن أحبها لله توصلاً بها إليه واستعانة على مرضاته وطاعته أثيب عليها وكانت من قسم الحب لله توصلاً بها إليه ويلتذ بالتمتع بها، وهذا حاله أكمل الخلق ﷺ الذي حبب إليه من الدنيا النساء والطيب وكانت محبته لهما عونًا له على محبة الله وتبليغ رسالته والقيام بأمره. وإن أحبها لموافقة طبعه وهواه وإرادته ولم يؤثرها على ما يحبه الله ويرضاه بل نالها بحكم الميل الطبيعي كانت من قسم المباحات ولم يعاقب على ذلك ولكن ينقص من كمال محبته لله والمحبة فيه. وإن كانت هي مقصوده ومراده وسعيه في تحصيلها والظفر بها وقدَّمها على ما يحبه الله ويرضاه منه كان ظالمًا لنفسه متبعًا لهواه.

فالأولى: محبة السابقين.

والثانية: محبة المقتصدين.

والثالثة: محبة الظالمين.

يحب الله علي بن أبي طالب

عن سـهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: **«لأعطين هذه الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»**. قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم: أيهم يُعطاها؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يُعطاها، فقال: **«أين علي بن أبي طالب؟»** فقيل: هو يا رسـول الله يشـتكي عينيه. قال: **«فأرسلوا إليه»**. فأتي به فبصق رسـول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتـى كأن لـم يكن به وجع، فأعطاه الراية. فقال علي: يا رسـول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا. فقال: **«انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهـم بمـا يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم»**[1].

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، القرشي الهاشمي، أبو الحسن والحسـين، ابن عم رسول الله ﷺ. وُلد قبل البعثة بعشر سنين، وكان قد رباه النبي ﷺ مـن صغره، وزوَّجه ابنته فاطمة الزهراء، ولازم رسـول الله ﷺ من صغره فلم يفارقه إلى أن مات وهو عنه راض. وهو من العشـرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشـورى، ورابع الخلفاء الراشدين، بعد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين.

لقـد كان علي بن أبي طالب أول ذكر من الغلمان آمن برسـول الله ﷺ وصلَّى معه وصدَّق بما جاءه من الله تعالى وهو يومئذ ابن عشـر سـنين، وقيل غير ذلك. وكان مما أنعم الله به على علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه كان في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام. وعندما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أمر عليًا أن يتخلف بعده بمكة، حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس. وأقام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بمكة ثلاث ليال وأيامها، حتى أدَّى عن رسـول الله ﷺ الودائع، حتى إذا فرغ منها، لحق برسول الله ﷺ إلى المدينة.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب: غزوة خيبر.

شــهد علي وقعة بدر وكانت له اليد البيضاء فيها، وشهد غزوة أحد وقاتل قتالاً شديدًا، وقتل خلقًا كثيرًا من المشركين. وشهد يوم الخندق فقتل يومئذ فارس العرب، وأحد شــجعانهم المشاهير، عمرو العامري. وشهد الحديبية وبيعة الرضوان، وشهد خيبر وكانت له بها مواقف هائلة، ومشــاهد طائلة، ومنها أن رســول الله ﷺ قال: **«لأعطـين هـذه الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسـوله ويحبه الله ورسـوله»**، ومنها أنه قتل مرحبا فارس يهود وشــجعانهم. وشهد عمرة القضاء وفيها قال له النبي ﷺ: **«أنت مني، وأنا منك»**[1]. وشــهد الفتح وحنينًا والطائف، وقاتل في هذه المشــاهد قتالاً كثيرًا، واعتمر من الجعرانة مع رسول الله ﷺ. ولما خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك استخلفه على المدينة، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ فقال ﷺ: **«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى»**[2].

وقد ســمَّاه النبي ﷺ أبا تراب حين جاءه إلى المســجد فوجده نائمًا وقد لصق التــراب بظهره فجعل يمســح التراب عن ظهره فيقول ﷺ: **«اجلس يـا أبا تراب»**[3]. وما كان له اســم أحب إلى علي منه. وقال رســول الله ﷺ: **«من كنت مولاه فعلي مـولاه»**[4]، وقال علي: لقــد عهد إليَّ النبي الأمي ﷺ **«أنه لا يحبـك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق»**[5].

بعثه رســول الله ﷺ أميرًا وحاكمًا على اليمن، ومعه خالد بن الوليد، ثم وافى رسول الله ﷺ عام حجة الوداع، إلى مكة، وساق معه هديًا، وأهلَّ كإهلال النبي ﷺ، فأشركه في هديه، واستمر على إحرامه، ونحرا هديهما بعد فراغ نسكهما.

ولما مرض رسول الله ﷺ قال له العباس: سل رسول الله ﷺ فيمن الأمر بعده؟ فقال: والله لا أســأله فإنــه إن منعناها لا يعطيناها الناس بعــده أبدًا، والأحاديث

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب: مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب: مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب: مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٣٠.

(٥) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٣٨.

الصحيحة الصريحة دالة على أن رسول الله ﷺ لم يوص إليه ولا إلى غيره بالخلافة، بل لوَّح بذكر الصِّدِّيق، وأشار إشارة مفهمة ظاهرة جدًا إليه. وأما الافتراء بأنه ﷺ أوصى إلى علي بالخلافة، فكذب وبهت وافتراء عظيم يلزم منه خطأ كبير، من تخوين الصحابة وممالأتهم بعده على ترك إنفاذ وصيته وإيصالها إلى من أوصى إليه، وصرفهم إياها إلى غيره، لا لمعنى ولا لسبب، وكل مؤمن بالله ورسوله يتحقق أن دين الإسلام هو الحق، يعلم بطلان هذا الافتراء؛ لأن الصحابة كانوا خير الخلق بعد الأنبياء، وهم خير قرون هذه الأمة، التي هي أشرف الأمم بنص القرآن، وإجماع السلف والخلف، في الدنيا والآخرة.

ولما مات رسول الله ﷺ كان علي من جملة من غسله وكفنه وولي دفنه. ولما بويع الصِّدِّيق يوم السقيفة كان علي من جملة من بايع بالمسجد. وكان علي بين يدي الصِّدِّيق كغيره من أمراء الصحابة يرى طاعته فرضًا عليه، وأحب الأشياء إليه، ولما توفيت فاطمة رضي الله عنها بعد ستة أشهر جدَّد علي البيعة مع الصِّدِّيق رضي الله عنهما، فلما توفي الصِّدِّيق وقام عمر في الخلافة بوصية الصِّدِّيق إليه بذلك، كان علي من جملة من بايعه، وكان معه يشاوره في الأمور، فلما طُعن عمر وجعل الأمر شورى في ستة أحدهم علي، ثم خلص منهم بعثمان وعلي، فقُدِّم عثمان على علي، فسمع وأطاع، فلما قُتل عثمان يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمسة وثلاثين على المشهور، عدل الناس إلى علي فبايعوه، وقد امتنع علي من إجابتهم إلى قبول الإمارة حتى تكرر قولهم له وفرَّ منهم إلى حائط بني عمرو بن مبدول، وأغلق بابه فجاء الناس فطرقوا الباب وولجوا عليه، وجاؤوا معهم بطلحة والزبير، فقالوا له: إن هذا الأمر لا يمكن بقاؤه بلا أمير، ولم يزالوا به حتى أجاب.

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد تَنغصت عليه الأمور، وخرجت عليه الخوارج فقاتلهم، واضطرب عليه جيشه، وخالفه أهل العراق، ونكلوا عن القيام معه، هذا وأميرهم علي رضي الله عنه خير أهل الأرض في ذلك الزمان، أعبدهم وأزهدهم، وأعلمهم وأخشاهم لله -عزَّ وجلَّ-، ومع هذا كله خذلوه وتخلوا عنه. وفي فجر أحد الأيام دخل علي المسجد وجعل ينهض الناس من النوم إلى الصلاة

فضربه عبد الرحمن بن عمرو المعروف بابن ملجم الحميري بالسيف على رأسه فسال دمه على لحيته رضي الله عنه، وحمل إلى منزله. ولما احتضر علي جعل يكثر من قول لا إله إلا الله، لا يتلفظ بغيرها. وقبض علي رضي الله عنه في شهر رمضان سنة أربعين عن ثلاث وستين سنة، وقيل غير ذلك، وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر. وقد غسله ابناه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وصلَّى عليه الحسن ودفن بالكوفة، وعمي موضع قبره خوفًا عليه من الخوارج أن ينبشوا عن جثته.

يحب الله مَن يحب الحسن والحسين

قال رسول الله ﷺ: **«هذانِ ابنايَ وابنا ابنتي، اللهم إني أُحِبُّهُما فأحِبَّهُما وأَحِبَّ من يُحِبُّهُما»**[1]، قال رسول الله ﷺ: **«حُسَيْنٌ مني وأنا من حُسَيْنٍ، أحب الله من أحب حُسينًا، حسين سِبْط من الأسباط»**[2].

الحسن والحسين: هما ابنا فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ زوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه. كان مولد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما في رمضان سنة ثلاث من الهجرة عند الأكثر، وقيل بعد ذلك. و**«لم يكن أحد أشبه بالنبي ﷺ من الحسن بن علي»**[3]، وقد قال عنه رسول الله ﷺ: **«ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»**[4].

وقد سلَّم الحسن لمعاوية الأمر وبايعه على إقامة كتاب الله وسنة نبيه، ودخل معاوية الكوفة وبايعه الناس فسميت سنة الجماعة لاجتماع الناس وانقطاع الحرب... وفي هذا الحديث منقبة للحسن بن علي فإنه ترك الملك لا لقلة ولا لذلة ولا لعلة بل لرغبته فيما عند الله لما رآه من حقن دماء المسلمين، فراعى أمر الدين ومصلحة الأمة[5]. وكان مولد الحسين رضي الله عنه في شعبان سنة أربع في قول الأكثر.

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٦٦.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٧٠.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب: مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب: مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما.

(٥) العسقلاني: فتح الباري ١٣/٦٣، ٦٦.

وقد اشــترك الحســن والحســين رضي الله عنهما في كثير مــن المناقب، وقال عنهما النبي ﷺ: «**هما رَيحانتايَ من الدنيا**»[1]، و«**الحَسنُ والحُسَيْنُ، سيِّدا شباب أهل الجنة**»[2].

يحب الله من يحب الأنصار

قال رسول الله ﷺ: «**الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، فمن أحبهم أحبه الله**»[3].

الأنصار[4]: الأنصار هم أنصار رســول اللــه ﷺ، وهم الأوس والخزرج، وكانوا قبل ذلك يُعرفون ببني قَيلة وهي الأم التي تجمع القبيلتين، فسماهم رسول الله ﷺ «الأنصــار» فصار ذلك علمًا عليهم، وأطلق أيضًا على أولادهم وحلفائهم ومواليهم. وخصوا بهذه المنقبة العظمى لما فازوا به دون غيرهم من القبائل من إيواء النبي ﷺ ومن معه والقيام بأمرهم ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم وإيثارهم إياهم في كثير من الأمور على أنفسهم.

وقــد مدحهــم الله -عزَّ وجــلَّ- وأثنى عليهم فــي كتابه الكريم فقــال تعالى: ﴿ **وَالَّذِيــنَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ﴾[5]. أي؛ أن الأنصار يحبون المهاجرين ولا يحســدونهم على ما أوتــوا، ويؤثرونهم على أنفســهم فيقدمون لهم الأمــوال والمنازل مع احتياجهم إليها؛ ولهذا جاء الترغيب في حبهم حتى جعل ذلك آيــة الإيمان، كما في قوله ﷺ: «**آية الإيمان حب الأنصار**»[6]، تنويهًا بعظيم فضلهم، وتنبيهًا على كريم فعلهم، وإن كان من شاركهم في معنى ذلك مشاركًا لهم في الفضل المذكــور كل بقســطه. وفي الحديث الصحيح عن علي بن أبــي طالب رضي الله عنه، يقول:

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب: مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٩٦٥.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب: حب الأنصار من الإيمان.

(٤) راجع: فتح الباري للعسقلاني ٦٣/١، وشرح صحيح مسلم للنووي ٦٤/٢.

(٥) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: علامة الإيمان حب الأنصار.

«والذي فلق الحبة وبرأ النَّسَمَة إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إليَّ أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق»[1]، وهذا جار باطراد في أعيان الصحابة، لتحقق مشترك الإكرام، لما لهم من حسن الغناء في الدين.

فمن عرف مرتبة الأنصار وما كان منهم في نصرة دين الإسلام، وقتالهم ومعاداتهم سائر الناس إيثارًا للإسلام، وحبهم النبي ﷺ، وحبه إياهم، ثم أحبهم لهذا كان ذلك من دلائل صحة إيمانه وصدقه في إسلامه لسروره بظهور الإسلام والقيام بما يرضي الله - سبحانه وتعالى - ورسوله ﷺ. قال الله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾**[2].



يحب الله المتصدق بالسر[3]

قال رسول الله ﷺ: **«أما الثلاثة الذين يحبهم الله عزَّ وجلَّ: فرجل أتى قومًا فسألهم بالله ولم يسألهم بقرابة بينهم فمنعوه، فتخلف رجل بأعقابهم فأعطاه سرًا لا يعلم بعطيته إلا الله، والذي أعطاه..»**[4].

لقد أمر الله تعالى بالتصدق على الفقراء وجعل إخفاء الصدقة خير للمتصدق من إعلانها، وأي خير أفضل من أن يحبه الله لأجل تصدقه بالسر؟ قال تعالى: **﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾**[5]. فإخفاء صدقة التطوع أفضل من الإظهار لانتفاء الرياء عنها فلا يعلم بها إلا الله تعالى ثم المتصدق، وهذا أقرب إلى الإخلاص وأدل على أنه يراد الله -عزَّ وجلَّ- بها وحده.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: حب علي رضي الله تعالى عنه من الإيمان.

(٢) سورة الحشر، الآية: ١٠.

(٣) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/٢١٥، سنن الترمذي، أبواب فضائل القرآن، باب: ٢٠، وشرح صحيح مسلم للنووي ٧/١٢٢.

(٤) مسند أحمد، رقم: ٢١٢٥٢، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٧١.

وكذلك سائر العبادات الإخفاء أفضل في تطوعها لانتفاء الرياء عنها. وليس كذلك الواجبات، قال النبي ﷺ: **«أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته، إلا المكتوبة»**[1]؛ وذلك أن الفرائض لا يدخلها رياء والنوافل عُرضة لذلك. قال ﷺ: **«الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة، والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة»**[2]، أي؛ أن الذي يسر بقراءة القرآن أفضل من الذي يجهر بقراءة القرآن؛ لأن صدقة السر أفضل عند أهل العلم من صدقة العلانية. وإنما معنى هذا عند أهل العلم لكي يأمن الرجل من العجب؛ لأن الذي يسر بالعمل لا يخاف عليه العجب ما يخاف عليه في العلانية.

وأما حال الناس فالسر عنهم أفضل من العلانية لهم، من جهة أنهم ربما طعنوا على المعطي لها بالرياء وعلى الآخذ لها بالاستغناء، إلا إذا كانت هناك مناسبة يكون في إظهار الصدقة فيها تحريك قلوب الناس إلى الصدقة، ويكون للمعطي فيها فائدة إظهار السنة وثواب القدوة، وهذا لمن قويت حاله وحسنت نيته وأمِن على نفسه الرياء، وأما من ضعف عن هذه المرتبة فالسر له أفضل. وقد سئل رسول الله ﷺ: أي الصدقة أفضل؟ قال: **«سر إلى فقير، وجهد من مقل»**[3].

وقد أثنى الله تعالى على شدة المتصدق بالسر فقال النبي ﷺ: **«لما خلق الله عزَّ وجلَّ الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت، فتعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت: يا رب، هل من خلقك شيء أشد من الجبال؟ قال: نعم، الحديد، قالت: يا رب، هل من خلقك شيء أشد من الحديد؟ قال: نعم، النار، قالت: يا رب، هل من خلقك شيء أشد من النار؟ قال: نعم، الماء، قالت: يا رب، فهل من خلقك شيء أشد من الماء؟ قال: نعم، الريح، قالت: يا رب، فهل من خلقك شيء أشد من الريح؟ قال: نعم، ابن آدم يتصدق بيمينه يخفيها من شماله»**[4].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب: صلاة الليل.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٣٣١.

(٣) مسند أحمد، رقم: ٢٢١٨٩، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن.

(٤) مسند أحمد، رقم: ١٢١٩٣، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

ثم إن المتصدق بالسـر من السبعة الذين يظلهم الله تعالى في ظله حيث يقول النبي ﷺ: **«سـبعة يظلهـم الله تعالى في ظله يوم لا ظـل إلا ظله: ... رجل تصدق بصدقـة فأخفاها حتى لا تعلم شـماله ما تنفـق يمينه»**[1]، وفي هذا الحديث فضل صدقة السر، وذكر اليمين والشمال مبالغة في الإخفاء والاستتار بالصدقة، وضرب المثل بهما لقرب اليمين من الشـمال وملازمتها لها، ومعناه لو قدرت الشمال رجلاً متيقظًا لما علم صدقة اليمين لمبالغته في الإخفاء.

يحب الله الرجل السَمْحَ

قال رسول الله ﷺ: **«إن الله يحب سَمْحَ البيع، سَمْحَ الشراء، سَمْحَ القضاء»**[2].

السماحة[3]: السماحة هي السهولة والجودة وسمحًا، أي؛ سهلاً جوادًا، والسماحة من الإيمان، قال ﷺ: **«الإيمان: الصبر والسماحة»**[4]، وسمح البيع والشراء هو الذي يكون سهلاً جوادًا إذا باع وإذا اشترى، ويتجاوز عن بعض حقه إذا باع.

وسـمح القضاء هو الذي يطلب حقه بسهولة ورفق ولين جانب وعدم إلحاح أو إضرار، وإذا طلـب دينًا له على غريم يطلبه بالرفق واللطف لا بالخرق والعنف، أو يعطي الذي عليه بسـهولة بغير مماطلة أو تسـويف. فالسَمْح هو الذي يتعامل مع الناس بسـماحة وسهولة ويستعمل معالي الأخلاق، ويترك الخلاف، ولا يضيِّق على الناس في المطالبة، ويأخذ العفو منهم.

لقد رتب المحبة عليه ليدل على أن السهولة والتسامح في التعامل سبب لاستحقاق المحبة ولكونه أهلاً للرحمة. وفيه فضل المسامحة في الاقتضاء وعدم احتقار شيء من أعمال الخير فلعلها تكون سببًا لمحبة الله تعالى التي هي سبب للسعادة الأبدية.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة ، باب: الصدقة باليمين.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٠٦٤.

(٣) راجع: فتح الباري للعسقلاني ٣٠٧/٤، وفيض القدير للمناوي ١٧٥/١، ٢٩٤/٢.

(٤) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٢٧٩٥.

وإنما يحب الله الرجل السـمح لشرف نفسه وحسـن خلقه بما ظهر من قطع علاقـة قلبه بالمال الذي هو معنى الدنيا وإفضاله على عباد الله ونفعه لهم؛ فلذلك استوجب محبة الله تعالى.

يحب الله قائل: آمين

قال رسـول الله ﷺ: **«إذا صليتم فأقيموا صفوفكم، ثم ليؤمكم أحدكم، فإذا كبر فكبروا، وإذا قرأ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾[1] فقولوا: آمين يحبكم الله»**[2].

آمين: معناها؛ اللهم استجب لنا، وُضِع موضع الدعاء. وقيل معنى آمين: كذلك فليكـن، وعن ابن عباس قال: سـألت رسـول الله ﷺ ما معنى آمـين؟ قال: (رب افعل). وقال مقاتل: هو قوة للدعاء واستنزال للبركة. وقال الترمذي: معناه لا تخيب رجاءنـا. وفي آمين لغتان: المد على وزن فاعيل كياسـين. والقصر على وزن يمين. والمد أفصح وأشهر، والميم خفيفة فيهما.

وهذا التأمين مسـتحب لكل قارئ، سـواء كان في الصـلاة أم خارجًا منها... ويستحب التأمين في الصلاة للإمام والمأموم والمنفرد، ويجهر به الإمام والمنفرد في الصـلاة الجهرية، والصحيح أيضًا أن المأموم يجهر به، سـواء كان الجمع قليلاً أو كثيرًا. ويستحب أن يكون تأمين المأموم مع تأمين الإمام، لا قبله ولا بعده، وليس في الصلاة موضع يسـتحب أن يقترن فيه قول المأموم بقول الإمام إلا في قوله: آمين، وأما باقي الأقوال فيتأخر قول المأموم[3].

لقد كان رسول الله ﷺ إذا قرأ ﴿وَلا الضَّالِّينَ﴾ قال: (آمين) ورفع بها صوته[4]، وأمـر ﷺ المسـلمين أن يقولوا (آمين) كلما قالها الإمام، فقـال ﷺ: **«إذَا أمَّن الإمامُ فأمِّنوا، فإنه مَن وافق تأمينُه تأمينَ الملائكة، غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه»**[5]، وقال ﷺ:

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٧.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٨٥٨.

(٣) الأذكار للنووي: باب ما يقوله إذا دخل في الصلاة، باب القراءة بعد التعوذ.

(٤) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٨٢٤.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب: جهر الإمام بالتأمين.

«إذا قال أحدكم في الصلاة: آمين، وقالت الملائكة في السماء: آمين، فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه»[1]؛ وهذا حث عظيم على التأمين، وبيان لعظيم أجره وفضله، فهو قول يسير لا كلفة فيه، وترتبت عليه مغفرة الرب الرحيم.

وكان صحابة رسول الله ﷺ يرددونها بصوت مرتفع يرج بها المسجد. قال عطاء: **«آمين دعاء. أمَّن ابن الزبير ومن وراءه، حتى إن للمسجد للجَّة»**[2]. واللجة: الصوت المرتفع. وكان أبو هريرة ينادي الإمام: لا تفتني بآمين. أي؛ لا تدعني يفوتني قولها. وقال نافع: كان ابن عمر لا يدعه، ويحضهم، وسمعت منه في ذلك خيرًا. أي؛ لا يترك التأمين عقب الفاتحة، ويحثهم على قوله، وسمعوا منه وعدًا بالخير على فعله.

قال رسول الله ﷺ: **«ما حسدتكم اليهود على شيء، ما حسدتكم على السلام والتأمين»**[3].

يرضى الله عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾[4].

الذين آمنوا وعملوا الصالحات: الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم خير الخليقة الذين يؤمنون بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، والبعث والنشور، والميزان، والجنة والنار. إيمان يقرُّ في قلوبهم وتنطق به ألسنتهم ويصدقه العمل بأبدانهم؛ فيشهدوا أنه لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ويصوموا شهر رمضان، ويحجُّوا بيت الله الحرام إن استطاعوا إليه سبيلاً.

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٧٠٤.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب: جهر الإمام بالتأمين، تعليقًا.

(٣) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٦٩٧.

(٤) سورة البيِّنة، الآيتان: ٧-٨.

وهــم ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَــبِيلِ اللَّهِ ﴾[1]، ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَــدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[2]، ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ﴾[3]، ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾[4]؛ الذيــن إذا ذُكــر الله وجلت قلوبهــم، وإذا تُليت عليهــم آياتُهُ زادتهــم إيمانًا وعلى ربهــم يتوكلون، وإذا ذُكِّــروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صُمًّا وعميانًا، ويخشــعون في صلاتهم ويبيتون لربهم ســجدًا وقيامًــا، ويعرضون عن اللغو وإذا مروا به مروا كرامًا، ولا يقتلــون النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، ويحفظون فروجهم فلا يزنون، ويراعون أماناتهم وعهدهم، ولا يشهدون الزور، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات.

هؤلاء هم المؤمنون حقًا؛ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَــيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾[5]، جزاؤهــم عند ربهم يوم القيامة جنات خالدين فيها أبدًا، ويرضى الله عنهم وهو مقام أعلى مما يؤتون من النعيم المقيم، وهذا الجزاء لا يكون إلا لمن خشــي الله - تبارك وتعالى - واتقاه حق تقواه وعبده كأنه يراه وعلم أنه إن لم يره فإنه يراه.

﴿ وَبَشِّــرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْــرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُــوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُــوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَــابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[6].

يرضى الله عن الذين يتبعون المهاجرين والأنصار بإحسان

قــال الله تعالى: ﴿ وَالسَّــابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَــارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَــانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[7].

(١) سورة النساء، الآية: ٧٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.
(٤) سورة الرعد، الآية: ٢٨.
(٥) سورة مريم، الآية: ٩٦.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٥.
(٧) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

التابعون للمهاجرين والأنصار[1]: لقد رضي الله تعالى عن المهاجرين والأنصار وهم السلف الصالح لأمة الإسلام وأفضل من اقتدى برسول الله ﷺ، ويرضى الله سبحانه عن كل من يأتي بعدهم ويتَّبع بإحسان طريقتهم ونهجهم وآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة وهذا مستمر إلى أن يأذن الله لهذه الدنيا بالزوال وقيام الساعة. والتابعون هم الذين قال الله تعالى عنهم: **﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾**[2]. أي؛ هم المؤمنون الذين يدعون للمهاجرين والأنصار ولا يبغضون أحدًا منهم ولا يسبونه.

قال ابن أبي ليلى: الناس على ثلاثة منازل: المهاجرون، والذين تبوَّؤوا الدار والإيمان، والذين جاؤوا من بعدهم. فاجهد ألا تخرج من هذه المنازل. وقال بعضهم: كن شمسًا، فإن لم تستطع فكن قمرًا، فإن لم تستطع فكن كوكبًا مضيئًا، فإن لم تستطع فكن كوكبًا صغيرًا، ومن جهة النور لا تنقطع. ومعنى هذا: كن مهاجريًا. فإن قلت: لا أجد، فكن أنصاريًا. فإن لم تجد فاعمل كأعمالهم، فإن لم تستطع فأحبهم واستغفر لهم كما أمرك الله. وروى مصعب بن سعد قال: الناس على ثلاثة منازل، فمضت منزلتان وبقيت منزلة؛ فأحسن ما أنتم عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت.

وعن علي بن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه جاءه رجل فقال له: يا ابن بنت رسول الله ﷺ، ما تقول في عثمان؟ فقال له: يا أخي أنت من قوم قال الله فيهم: **﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ ﴾**[3]. قال: لا! قال: فوالله لئن لم تكن من أهل الآية فأنت من قوم قال الله فيهم: **﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ ﴾**[4]. قال: لا! قال: فوالله لئن لم تكن من أهل الآية الثالثة لتخرجن من الإسلام! وهي قوله تعالى: **﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾**[5].

---

(١) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨/٢١-٢٢.

(٢) سورة الحشر، الآية: ١٠.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٨.

(٤) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٥) سورة الحشر، الآية: ١٠.

يرضى الله عن الذين لا يتخذون عدو الله وعدوهم أولياء

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾[1].

الذين لا يوالون الكفار[2]: هم المؤمنون الذين لا يوالون الكفار والمشركين الذين هم محاربون لله ولرسوله وللمؤمنين؛ لأن الله شرع عداوتهم ومصارمتهم ونهى أن يُتخذوا أولياء وأصدقاء وأخلاء؛ ولأن الله قد كشف بأنهم: ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾[3]، أي؛ لو ظفروا بالمؤمنين وتمكنوا منهم لما اتقوا فيهم من أذى ينالونهم به بالمقال والفعال، ويحرصون على ألا ينال المؤمنون خيرًا، فعداوتهم كامنة وظاهرة. قال الله تعالى عنهم: ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[4]. بل إن الله تعالى حذَّر عباده المؤمنين من سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب وأعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم، فقال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾[5].

وهم المؤمنون الذين لا يتجسسون على المسلمين لصالح أعدائهم، ولا ينبِّهوا عليهم، ولا يعرِّفوا عدوهم بأخبارهم.

---

(١) سورة الممتحنة، الآية: ١.

(٢) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/١٥٨، ٢/٧١، ٧٥، ٤٧٨، ٤/٣٧١، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤/٣٨، ٤/١١٥، ٩/٧٢.

(٣) سورة الممتحنة، الآية: ٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٠٥.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

وهم المؤمنون الذين يطيعون الله فيما أمرهم به بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾[1]، فهم لا يتخذونهم أولياء حتى لا يصيروا منهم بمخالفتهم الله تعالى ورسوله كما خالفوا. ويتجنبون أن يكونوا من الذين في قلوبهم شك وريب ونفاق فيبادرون إلى موالاتهم ومودتهم في الباطن والظاهر.

وهم المؤمنون الذين يجتنبون ملاطفة الكفار واتخاذهم أولياء؛ لأنهم يعلمون أن من يفعل ذلك فقد برئ من الله وهو ليس من حزب الله ولا من أوليائه في شيء كما قال تعالى: ﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾[2].

وهم المؤمنون الذين يطيعون أمر الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[3]. فهم لا يتخذون من الكفار والمنافقين وأهل الأهواء دُخَلاء ووُلَجاء، يفاوضونهم في الآراء، ويسندون إليهم أمورهم، ويصادقونهم ويخاللونهم، ويطلعونهم على سرائرهم وما يضمرونه لأعدائهم؛ لأن الكفار وأهل الأهواء لا يتركون الجهد في فسادهم، وإن لم يقاتلونهم في الظاهر فإنهم لا يتركون الجهد في المكر والخديعة، وقد ظهرت عداوتهم وبغضهم وتكذيبهم لهم من أفواههم وما يبطنون من البغضاء للإسلام وأهله أكثر مما يُظهرون بأفواههم. وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي موسى الأشعري الذي اتخذ كاتبًا من الكفار: لا تُدنِهم وقد أقصاهم الله، ولا تُكرمهم وقد أهانهم الله، ولا تَأْمَنهم وقد خونهم الله. وقال رضي الله عنه: لا تستعملوا أهل الكتاب فإنهم يستحلون الرِّشا، واستعينوا على أموركم وعلى رعيتكم بالذين يخشون الله تعالى.

(١) سورة المائدة، الآية: ٥١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٨.

وهم المؤمنون الذين يستجيبون لأمر الله تعالى: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ ﴾**[1]. فهم لا يوالون أعداء الإسلام وأهله من الكتابيين والمشركين الذين يتخذون أفضل ما يعمله العاملون وهي شرائع الإسلام المطهرة المحكمة المشتملة على كل خير دنيوي وأخروي يتخذونها هزوًا يستهزئون بها، ولعبًا يعتقدون أنها نوع من اللعب في نظرهم الفاسد، وفكرهم البارد، وكذلك بالنسبة للصلاة التي هي أفضل الأعمال لمن يعقل ويعلم من ذوي الألباب إذا نودي لها بالأذان اتخذوها أيضًا هزوًا ولعبًا؛ لأنهم قوم لا يعقلون معاني عبادة الله وشرائعه، وهذه صفات أتباع الشيطان الذي **«إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين»**[2].

وهم المؤمنون الذين يخافون وعيد الله فلا يركنون إلى الذين ظلموا حتى لا تمسهم النار كما توعد بذلك رب العالمين: **﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ ﴾**[3]، والركون حقيقة الاستناد والاعتماد والسكون إلى الشيء والرضا به، وقيل: معناه لا تودّوهم ولا تطيعوهم، ولا تميلوا إليهم، ولا ترضوا أعمالهم، ولا تداهنوهم بألا تتكروا عليهم كفرهم. ولذلك فهم يهجرون أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع وغيرهم، ولا يداهنون أهل الكفر والشرك الظالمين، ولا يميلون إليهم، ولا يستعينون بهم فيكونوا كأنهم قد رضوا بأعمالهم فتمسهم النار وتحرقهم وما لهم من دون الله من ولي ينقذهم، ولا ناصر يخلصهم من عذابه. **﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾**[4].

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٥٧-٥٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب: فضل التأذين.

(٣) سورة هود، الآية: ١١٣.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٢٠.

يرضى الله عن المنفقين أموالهم طلبًا لرضاه

قال الله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾[1].

المنفقـون أموالهـم طلبًا لرضى الله[2]: المنفقــون أموالهم طلبًا لرضى الله هم المؤمنــون الذيــن تزكو صدقاتهم إذ كانت على وفق الشــرع ووجهــه. ويتثبتون أين يضعون صدقاتهم؛ تثبيتًا من أنفسهم لهم على إنفاق ذلك في طاعة الله -عزَّ وجلَّ؛ وأنفسهم موقنة بوعد الله على تثبيتهم في ذلك، ويقرون بأن الله تعالى يُثبت عليها، أي؛ وتثبيتًا من أنفسهم لثوابها، فهم متحققون ومتثبتون أن الله سيجزيهم على ذلك أوفر الجزاء، بخلاف المنافق الذي لا يحتسب الثواب.

وهؤلاء إذا كانوا من ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[3]؛ إذا كانوا لا يتبعون ما أنفقوا من الخيرات والصدقات منًّا على من أعطوه، فلا يمنون به على أحد ولا يمنون به لا بقول ولا بفعل، ولا يفعلون مع من أحســنوا إليه مكروهًا يحيطون به ما سلف من الإحسان؛ فهؤلاء ثوابهم على الله لا على أحد سواه ولا خوف عليهم فيما يســتقبلونه من أهوال يوم القيامة ولا هم يحزنون على ما خلفوه من الأولاد ولا ما فاتهم من الحياة الدنيا وزهرتها، لا يأسفون عليها؛ لأنهم قد صاروا إلى ما هو خير لهم من ذلك.

وإلا فــإن الصدقة تبطل بمــا يتبعها من المنِّ والأذى، فمــا بقي ثواب الصدقة بخطيئــة المنِّ والأذى، تبطل هــذه الصدقة كما تبطل صدقة مــن راءى بها الناس فأظهــر لهــم أنه يريد وجه الله وإنمــا قصده مدح الناس له أو شــهرته بالصفات

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٥.

(٢) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/٢٠٤-٢٠٦، تفســير القــرآن العظيم لابن كثير ١/٣٢٥-٣٢٦، وفتح الباري للعسقلاني ٣/٢٧٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٢.

الجميلة ليشكر بين الناس أو يقال إنه كريم ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه، وهذا ﴿**فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾[1]. فهو كالصخر الأملس عليه تراب فأصابه مطر شديد فتركه صلدًا أملسًا يابسًا لا شيء عليه من ذلك التراب بل قد ذهب كله وكذلك أعمال المرائين تذهب وتضمحل عند الله وإن ظهر لهم أعمال فيما يرى الناس كالتراب فهم لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي الكافرين.

أما المنفقون أموالهم طلبًا لمرضات الله تعالى وليرضى الله عنهم، فإن الله يُرَبِّي صدقاتهم كتربية الفُلُو والفصيل، وتنمو نفقاتهم كما ينمو نبات الجنة بالربوة؛ وهم ﴿**كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ**﴾[2] فهم كالبستان بمكان مرتفع من الأرض وتجري فيه الأنهار، وأصاب هذه الجنة مطر شديد فآتت ثمرتها ضعفين بالنسبة إلى غيرها من الجنان، فإن لم يصبها مطر شديد فرذاذ وهو اللين من المطر، فهذه الجنة بهذه الربوة لا تمحل أبدًا؛ لأنها إن لم يصبها وابل فطل وأيًا ما كان فهو كفايتها، وكذلك عمل المؤمن لا يبور أبدًا بل يتقبله الله ويكثره وينميه كل عامل بحسبه، والله بما تعملون بصير لا يخفى عليه من أعمال عباده شيء. وقد قال الله تعالى: ﴿**يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ**﴾[3]، وقال رسول الله ﷺ: «**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبه كما يربي أحدكم فَلُوَّه، حتى تكون مثل الجبل**»[4]. (فلوَّه) هو المهر؛ لأنه يفلى، أي؛ يفطم، وقيل هو كل فطيم من ذات حافر.

وضرب بالمهر المثل؛ لأنه يزيد زيادة بينة؛ ولأن الصدقة نتاج العمل وأحوج ما يكون النتاج إلى التربية إذا كان فطيمًا، فإذا أحسن العناية به انتهى إلى حد الكمال،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧٦.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب: الصدقة من كسب طيب.

وكذلك عمل ابن آدم -لا سيما الصدقة- فإن العبد إذا تصدق صدقة ولو بقيمة تمرة من كسب طيب فإن الله يتقبلها بيمينه ويربِّيها لصاحبها حتى تصبح مثل الجبل.

يرضى الله عن الذين لا يوادُّون من حادَّ الله ورسوله

قال الله تعالى: ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[١].

حزب الله المفلحون: حزب الله المفلحون هم الذين يقدمون رابطة الدين على رابطة الدم، وقرابة التقوى على قرابة الأبدان، يحبون في الله ويبغضون في الله، ويترضون عمن رضي الله عنه ويسبون من سبه الله ورسوله، ويوالون مَن يوالي الله ويعادون مَن يعادي الله، وهم متبعون لا مبتدعون ويقتدون ولا يبتدون، لا يتعاملون مع الآخرين على أساس مسميات ما أنزل الله بها من سلطان مثل القرابة أو العشيرة أو الجنسية أو غير ذلك، بل إن هذه الأمور دعاوى جاهلية وهي منتنة وقبيحة وكريهة وخبيثة ومؤذية ويكرهها الله ورسوله، وقد قال رسول الله ﷺ: **«دعوها فإنها منتنة»**[٢]، فهم يتعاملون مع الآخرين على أساس ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[٣]، فالقرابة الحقيقية عندهم هي قرابة الدين ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[٤]، وقد علموا أنه في الآخرة ﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾[٥]، فهم

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: قوله ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(٥) سورة الزخرف، الآية: ٦٧.

أخلاء وأحباب وإخوان في الدنيا وكذلك هم في الآخرة، أما خلة القرابة أو الصداقة أو غيرها إذا لم تكن لله فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة وندم ﴿ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً ﴾(1).

فالود هو لأهل الدين والتقوى وهي القرابة التي يجب أن تتقدم على غيرها بما فيها قرابة الدم من آباء أو أبناء أو إخوان أو عشيرة أو غير ذلك، فرب أخ مؤمن لم تلده أمك هو خير من أخ لك من أبيك وأمك ولكنه غير مسلم أو ضال أو فاسق أو تارك للصلاة، وإذا كان الود لا يجوز لمثل هذه القرابات إذا كانوا ممن يحادُّون الله ورسوله، ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾(2) - فمَن دونهم من الناس أولى بعدم الود والموالاة مثل أهل البدع والأهواء وأهل الظلم والعدوان، وخاصة غير المسلمين ﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾(3).

فهؤلاء هم حزب الله، أي؛ عباد الله وأهل كرامته وهم المفلحون السعداء المنصورون في الدنيا والآخرة؛ وإلا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(4)، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(5).

---

(1) سورة الفرقان، الآية: ٢٨.

(2) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

(3) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

(4) سورة التوبة، الآية: ٢٣.

(5) سورة المائدة، الآية: ٥١.

يرضى الله عن الأمر بالصدقة والمعروف والإصلاح[1]

قال الله تعالى: ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[2].

الآمر بالصدقة: الآمر بالصدقة هو الإنسان الذي يجتمع بغيره فيتناجى معه على فعل الخير والتصدق على فلان من الناس لأنه محتاج وذلك في خفية عن الأعين. فهذا من النجوى التي فيها الخير ويحبها الله بشرط أن يكون الباعث على ذلك طلب رضى الله وابتغاء الأجر، ولا يكون لهوى في النفس أو ليقال عنه إنه فاعل خير يحض على الصدقة ويأمر بها.

الآمر بالمعروف: المعروف هو كل ما أمر الله به أو ندب إليه من أعمال البر والخير. والآمر بالمعروف هو الذي يحض على فعل المعروف ويناجي غيره بذلك، وهو من النجوى التي يحبها الله ويثيب عليها إذا كان ذلك ابتغاء مرضات الله.

وينبغي لمن يقدر على إسداء المعروف أن يعجله حتى لا يفوته أو يعجز عنه؛ فمن المصيبة أن تقدر على المعروف فلا تصطنعه حتى يفوت، ومن أخَّر الفرصة عن وقتها فليكن على ثقة من فوتها. وقال العباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال: تعجيله وتصغيره وستره، فإذا عجلته هنأته، وإذا صغرته عظَّمته، وإذا سترته أتممته. ومن شرط المعروف ترك الامتنان به، وترك الإعجاب بفعله، لما فيهما من إسقاط الشكر وإحباط الأجر.

الآمر بالإصلاح بين الناس: وهو عام في الدماء والأموال والأعراض، وفي كل شيء يقع التداعي والاختلاف فيه بين المسلمين. قال العسقلاني: «والصلح أقسام: صلح المسلم مع الكافر، والصلح بين الزوجين، والصلح بين الفئة الباغية والعادلة،

---

(١) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/٢٤٦-٢٤٧، وفتح الباري للعسقلاني ٥/٢٩٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٤.

والصلـح في الجراح كالعفو على مال، والصلح لقطع الخصومة إذا وقعت المزاحمة إما في الأملاك أو في المشتركات كالشوارع».

قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟** قالوا: بلى، قال: **«إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة»**[1]، وقال ﷺ: «**ليس الكذَّاب الذي يصلح بين الناس، فينمي خيرًا أو يقول خيرًا**»[2]، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: من أصلح بين اثنين أعطاه الله بكل كلمة عتق رقبة. قال الأوزاعي: ما خطوة أحب إلى الله -عزَّ وجلَّ- من خطوة في إصلاح ذات البين، ومن أصلح بين اثنين كتب الله له براءة من النار.



يرضى الله عن النفس المؤمنة المطمئنة

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾[3].

النفس المطمئنة[4]: النفس المطمئنة هي النفس الزكية الساكنة الموقنة الدائرة مع الحق المطمئنة بالإيمان وبذكر الله تعالى وبثواب الله، الراضية بقضاء الله، التي علمت أن ما أخطأها لم يكن ليصيبها، وأن ما أصابها لم يكن ليخطئها، المصدقة بالبعث والثواب، التي أيقنت أن الله ربها؛ فأخبتت لذلك؛ وعملت على يقين بما وعد الله في كتابه؛ فرضي الله تعالى عنها.

يقال لها ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾ أي؛ إلى جواره وثوابه وما أعد لعباده في جنته ﴿رَاضِيَةً﴾ في نفسها ﴿مَرْضِيَّةً﴾ قد رضيت عن الله ورضي الله عنها وأرضاها. وهذا يقال لها عند الاحتضار وفي يوم القيامة أيضاً.

---

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤١١١.

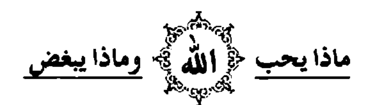
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب: ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس.

(٣) سورة الفجر، الآيات: ٢٧-٣٠.

(٤) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٩/٢٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٤٥/٤.

قال رسول الله ﷺ: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مدّ البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة، أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج فتسيل كما تسيل القَطرة من فِيّ السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها، لم يدعوها في يده طَرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها، فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان، - بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا – حتى ينتهوا به إلى سماء الدنيا، فيستَفْتحون له، فَيُفتح له، فيُشيِّعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي إلى السماء السابعة، فيقول الله عزَّ وجلَّ: اكتبوا كتاب عبدي في علِّيِّين، وأعيدوا عبدي إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أُعيدُهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى. فتعاد روحه، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعِثَ فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة، فيأتيه من رَوحها وطيبها، ويفسح له في قبره مدّ بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيِّب الرِّيح، فيقول: أبشِر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: ربِّ أقم الساعة، ربِّ أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي ومالي.

وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المُسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة! أخرجي إلى سخط من الله وغضب، فتفرَّق في جسده فينتزعها كما يُنتزع السُفود من الصوف



المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرُّون بها على ملأٍ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الخبيث؟! فيقولون: فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمَّى بها في الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له، ثمَّ قرأ ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ فيقول الله عزَّ وجلَّ: اكتبوا كتابه في سجِّين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحًا، فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعِثَ فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي منادٍ من السماء: أن كذب عبدي، فأفرشوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار، فيأتيه من حرها وسَمُومها، ويضيق عليه قبره، حتى تختلف أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تُقِم الساعة»[1].



يرضى الله عن الراضي بالبلاء

قال رسول الله ﷺ: «إن عِظَمَ الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمَن رضي فله الرضى، ومَن سَخِطَ فله السخط»[2].

الراضي بالبلاء[3]: الراضي بالبلاء هو العبد الذي يحبه الله سبحانه فيختبره بالمحن والمصائب فيصبر ويسترجع ويحتسب ذلك عند الله ويرضى بما ابتلاه الله به فيكون له الرضى وجزيل الثواب على قدر مصيبته. وابتلاء الله -عزَّ وجلَّ- عبده في الدنيا ليس من سخطه عليه بل إما لدفع مكروه أو لكفارة ذنوب أو لرفع منزلة،

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٦٧٦.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٩٥٤.

(٣) راجع: فتح الباري للعسقلاني ١٠/١٠٨-١١٦، ٣/١٥٠، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/١١٧، ١٦/١٦٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/١٨٧، وتحفة الأحوذي للمباركفوري ٧/٦٦، والصلاة والرياضة والبدن للمؤلف ٢٠٣.

فإذا تلقى ذلك بالرضا تم له المراد. فقد قال رسول الله ﷺ: **«ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم - حتى الشوكة يشاكها - إلا كفَّر الله بها من خطاياه»**[1]؛ وقال ﷺ: **«ما من مسلم يصيبه أذى إلا حاتَّ الله عنه خطاياه كما تحاتّ ورق الشجر»**[2]. وفي هذه الأحاديث بشارة عظيمة لكل مؤمن، لأن الآدمي لا ينفك غالبًا من ألم بسبب مرض أو هم أو نحو ذلك مما ذكر، وأن الأمراض والأوجاع والآلام - بدنية كانت أم قلبية - تكفر ذنوب من تقع له.

وقال ﷺ: **«يقول الله عزَّ وجلَّ: مَن أذهبت حبيبتيه فصبر واحتسب، لم أرض له ثوابًا دون الجنة»**[3]. الحبيبتان هما العينان؛ لأنهما أحب أعضاء الإنسان إليه، لما يحصل له بفقدهما من الأسف على فوات رؤية ما يريد رؤيته من خير فيسر به، أو شر فيجتنبه.. فيصبر مستحضرًا ما وعد الله به الصابر من الثواب، لا أن يصبر مجردًا عن ذلك؛ فيعوضه الله -عزَّ وجلَّ- بالجنة وهي أعظم العوض؛ لأن الالتذاذ بالبصر يفنى بفناء الدنيا والالتذاذ بالجنة باق ببقائها..

والصبر إنما يكون عند الصدمة الأولى كما قال عليه الصلاة والسلام: **«إنما الصبر عند الصدمة الأولى»**[4]، وقال ﷺ: **«يقول الله سبحانه: ابن آدم! إن صبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى، لم أرض لك ثوابًا دون الجنة»**[5]، فأشار إلى أن الصبر الشاق على النفس الذي يعظم الثواب عليه هو ما يكون في أول وقوع البلاء ومفاجأة المصيبة فيفوض ويسلم فيدل ذلك على قوة القلب وتثبته في مقام الصبر، بخلاف ما بعد ذلك فإنه على الأيام يسلو، وإذا بردت حرارة المصيبة فكل أحد يصبر إذ ذاك؛ ومتى تضجر وتقلق في أول وهلة ثم يئس فيصبر لا يكون حصل المقصود؛ ولذلك قيل: يجب على كل عاقل أن يلتزم عند المصيبة ما لا بدَّ للأحمق منه بعد ثلاث. وقيل: إن المرء لا يؤجر على المصيبة؛ لأنها ليست من صنعه، وإنما

(١) أخرجه البخاري في كتاب المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرض.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المرضى، باب: شدة المرض.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٩٥٩.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب: زيارة القبور.

(٥) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ١٢٩٨.

يؤجر على حسن تثبته وجميل صبره. وقد قال رسول الله ﷺ: **«إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسموه: بيت الحمد»**[1].

قال الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾[2]. فالمؤمن إذا سلم لأمر الله واسترجع، أي؛ قال: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون؛ كُتب له ثلاث خصال من الخير: الصلاة من الله، والرحمة، وتحقيق سبل الهدى.

وزيادة على الصبر والاحتساب والاسترجاع عند الصدمة الأولى فقد علَّمنا رسول الله ﷺ أن ندعو الله تعالى ونسأله الأجر والثواب والتعويض بخير من المصيبة التي وقعت، فقال عليه الصلاة والسلام: **«ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها إلا أخلف الله له خيرًا منها»**[3]. كذلك علَّمنا ﷺ أنه إذا رأينا مبتلى أن نحمد الله على المعافاة، فقال ﷺ: **«مَن رأى مبتلى فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضَّلني على كثير ممن خلق تفضيلاً، لم يصبه ذلك البلاء»**[4].

فالإنسان في هذه الدار معرض دائمًا للبلاء والفتنة -للاختبار والامتحان- ما دام فيه عرق ينبض، ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾[5]، بالمصائب وبالنعم، بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر والحلال والحرام والطاعة والمعصية والهدى والضلال.. فهذه الدار هي دار امتحان لتحديد الدرجات والمراتب التي سيكون عليها الناس في الآخرة، وعند الامتحان يُكرم المرء أو يهان. فليس من

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٨١٤.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥-١٥٧.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب: ما يقال عند المصيبة.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٧٢٩.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.

السهل الحصول على مرتبة الإيمان بكلمة تقال باللسان، فلا بد من امتحان مَن يدَّعي الإيمان، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾[1]؛ وقوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾[2]، وسبب الابتلاء أيضاً، كما قال الله تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾[3]؛ فالابتلاء امتحان للعبد أيرضى أم يسخط؟ أيصبر أم يجزع؟ أيشكر أم يكفر؟ كما قال تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام: ﴿ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾[4].

وابتلاء الله للعبد ليس الغرض منه أن يعلم الله -جل جلاله- حقيقة حال العبد، فالله عالم بما كان، وما يكون، وما هو كائن لا تخفى عليه خافية؛ بل غرضه إظهار علمه للناس حتى يصبح معلومًا لديهم؛ لأنه إنما يجازيهم بأعمالهم لا بعلمه القديم عليهم. وأيضاً لتقام على العبد الحجة أنه من المؤمنين أم من الكافرين، من الصادقين أم من الكاذبين.

فلا أحد ينجو من الابتلاء ولو كان أحد ناجيًا منه لنجا الرسل والأنبياء وبالأخص أفضلهم محمد ﷺ، فقد قُذف بالحجارة وأدميت قدماه وشُجَّ وجهه وكُسر سنه واتُهِمَ بأنه شاعر ساحر مجنون وأُخرِج من بلده مكة وغير ذلك من البلاء؛ فكان خير الصابرين وخير المسترجعين وخير الشاكرين وخير المحتسبين صلوات الله وسلامه عليه.

قال سعد: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: **«الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل؛**

---

(١) سورة العنكبوت، الآيتان: ٢-٣.

(٢) سورة محمد، الآية: ٣١.

(٣) سورة الملك، الآية: ٢.

(٤) سورة النمل، الآية: ٤٠.

يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة»[1]. فالسر فيه أن البلاء في مقابلة النعمة، فمن كانت نعمة الله عليه أكثر كان بلاؤه أشد.. ومن كان أشد بلاء كان أشد تضرعًا والتجاء إلى الله تعالى.. قال ابن الجوزي: في الحديث دلالة على أن القوي يحمل ما حمل، والضعيف يرفق بـه إلا أنه كلما قويـت المعرفة بالمبتلى هان عليه البـلاء، ومنهم من ينظر إلى أجر البـلاء فيهون عليه البلاء، وأعلى من ذلك درجة من يرى أن هذا تصرف المالك في ملكه فيسـلم ولا يعترض، وأرفع منه من شـغلته المحبة عن طلب رفع البلاء، وأنهى المراتب من يتلذذ به؛ لأنه عن اختياره نشأ، والله أعلم.

ومهما عظم بلاء الدنيا فهو لا شيء بالنسبة إلى غمسة واحدة في الجنة، فقد قال رسـول الله ﷺ أنه في يوم القيامة: **«يؤتى بأشـد المؤمنين ضرًا وبلاء. فيقال: اغمسـوه غمسـة في الجنة. فيُغمس فيها غمسـة. فيقال له: أي فـلان! هل أصابك ضـر قـط أو بلاء؟ فيقول: ما أصابني قط ضر ولا بـلاء»**[2]؛ ولهذا **«يود أهل العافية يـوم القيامـة حين يُعطى أهل البلاء الثواب لـو أن جلودهم كانت قُرضت في الدنيا بالمقاريض»**[3]. ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[4].

يرضى الله عمن يحمده على الأكل والشرب

قال رسـول الله ﷺ: **«إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشَربة فيحمده عليها»**[5].

حمد الله على الأكل والشرب[6]: الأكلة هنا بفتح الهمزة وهي المرة الواحدة من

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٩٥٦.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٣٤٨٨.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٩٦٠.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٧.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الذكر، باب: استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب.

(٦) راجع: فيض القدير للمناوي ٢/٢٦٢، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٧/٥١.

الأكل كالغداء والعشـاء، فيسـتحب حمد الله تعالى عقب الأكل والشرب. وقد كان النبـي ﷺ إذا رفع مائدته قال: **«الحمد لله كثيرًا طيبًا مبـاركًا فيه، غير مكفي ولا مـودع ولا مسـتغنى عنه ربنا»**[1]، وقال ﷺ: **«مَـن أكل طعامًا فقال: الحمد لله الذي أطعمنـي هـذا ورزقنيه، من غير حول مني ولا قوة، غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه»**[2]. ولو اقتصر العبد على **«الحمد لله»** حصل أصل السنة.

وهذا تنويه عظيم بمقام الشـكر حيث رتب هذا الجزاء العظيم الذي هو أكبر أنواع الجزاء كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[3]، في مقابلة شكره بالحمد وعبَّر بالمرة إشـعارًا بأن الأكل والشـرب يستحق الحمد عليه وإن قل جدًا، أو أنه يتعين علينا ألا نحتقر من الله شـيئًا وإن قلَّ، وفيه ندب الدعاء عقبها ويُسن خفض صوته به إذا فرغ ولم يفرغ رفقته لئلا يكون منعًا لهم.

قال بعض الأكابر: هذا فيمن حمد حمدًا مطيعًا له طالبًا حسـن العمل طاهر النفـس غير ملتفت إلى رشـوة من ربه خالصًا من قلبـه فإنه إذا كان كذلك وختمه بكلمـة الصـدق رضي الله عنه بصدقـه، وأما من حمد على خـلاف ذلك فحمده مدخول يُخشـى ألا يستوجب الرضى، فإن رضى الله عن العبد خطب جليل وشأن رفيـع، والحمد مع اسـتيلاء الغفلة وتـرك الأدب مع الله إنما هو حمد السـكارى الحيارى الذين لا يلتفت إليهم ولا يعول عليهم فهيهات هيهات.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، باب: ما يقول إذا فرغ من طعامه.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٧٥١.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٧٢.

مَن يبغض الله من الناس

لا يحب الله الكافرين

قال الله تعالى: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾[1].

الكفر: الكفر ضد الإيمان. وهو المراد في الآية. وقد يكون بمعنى جحود النعمة والإحسان. أو يكون كفر دون كفر. وأصل الكُفْر في كلام العرب: الستر والتغطية؛ ومنه سمِّي الليل كافرًا؛ لأنه يغطي كل شيء بسواده. والكافر هو الذي غطَّى الحق وستره.

الكافرون: الكافرون هم ضد المؤمنين. وهم الظالمون الذين يغطون الحق ويستروه، ويكفرون بالله، ويجحدون وجوده، ويعبدون غيره، ويشركون بالله ما لم ينزل به سلطانًا، ويكفرون برسول الله محمد ﷺ، ويكفرون بما أنزل عليه من القرآن، ويكفرون سنته، ويستهزئون بشخصه وأموره الخاصة، ويكفرون بملائكة الله وكتبه ورسله، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض، ويكفرون باليوم الآخر وبالبعث فلا يرون بعثًا ولا معادًا في الآخرة ويزعمون أنهم لا يُبعثون، وإنما يعتقدون هذه الدار فقط وأنها هي جنتهم، ويكفرون بالجنة والنار.

وهم ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾[2]، وهم الذين كفروا في أنفسهم فلم يتبعوا الحق وسعوا في صد الناس عن اتباعه والاقتداء به، وينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، ويودون أن يكفر المسلمون كما كفروا فيكونون سواء، ولا يرضون عن المسلمين حتى يتبعوا دينهم وملتهم.

وهم الذين ﴿ جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٢.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٠٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٨٩.

وهـم ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ ﴾[1]، و﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾[2]، وهم ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾[3]، مع أنه ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ ﴾[4]، ومع أن المسيح عليه الصلاة والسلام قال لهم: يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه مَن يُشرك بالله فقد حـرَّم الله عليه الجنة ومأواه النار. وقال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[5].

وهم ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾[6]. وهم الذين يستهزئون بالله ورسله، ويجادلون في آيات الله ويتخذونها هزوًا، ويسبون الله أو رسوله محمدًا ﷺ. وهم المرتدون الذين كفروا بعد إيمانهم بالله ورسوله، ويشتغلون بالسحر، ويتخذون دينهم لعبًا ولهوًا وتغرّهم الحياة الدنيا، وهم ﴿ الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﴾[7]، الذين منهم من يتخذ ما ينفق مغرمًا ويتربص بالمسلمين الدوائر.

وهم الذين يقولون مُطرنا بالكوكب الفلاني أو بكذا وكذا ولا يقولون مُطرنا بفضل الله ورحمته، ويقاتلون المسلمين، ويرغبون عن آبائهم وينسبون أنفسهم إلى غير آبائهم وهم يعلمون أنهم غير آبائهم، ويتركون الصلاة، ويتركون سنة النبي ﷺ، ويشكون في كون القرآن كلام الله تعالى، ويرمون الآخرين بالكفر ولا يكونون كما قالوا.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٣.

(٢) سورة يونس، الآية: ٦٨.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٢.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٧٥.

(٥) سورة المائدة، الآية: ١٧.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٧) سورة التوبة، الآية: ٩٧.

وهـم الآبقون مـن مواليهـم، ويحلفون بغير اللـه، وهم **«من أتى حائضًا، أو امـرأة فـي دبرهـا، أو كاهنـًا: فقـد كفر بمـا أُنـزل علـى محمـد ﷺ»**[1]. وهن اللاتي **«يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئًا، قالت: ما رأيت منك خيرًا قط»**[2].

فالله - تبارك وتعالى - لا يحب الكافرين ولا يرضى لعباده الكفر، قال تعالى:

﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾[3].

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[4].

لا يحب الله الظالمين

قال الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾[5].

الظلم: الظلم أصله وضع الشيء في غير موضعه. ورجل ظَليم: شديد الظلم. والظلم: الشرك: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[6].

الظالمون: الظالمـون هم الكافرون، وهم الذين يشـركون بالله ويجحدون آياته ويكذبـون بها، ويفتـرون على الله الكذب، ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلامِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[7]، ويُذَكَّرون بآيات ربهم فيعرضـون عنها، ويكذبون بالصدق إذا جاءهم، ويكفـرون بعد إيمانهم، ويعرضون عن حكم الله تعالى، يحملون الكتب السماوية ولا يعلمون ما فيها أو يعلمون ما فيها ولا يعملون بها.

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١١٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب: كفران العشير وهو الزوج.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٧.

(٤) سورة مريم، الآية: ٣٧.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٥٧.

(٦) سورة لقمان، الآية: ١٣.

(٧) سورة الصف، الآية: ٧.

وهــم ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[1]، وهم الذين يتخذون اليهــود والنصارى أولياء وأنصارًا وأحبابًا، ويعطلون المســاجد عن الصلاة وإظهار شعائر الإســلام فيها، ويتخذون آباءهم وإخوانهم الكفار أولياء، ويكتمون الشهادة. ويتعــدون أحكام الله التي شــرعها للنــاس في الزواج والطلاق وغيــره، ويتعاملون بالربا، ويعلقون التمائم، ويتمسحون بالقبور، ويصورون التماثيل، ويُعظِّمون الصور. ويماطلون في دفع الدين وهم أغنياء، وينهبون أراضي الغير.

وهــم الذين يرتكبون المعاصــي والفواحش صغيرها وكبيرهــا، والجرائم على أنواعها، ويقتلون ويســلبون وينصبون ويحتالون ويرشــون ويرتشون، ويأكلون أموال الناس وأموال اليتامى بالباطل، ويقتلون أنفسهم، ويدَّعون الدعاوى الكاذبة، ويحلفون علــى الباطل، ويضلون الناس بغير علم، ويــؤذون جيرانهم، ويعاقبون الناس بذنوب غيرهم، ويلحدون في المســجد الحرام فيرتكبون فيه ما نهى الله ورســوله عنه من المحرمــات ومما هو خاص بالحرم، ويتركون بعض ســنن النبي ﷺ ويتبعون طرق شيوخهم، ويتبعون أهواءهم بغير علم، ويسخرون من الآخرين ويطعنون بهم ويلعنونهم ويعيبونهم ويعيرونهم بما فيهم. ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[2].

لا يحب الله المعتدين

قال الله تعالى: ﴿وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[3].

الاعتداء: تجاوز الحد في كل شيء؛ وعُرِف في الظلم والمعاصي.

المعتدون: المعتدون هم الذين لا يؤمنون برسالة محمد ﷺ، ويكذبونه ويفترون عليه، ويعتدون على الناس بغير الحق فيقتلون الرجال، ويذبحون الأطفال، ويغتصبون النساء، ويسرقون الأراضي، ويسلبون البيوت ويدمرونها، ويحرقون الأخضر واليابس.

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٥.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٨٧.

ولأن الله -عزَّ وجلَّ- لا يحب الاعتداء ولا المعتدين فقد أمر بالعدل ونهى عن الاعتداء حتى عند قتال الكفار والمشركين، فقال تعالى مخاطبًا المسلمين: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[1]، ويدخل في الاعتداء ارتكاب المناهي من التمثيل بالجثث، والخيانة في الغنيمة، وقتل النساء والصبيان والشيوخ الذين لا رأي لهم ولا قتال فيهم والرهبان وأصحاب الصوامع، وتحريق الأشجار، وقتل الحيوان لغير مصلحة. وكذلك نهى رسول الله ﷺ عن الاعتداء في الحرب فقال ﷺ: **«اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلُّوا، ولا تغدروا ولا تمثِّلوا، ولا تقتلوا وليدًا»**[2].

والمعتدون هم الذين يقتلون علماء الدين والدعاة والملتزمين بالدين، أو يحبسونهم، أو يعذبونهم بالضرب وغيره، أو يتهمونهم بالتهم الباطلة والملفقة، أو يضحكون منهم، أو يستهزئون بهم، أو يتغامزون عليهم؛ قال الله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[3].

وهم الذين يعتدون على محارم الله ويتعدون حدوده، ويرتكبون المعاصي، ولا يتناهون عن المنكر. ويظلمون الناس ويضربونهم، ويغتابون الآخرين ويسبونهم ويشتمونهم.

وهم الذين يتشددون في الدين فيحرِّمون على أنفسهم ما أحله الله لهم من الطيبات والمباحات من المأكل والمشرب والملبس والمنكح، أو يعتدون في تناول الحلال فيأخذوا منه أكثر من كفايتهم وحاجتهم ويتجاوزون الحد فيه، أو يترخصون فيحلوا حرامًا.

وهم الذين يُقتَل لهم القتيل ويأخذون ديته ثم يقتلون القاتل بعد ذلك، ويعتدون في الانتصار لأنفسهم فيعتدون أكثر مما اعتدي عليهم. ويحملهم بغض قوم على

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٠.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب: تأمير الإمام الأمراء على البعوث.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢١.

ترك الحق والعدل فيهم، ويعتدون على الآخرين بالقول وشهادة الزور والحلف الكاذب، ويعتدون على زوجاتهم ويظلمونهن بغير حق.

وهم الذين يتجاوزون الحد في الأمور كلها كبيرها وصغيرها، ويعتدون في الدعاء بالجهر الكثير والصياح، أو يدعون في أن تكون لهم منزلة نبي أو طالبين معصية وغير ذلك، أو يدعون بألفاظ ليست في الكتاب والسنة فيجعلونها شعارهم ويتركون ما دعا به النبي ﷺ، ويعتدون في الطهور بالزيادة على الثلاث، وإسراف الماء، وبالمبالغة في الغسل إلى حد الوسواس، قال المصطفى ﷺ: **«إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء»**[1]. وهم الذين يعتدون في الصدقة والزكاة فيعطونها غير مستحقيها، قال النبي ﷺ: **«المعتدي في الصدقة كمانعها»**[2].

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾[3].

لا يحب الله الفساد والمفسدين

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[5].

الفساد: هو العدول عن الاستقامة إلى ضدها. وهو ضد الصلاح.

المفسدون: المفسدون هم الذين يعدلون عن الحق وهو لا إله إلا الله إلى الباطل وهو اتخاذ آلهة من دون الله، ويكفرون ويصدون عن سبيل الله، ويفرقون الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن، ويكيدون ويمكرون بالمسلمين، وإذا دخلوا قرية عاثوا فيها فسادًا وقتلاً وحرقًا وتدميرًا وجعلوا أعزة أهلها أذلة.

---

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٨٧.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٤٠٣.

(٣) سورة ق، الآيتان: ٢٤-٢٥.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٠٥.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

هم ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ﴾[1]، ويتجبرون ويطغون ويعصون أوامر الله، ويركبون ما نهاهم عن ركوبه، ويفسدون سنن النبي ﷺ، ويبتدعون في الدين، وينقضون العهود والمواثيق، ويفسدون ذات البين بين الأحبة والأصدقاء، ويمشون بالنميمة. مقالهم أعوج، وأفعالهم سيئة وقبيحة، واعتقادهم فاسد، ويكذبون إذا حدَّثوا، ويخلفون إذا وعدوا، ويخونون إذا اؤتمنوا، ويغدرون إذا عاهدوا، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل من الأرحام والقرابات، ويفجرون إذا خوصموا، ويهلكون الحرث فلا زرع ينبت ولا ثمار، ويهلكون نتاج الحيوانات.

هم الذين يرتكبون الشذوذ الجنسي، ويشربون الخمر، ويتعاطون المخدرات، ويتعاملون بالربا والرشوة، ويحتكرون في التجارة، ويأكلون أموال اليتامى وأموال الناس بالباطل، وينقصون المكيال والميزان، ويحتالون على الناس ويغشونهم وينصبون عليهم، ويتعاملون بالسحر والشعوذة، ويوالون الكفار ويتآمرون معهم على المسلمين. ويعملون بالسحر فيفرقون بين المرء وزوجه ويفسدون في الأرض.



لا يحب الله الخائنين

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[3].

الخيانة: هي الغش والغدر وإخفاء الشيء. وهي ضد الأمانة.

الخائنون: الخائنون هم الذين يخونون الله ورسوله، ويخونون ما اؤتمنوا عليه من العلم والأمانات وغيرها، ويفشون الأسرار، ويدَّعون الزور، ويغشون في تعاملهم وتجاراتهم، وينقضون العهود، ويخالفون الاتفاقات التي يعقدونها، ويرجعون في وعودهم. وهم الذين يغشون في حكمهم، أو رعيتهم، أو أهليهم وما ولوا. وهم

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٥٢.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٥٨.

(٣) سورة الحج، الآية: ٣٨.

«إن بعدكم قومًا يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يُستشهدون، وينذرون ولا يفون»[1].

«ومَن أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانه»[2]، وهم الذين يخلفون إخوانهم أو أقرباءهم أو جيرانهم في أهليهم وزوجاتهم فيخونونهم، ويخونون شركاءهم في العمل أو أصحاب العمل، ويخصون أنفسهم بالدعاء دون المأمومين. ويسرقون النظر إلى النساء، ويخونون زوجاتهم، ويخن أزواجهن، ويكذبون على الآخرين في أحاديثهم والآخرون مصدقون لهم.

«والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك»[3].

﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا** ﴾[4].



لا يحب الله المستكبرين

قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ** ﴾[5].

قال رسول الله ﷺ: **«لا يدخل الجنة مَن كان في قلبه مثقال ذرة من كِبر»**[6].

الكبر: العظمة والتجبر، والارتفاع على الناس واحتقارهم والازدراء بهم، وتسفيه الحق وإبطاله. وهو ضد التواضع.

المستكبرون: المستكبرون هم الذين يستكبرون عن عبادة الله، مع أنه ﴿ **لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أُشهد.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣١٠٥.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجنة، باب: الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٠٧.

(٥) سورة النحل، الآية: ٢٣.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: تحريم الكبر.

ويَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴾[1].

وهم ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾[2].

وهم ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾[3].

وهم ﴿ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ﴾[4]، وهم الذين يتكبرون عن إجابة من يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويثقل عليهم تذكيرهم بآيات الله وأوامره ونواهيه، وقلوبهم لا تقبل الوعظ ولا ينجع فيها الذكر وهم متكبرون متعظمون عن قبول الحق، ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[5].

وهم الذين ﴿ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[6]، ويمتنعون عن الصلاة والسجود ووضع جباههم على الأرض، لا يؤمنون بالبعث والنشور ولا بيوم الحساب ولا بالجنة والنار.

وهم الذين ينكرون الحق ترفعًا وتجبرًا، ويزدرون الآخرين ويرتفعون عليهم ويحتقرونهم، ويمشون شامخي الأنوف فإذا رأوا ضعفاء الناس وفقراءهم لم يسلموا عليهم ولم يجلسوا إليهم محقرة لهم، يتعالون بملابسهم ويطيلونها إلى الأرض وإذا مشوا جروها خيلاء، ويفخرون على الناس بسياراتهم وممتلكاتهم.

﴿ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[7].

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٧٢-١٧٣.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.
(٣) سورة غافر، الآية: ٣٥.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.
(٥) سورة لقمان، الآية: ٧.
(٦) سورة الصافات، الآية: ٣٥.
(٧) سورة غافر، الآية: ٧٦.

يمقت الله المجادلين في آيات الله

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[1].

المجادلون في آيات الله[2]: المجادلون في آيات الله هم الذين يدفعون الحق بالباطل، ويجادلون الحجج بغير دليل وحجة معهم من الله تعالى، فإن الله -عزَّ وجلَّ- يمقت على ذلك أشد المقت؛ ولهذا قال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي؛ والمؤمنون أيضًا يبغضون مَن تكون هذه صفته. والمقت: أشد البغض.

ومَن كانت هذه صفته يطبع الله على قلبه، فلا يعرف بعد ذلك معروفًا، ولا ينكر منكرًا؛ ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ أي؛ كما طبع الله على قلوب هؤلاء المجادلين؛ فكذلك ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ﴾، أي؛ يختم على كل قلب متكبر جبار حتى لا يعقل الرشاد ولا يقبل الحق. قال قتادة: آية الجبابرة القتل بغير حق، والله تعالى أعلم.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[3]. أي؛ وهؤلاء الذين يجادلون في آيات الله، ويردون الحجج الصحيحة بالشبه الفاسدة، بلا برهان ولا حجة من الله، ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾ أي؛ ما في صدورهم إلا كبر على اتباع الحق، واحتقار لمن جاءهم به، وليس ما يرومونه -من إخماد الحق وإعلاء الباطل- بحاصل لهم، بل الحق هو المرفوع، وقولهم وقصدهم هو الموضوع.

وهؤلاء الذين يجادلون المؤمنين في دينهم ويخاصمونهم ويحاجونهم في الله؛ عليهم غضب من الله، قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾[4].

---

(١) سورة غافر، الآية: ٣٥.

(٢) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/١٩٤، ٤/١١٩، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، تفسير آية: ١٣٩ من سورة البقرة.

(٣) سورة غافر، الآية: ٥٦.

(٤) سورة الشورى، الآية: ١٦.

وهـؤلاء المجادلون هم اليهود والنصارى الذين يجادلون المسـلمين، ويصدونهم عن الهدى، ويقولون للمسلمين: نحن أولى بالله منكم، لأنَّا أبناء الله وأحباؤه، ولتقدم آبائنـا وكتبنـا. ويقولون لهم أيضًا: ديننا خير من دينكـم، ونبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم، ونحن خير منكم وأولى بالله منكم. ويرون لأنفسهم الفضيلة بأنهم أهل الكتاب وأنهم أولاد الأنبياء.

وهـم الذين يخاصمون في دين الله الـذي ابتعث به نبيه محمدًا ﷺ، ويقولون للمسـلمين: ديننا أفضل من دين الإسـلام، وحضارتنا أفضل من حضارة المسلمين، وشـريعتنا متقدمة ومتفوقة على شريعة الإسـلام، وديننا يتطور ويناسب كل عصر والإسلام فات زمانه ولم يعد مناسبًا لهذا العصر ولا لما بعده من العصور.

وهم المشـركون وأهل الضلالة الذين يجادلون المؤمنين ليصدونهم عن الهدى، ويطمعوا أن تعود الجاهلية.

وقـد توعـد الله تعالى جميع هؤلاء الذين يصدون المسـلمين عن سـبيل الله، والذين يجادلون المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله، ليصدوهم عما سلكوه من طريق الهدى؛ فبيَّن سـبحانه أنه يمقتهم، وأن حجتهم باطلة عند الله، وعليهم غضب منه تعالى، ولهم عذاب شديد يوم القيامة.

وأمـر الله تعالى رسـوله محمدًا ﷺ أن يرد على هـؤلاء جميعًا، فقال تعالى: ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾[1]، أي؛ قـل يا محمد لهؤلاء اليهـود والنصارى الذين زعموا أنهـم أبناء الله وأحباؤه، وادَّعـوا أنهم أولى بالله منكم لقدم آبائهم وكتبهم: أتحاجوننا في الله، وتزعمون أن دينكـم أفضل من ديننا، وأنكم على هدى ونحن على ضلالة، ببرهان من الله تعالى فتدعوننا إلى دينكم؟ فهاتوا برهانكم على ذلك فنتبعكم عليه!

ثم قال عزَّ وجلَّ لنبيه ﷺ: قل لهم يا محمد إن ادَّعوا أن إبراهيم وإسـماعيل وإسـحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودًا أو نصارى: أأنتم أعلم بهم وبما كانوا عليه

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٩.

مــن الأديان أم الله؟ فهاتوا على دعواكم ما ادعيتم من ذلك برهانًا فنصدقكم! فإن اللــه قد جعلهم أئمة يُقتدى بهم. فأنكر تعالــى عليهم في دعواهم أن إبراهيم ومن ذكــر بعده من الأنبياء والأســباط كانوا على ملتهم، إما اليهوديــة وإما النصرانية، وقد أخبر أنهم لم يكونوا هودًا ولا نصارى، فقال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1].

ثم توعدهم الله وعيدًا شــديدًا، أن علمه محيط بعملهم وسيجزيهم عليه، قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَــهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[2]. قال الحســن البصري: كانوا يقرؤون في كتاب الله الذي أتاهم إن الدين الإســلام، وإن محمدًا رســول الله، وإن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا براء من اليهودية والنصرانية، فشهدوا لله بذلك وأقروا على أنفسهم الله، فكتموا شهادة الله عنهم من ذلك.

ويقول الله تعالى مرشــدًا نبيَّه صلوات الله وســلامه عليــه، إلى درء مجادلة المشــركين أيضًا: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾ أي؛ تناظروننا في توحيد الله والإخلاص لــه، والانقياد، واتباع أوامره، وتــرك زواجره، ﴿وَهُوَ رَبُّنَــا وَرَبُّكُمْ﴾ بيده الخيرات، وإليه الثواب والعقاب، والجزاء على الأعمال، الحســنات منها والسيئات، المتصرف فينا وفيكم، المســتحق لإخلاص الإلهية له وحده لا شــريك له، ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ أي؛ نحن براء منكم ومما تعبدون وأنتم براء منا.

فأمــا قولــه: ﴿وَنَحْنُ لَــهُ مُخْلِصُونَ﴾ فإنــه يعني: ونحن للــه مخلصو العبادة والطاعة لا نشرك به شيئًا، ولا نعبد غيره أحدًا، كما عبد أهل الأوثان معه الأوثان، وأصحاب العجل معه العجل. وهذا من الله - تبارك وتعالى - توبيخ لليهود والنصارى والمشــركين، واحتجاج لأهل الإيمان، بقوله تعالى للمؤمنين من أصحاب محمد ﷺ: قولوا أيها المؤمنون لليهود والنصارى الذين قالوا لكم: كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا: أتحاجوننــا في دين الله الذي أمرنــا أن ندينه به، وربنا وربكم واحد عدل لا يجور،

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٠.

وإنما يجازي العباد على ما اكتسبوا. وأن لكل فريق منا ما عمل واكتسب من صالح الأعمال وسيئها، ويجازى فيثاب أو يعاقب، لا على الأنساب وقدم الدين والكتاب، وتزعمون أنكم أولى بالله منا لقدم دينكم وكتابكم ونبيكم، ونحن مخلصون له العبادة لم نشرك به شيئًا، وقد أشركتم في عبادتكم إياه، فعبد بعضكم العجل وبعضكم المسيح. فأنى تكونوا خيراً منا، وأولى بالله منا؟!.

يمقت الله الذين يقولون ما لا يفعلون

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾[1].

القول ما لا يفعل: هو أن يعد الإنسان وعدًا، أو يقول قولاً ولا يفي به، أو يقول عن نفسه من الخير ما لا يفعله. أما في الماضي فيكون كذبًا، وأما في المستقبل فيكون خلفًا، وكلاهما مذموم.

القائلون ما لا يفعلون: القائلون ما لا يفعلون هم الذين يتعلمون العلم ويعلمونه للناس ولا يعملون بما يقولون، والعمل بالعلم هو المطلوب من العباد، النافع عند قيام الأشهاد، ومتى تخلف العمل عن العلم كان حجةً علـى صاحبه وخزيًا وندامة يوم القيامة.[2] فإن صاحب العلم اللساني الذي لم يتأثر منه فإنه محجوج عليه، ويقال له: ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾. قال مالك بن دينار. إذا لم يعمل العالم بعلمه، زلت موعظته من القلوب كما يزل القطر من الصفا:

يا واعظ الناس قد أصبحت متهمًا — إذ عبت منهم أمورًا أنت تأتيها

قال رسـول الله ﷺ: **«أتيت ليلة أُسري بي على قومٍ تقرض شفاههم بمقاريض من نارٍ، كلما قرضتْ وَفَتْ**[3]**، فقلت: يا جبريل مَن هؤلاء؟» قال: هؤلاء خطباء أمتك**

(١) سورة الصف، الآيتان: ٢-٣.

(٢) فيض القدير للمناوي ٣/٢٥٣.

(٣) رجعت كما كانت بعد قصها وقطعها.

الذين يقولون ما لا يفعلون، ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون به[1]. وعن بعض السلف أنه قيل له: حدثنا؛ فسكت. ثم قيل له: حدثنا. فقال: أترونني أن أقول ما لا أفعل فاستعجل مقت الله!.

وهم الذين ينصحون غيرهم بعمل البر والخير وينسون أنفسهم، فلا يفعلون ما يقولون. قال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾[2]. إن التوبيخ في الآية بسبب ترك فعل البر لا بسبب الأمر بالبر؛ ولهذا ذم الله تعالى في كتابه قومًا كانوا يأمرون بأعمال البر ولا يعملون بها، وبخهم به توبيخًا يُتلى على طول الدهر إلى يوم القيامة، وقال أبو العتاهية:[3]

وصفت التقى حتى كأنك ذو تقى	وريح الخطايا من ثيابك تسطع

وقال أبو الأسود الدؤلي:

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله	عار عليك إذا فعلت عظيم
وابدأ بنفسك فانهها عن غيها	فإن انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل إن وعظت ويقتدى	بالقول منك وينفع التعليم

والغرضُ أن الله تعالى ذمَّهم على هذا الصنيع، ونبَّههم على خطئهم في حق أنفسهم، حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه، وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له، بل على تركهم له، فإن الأمر بالمعروف معروف، وهو واجب على العالم، ولكن الواجب والأولى بالعالم أن يفعله مع مَن أمرهم به ولا يتخلف عنهم[4].

وهم الذين يسألون عن أي الأعمال أحب إلى الله ليعملوه، فإذا علموه لا يعملون به. وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾، يوجب على كل من ألزم نفسه عملاً فيه طاعة أن يفي بها.

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٢٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/٢٤٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٨٩.

وهم الذين يعدون بالقيام بالجهاد في سبيل الله، فإذا دُعوا إليه تولوا ولا يفون بمـا وعدوا به. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[1].

وهم الذين يعدون المسلمين النصر ولا يفون لهم بذلك. وهم الذين يقولون: قاتلنا، ولم يقاتلوا. وضربنا، ولم يضربوا، وصبرنا ولم يصبروا... وهم الذين يتشبعون بما لم يعطوا: من مالٍ يختالون في التجمل به من غيرهم، أو نسبٍ ينتمون إليه، أو علم يتحلون به وليسوا هم من حملته، أو دينٍ يظهرونه، وليس هم من أهله؛ يحبون أنً يحمدوا بما لم يفعلوا، وقد قال الله تعالى: ﴿ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2]. يعني بذلك المرائين المتكثرين بما لم يعطوا، كما قال النبي ﷺ: «**من ادعى دعوى كاذبة ليتكثر بها، لم يزده الله إلا قلة**»[3]. وقال ﷺ أيضًا: «**المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور**»[4].

وهم الذين يعاهدون الناس، ويبرمون معهم العقود، ويتفقون مع الآخرين، ولا يوفون بعهودهم، أو بعقودهم، أو باتفاقاتهم، وينقضون وينكثون ويخلفون، قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ ﴾[5]. لفظ عام لجميع ما يعقد الإنسان باللسان، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾[6]. وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾[7].

وهم الذين يعدون غيرهم بالوعد الخير ولا يفون به؛ فصدقُ الوعد من الصفات الحميدة، كما أن خلفه من الصفات الذميمة، قال الله تعالى: ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾،

---

(١) سورة الصف، الآية: ٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٨.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب: النهي عن التزوير في اللباس وغيره.

(٥) سورة النحل، الآية: ٩١.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ٣٤.

(٧) سورة المائدة، الآية: ١.

وقال رسول الله ﷺ: **«آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»**[1]، ولما كانت هذه صفات المنافقين، كان التلبس بضدها من صفات المؤمنين.

وهم الذين يعدون الأطفال بأشياء ولا يفون لهم، والكلمات التي يتفوه بها الناس هزلاً ومداعبةً للأطفال عند البكاء مثلاً بإعطائهم شيءٍ ما، أو وعدهم بشيءٍ إذا نفذوا أمرًا ما، أو تخويفهم بشيءٍ إذا ارتكبوا شيئًا ما- هذه الكلمات داخلة في الكذب. عن عبد الله بن عامر، أنه قال: دعتني أمِّي يومًا ورسول الله ﷺ، قاعدٌ في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطيك، فقال لها رسول الله ﷺ: **«وما أردت أن تعطيه؟»** قالت: أعطيه تمرًا، فقال لها رسول الله ﷺ: **«أما إنك لو لم تعطيه شيئًا كُتِبَت عليك كذبةٌ»**[2].

لا يحب الله المسرفين

قال الله تعالى: ﴿وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[3].

الإسراف: الإفراط في الشيء ومجاوزة الحد. والسرف الخطأ في الإنفاق والتبذير، والسرف الغفلة والجهل. وهو ضد الاقتصاد.

المسرفون: المسرفون هم الذين يتجاوزون الحد في الكفر والشرك، ويتركون أمر الله، ويسرفون في أمرهم بارتكاب الكبائر، ويسرفون في جمع المعاصي والفواحش بعضها إلى بعض، ويعرضون عن الدين وتلاوة كتاب رب العالمين والعمل بما فيه، ويأكلون أموال اليتامى، وينفقون أموالهم في غير طاعة الله وفي المعاصي، وينفقون أموال غيرهم.

وهم الذين يُقتَل لهم القتيل فيسرفون في القتل فيقتلون غير القاتل، أو يقتلون اثنين بدلاً من واحد، أو يمثَّل بالقاتل، وهم الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، ويتكبرون ويتجبرون.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: علامة المنافق.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤١٧٦.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

وهـم الذين يتصدقون بجميـع أموالهم دون أن يتركوا لأهلهم شـيئًا ويقعدون فقراء، ويسرفون في الأكل والشرب، والملبس والمسكن، ولا يشتهون شيئًا إلا اشتروه فأكلوه، ويسرفون في استخدام الماء والكهرباء والهاتف وغيره، ويسرفون في الوضوء بالزيادة على المرات الثلاث أو باستخدام الماء.

﴿ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾[1].

لا يحب الله الفرحين

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾[2].

الفـرح: لـذة تقع في القلب بإدراك المحبوب ونيل المشـتهى، فيتولد من إدراكه حالة تسـمى الفرح والسـرور، كما أن الحزن والغم من فقـد المحبوب، فإذا فقده تولد من فقده حالة تسـمى الحزن والغم. وقد ذكر الله تعالى الأمر بالفرح بفضله وبرحمته: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[3]. فالفرح متى كان بالله، وبما مَنَّ الله به، مقارنًا للخوف والحذر: لم يضر صاحبه، ومتى خلا عن ذلك: ولا بد.

الفرحون: الفرحون هم قسـاة القلوب البطرين ﴿ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾[4]، الذين يبطـرون ويعجبون بما أوتوا ويظنون أن ذلك لا يبيد وأنه دال على رضاء الله -عزَّ وجلَّ- عنهم، يحزنون إذا أصاب المسـلمين نصر وغنيمـة، ويفرحون إذا أصابتهم هزيمـة ومصيبة و﴿ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾[5]. لا يفرحون بالقرآن والإسـلام ويفرحون ويمرحون بالدنيا وما فيها من كفر وشرك، وفسق وفجور، وملاهي ومعاصي.

(١) سورة غافر، الآية: ٤٣.

(٢) سورة القصص، الآية: ٧٦.

(٣) سورة يونس، الآية: ٥٨.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٨٨.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٥٠.

هم الذين إذا أنعم الله -عزَّ وجلَّ- عليهم بنعمة ثم نزعها منهم ييأسوا من رحمة الله ويجحدوا النعم، وإذا أنعم الله تعالى عليهم بالصحة والرخاء والسعة في الرزق بعد ضر وفقر وشدة يفرحوا ويفخروا بما نالوه من السعة وينسوا شكر الله تعالى عليها، ﴿ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ ﴾[1]. وهم الأثرياء الذين أعطاهم الله تعالى من الدنيا ما لا حصر له فلا يطلبون بها الدار الآخرة وهي الجنة بل يطلبون بها ما هو حاصل لهم في الأصل، أي؛ الدنيا ويضيعون أعمارهم في سبيل ذلك. وهم الذين يفرحون فرحًا مطغيًا لا فرح سرور بفضل الله وإنعامه ويتخذون الشماخة والكبر والأشر والبطر والاستغراق في اللهو والفرح بما أوتوا ديدنًا وشعارًا.

هم الذين يفترقون عن جماعتهم ويفرقون دينهم فيجعلونه أديانًا ويصيروا فرقًا فرقًا بعد ما أُمروا بالاجتماع، وكلاً منهم معجب برأيه وضلالته ويضعون الكتب التي تحتوي على هذه الآراء والضلالات فيؤمنون بهذه الكتب ويكفرون بما سواها و﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[2]، وكل فرقة بطريقتهم معجبون.

﴿ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾[3].

لا يحب الله المختال الفخور

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا ﴾[4].

المختال الفخور: المختال الفخور هو المتكبر المعجب بنفسه وينظر إليها بعين الافتخار، وينظر إلى الناس بعين الاحتقار ويصعِّر خده لهم، ويفخر بحسبه وماله ومركزه الاجتماعي، ويمشي في الأرض مرحًا، ويختال في مشيته، ويرفع صوته.

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٦.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٥٣.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٤٤.

(٤) سورة النساء، الآية: ٣٦.

هو الذي يعق والديه ولا يعاملهما بإحسان، ولا يحسن إلى أقربائه واليتامى والمساكين، ولا يكرم جيرانه أو ابن السبيل أو الخدم.

هو الذي يشتري أفضل وسائل التنقل ليرائي بها ويستطيل بها على الناس ليريهم أنه أعز منهم وأكبر، فيركب أعناقهم ويستعبد قلوبهم ويستميلها إليه بالتعظيم والخدمة.

هو الذي يدَّعي لنفسه ما ليس عنده ليفتخر على غيره، ويحزن على ما فاته من الدنيا، ويفرح بما أتاه من الدنيا فيتكبر على الناس ويفخر عليهم، ويتعدَّى في حزنه وفرحه إلى ما لا يجوز.

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[1].

لا يحب الله المسبلين

قال رسول الله ﷺ: **«يا سفيان بن سهل! لا تُسبل فإن الله لا يحب المسبلين»**[2].

المسبل[3]: المسبل هو الذي يرسل إزاره أسفل الكعبين[4]، ويخالف سنة النبي ﷺ في طول الإزار الذي حدده النبي ﷺ بقوله: **«إزرة المسلم إلى نصف الساق، ولا حرج، - أو لا جناح - فيما بينه وبين الكعبين، ما كان أسفل من الكعبين فهو في النار، من جرَّ إزاره بطرًا لم ينظر الله إليه»**[5]، وفي الحديث دلالة على أن المستحب أن يكون إزار المسلم إلى نصف الساق والجائز بلا كراهة ما تحته إلى الكعبين، وما كان أسفل من الكعبين فهو حرام وممنوع.

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٨.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٢٨٧٦.

(٣) راجع: عون المعبود للعظيم آبادي ١١/١٠٣-١٠٤.

(٤) الكعب (الكاحل): المفصل الذي بين الساق والقدم، وإطلاق لفظ الكعب على عقب القدم الخلفي الملامس للأرض هو خطأ شائع.

(٥) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٤٤٩.

وقد أخبر النبي ﷺ أن الإسبال من المخيلة وهي الكبر وأن الله لا يحب المخيلة فقال عليه الصلاة والسلام: «**وارفع إزارك إلى نصف الساق، فإن أبيت فإلى الكعبين، وإياك وإسبال الإزار فإنها من المَخيلة، وإن الله لا يحب المخيلة**»[1]. والمسبل على خطر عظيم في الآخرة وله عذاب أليم حيث يقول النبي ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: المُسبل، والمنَّان، والمنفق سلعته بالحَلف الكاذب**»[2].

والإسبال يمكن أن يكون في القميص أو العمامة لقول النبي عليه الصلاة والسلام: «**الإسبال؛ في الإزار، والقميص، والعمامة، من جر منها شيئًا خُيَلاء، لم ينظر الله إليه يوم القيامة**»[3]. القميص: هو الثوب الساتر الذي يصل إلى نصف الساق، أو قرب الكعبين، ويلحق به أردية الرجال مثل: العباءة، والبرنس المغربي، والجلابية وما شابه. وإسبال العمامة المراد به إرسال العذبة زائدًا على ما جرت به العادة. وتطويل أكمام القميص تطويلاً زائدًا على المعتاد من الإسبال، وكذلك كل ما زاد على المعتاد في اللباس في الطول والسعة.



لا يرضى الله عن الفاسقين

قال الله تعالى: ﴿ **فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ** ﴾[4].

الفاسقون: الفِسْق أصله الخروج عن الشيء؛ يقال: فسقت الرطبة إذا خرجت عن قشرها؛ والفأرة من جحرها. وفَسَقَ الرجل فسقًا وفسوقًا؛ أي؛ فجر. والفِسِّيق: الدائم الفسق. والفِسْق في عرف الاستعمال الشرعي: الخروج من طاعة الله -عزَّ وجلَّ-، فقد يقع على مَن خرج بكفر وعلى من خرج بعصيان.

---

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٤٤٢.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف.

(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٤٥٠.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٩٦.

والفاسقون هم ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾[1]؛ فهم يتركون العمل بما في كتبهم باتباع محمد ﷺ بعد بعثته والتصديق به وبما جاء به من عند ربهم، ويجحدونه بعد معرفتهم بحقيقته ويكتمون علم ذلك عن قومهم، ويتركون العمل بوصية الله تعالى إلى خلقه، وأمره إياهم بما أمرهم به من طاعته، ونهيه إياهم عما نهاهم عنه من معصيته في كتبه وعلى ألسنة رسله. ويقطعون الأرحام فلا يصلوها، ويقطعون بين القول والعمل فيقولون ولا يعملون، ويقطعون التصديق بجميع أنبيائه؛ فيصدقون بعضهم ويكذبون بعضهم، ويقطعون دين الله وعبادته في الأرض وإقامة شرائعه وحفظ حدوده، وغير ذلك مما أمر الله تعالى به أن يوصل. ويفسدون في الأرض بعبادة غير الله تعالى ويجورون في الأفعال، إذ هي بحسب شهواتهم.

وهم الذين يغيِّرون ما هو من صفات الله تبارك وتعالى، ويبدِّلون كلام الله وسنة رسوله ﷺ، فيبتدعون في الدين ما لم يأت به النبي ﷺ. ويكفرون بالآيات التي أنزلها الله تعالى إلى رسوله محمد ﷺ. وينبذون كتاب الله وراء ظهورهم، ويتعاملون بالسحر، ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[2].

وهم ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[3]؛ وهم الذين يأتون معاصي الله -عزَّ وجلَّ-، ويعملون الخبائث، ويرتكبون الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ويسبون المسلمين، ويعيِّرون الآخرين فينادونهم بالألقاب القبيحة والصفات السيئة، ويوالون الكفار، ويخونون ويشهدون الزور، ويسرقون الناس ويرتشون، وآباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم وأزواجهم وعشيرتهم وأموالهم وتجارتهم ومساكنهم أحب إليهم من الله ورسوله وجهاد في سبيله، يتكالبون على الدنيا وينسون الآخرة؛ ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧.

(٢) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٧.

(٤) سورة الحشر، الآية: ١٩.

هم الذين ارتابت قلوبهم وشكّت في الدين وهم في شكهم يذهبون ويرجعون، يتخلفون عن الجهاد وينشرون بين المسلمين الفساد والنميمة والشائعات وإيقاع الفتنة والاختلاف والأكاذيب، يفرحون إذا أصيب المسلمون بمصيبة، ويغتمون إذا أصيبوا بخير.

﴿ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى ﴾[1]، ويحلفون بالله إنهم من المؤمنين وما هم منهم ولكنهم قوم يخافون أن يُظهروا ما هم عليه من الفسق والنفاق، ويحلفون بالله ليرضوا المسلمين والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين، يرضون المسلمين بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون.

هم الذين ﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[2]. يعيبون المؤمنين ويسخرون من اتباعهم أوامر الله ورسوله في الهيئة واللباس، ويعيبون المؤمنات ويسخرون من اتباعهن أوامر الله من فوق سبع سماوات في الحجاب، ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾[3].

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾[4].



لا يرضى الله عن شارب الخمر أربعين ليلة

قال رسول الله ﷺ: **«من شرب الخمر لم يرض الله عنه أربعين ليلة، فإن مات مات كافرًا، وإن تاب تاب الله عليه، وإن عاد كان حقًا على الله أن يسقيه من طينة الخبال»**، قالت: قلت: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: **«صديد أهل النار»**[5].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٥٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦٧.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٩٦.

(٤) سورة السجدة، الآية: ٢٠.

(٥) مسند أحمد، رقم: ٢٧٤٧٥، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن.

الخمر: الخمر مأخوذة من خَمَر إذا ستر؛ ومنه خمار المرأة. وكل شيء غطَّى شيئًا فقد خَمَره؛ فالخمر تَخْمُر العقل، أي؛ تغطيه وتستره. وقيل: إنما سميت الخمر خمرًا؛ لأنها تُركت حتى أدركت؛ كما يقال: قد اختمر العجين، أي؛ بلغ إدراكه. وخُمِر الرأي، أي؛ تُرك حتى يتبين فيه الوجه. وقيل: إنما سميت الخمر خمرًا؛ لأنها تخالط العقل، من المخامرة وهي المخالطة؛ ومنه قولهم: دخلت في خُمار الناس، أي؛ اختلطت بهم. فالمعاني الثلاثة متقاربة؛ فالخمر تُركت وخُمِرت حتى أدركت، ثم خالطت العقل، ثم خمرته؛ والأصل الستر. والخمر: ماء العنب الذي غَلَى أو طُبخ؛ وما خامر العقل من غيره فهو في حكمه. والجمهور من الأمة على أن ما أسكر كثيره من غير خمر العنب فمحرم قليله وكثيره، والحد في ذلك واجب[1].

إن الله تعالى لم يدع شيئًا من الكرامة والبر إلا أعطاه هذه الأمة، ومن كرامته وإحسانه أنه لم يوجب عليهم الشرائع دفعة واحدة، ولكن أوجب عليهم مرة بعد مرة؛ فكذلك تحريم الخمر. فأول ما نزل في أمر الخمر قول الله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾[2]. ثم بعد ذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾[3]. ثم قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[4]. ثم قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[5].

لقد حرَّم الله الخمر، وشربها يعد من كبائر الذنوب، فالخمر أم الخبائث، تخرج شاربها من الإنسانية إلى الحيوانية، ومن الوعي إلى الغيبوبة، ومن العقل

---

(١) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/٣٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٣.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٩١.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٩٠.

إلى الجنون، والسكران يختل كلامه المنظوم، وينكشف سره المكتوم، ولا يعرف السماء من الأرض، ولا الطول من العرض، ولا يميز بين الحسن والقبيح، ولا يتورع عن المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش والزور والقتل وزنا المحارم وغير ذلك من الفواحش والآثام ما ظهر منها وما بطن، وما لا يرضى الإنسان أن يفعله صحيحًا واعيًا لا يتردد في أن يفعله وهو سكران، ثم إن الشارب يصير ضُحْكَة للعقلاء، فيلعب ببوله وبرازه، وربما يمسح بهما وجهه، أو يقوم بأفعال أخرى تجعله مضحكة حتى للأطفال والسفهاء، ويكفي أن السكران يسقط من أعين الناس واعتبارهم ولو كان رفيع الشأن.

قال عثمان رضي الله عنه: **«اجتنبوا الخمر، فإنها أم الخبائث، إنه كان رجل ممن خلا قبلكم تعبد، فعَلِقَتْه امرأة غوية، فأرسلت إليه جاريتها فقالت له: إنا ندعوك للشهادة، فانطلق مع جاريتها فطفقت كلما دخل بابًا أغلقته دونه، حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام، وباطية خمر، فقالت: إني والله ما دعوتك للشهادة، ولكن دعوتك لتقع علي، أو تشرب من هذه الخمرة كأسًا، أو تقتل هذا الغلام، قال: فاسقيني من هذا الخمر كأسًا، فسقته كأسًا، قال: زيدوني! فلم يَرِمْ حتى وقع عليها، وقتل النفس، فاجتنبوا الخمر، فإنها والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر، إلا ليوشك أن يخرج أحدهما صاحبه»**[1].

فهذا هو شأن الخمر إذا خامرت العقل فعل الإنسان أي شيء قبيح، ومن شرب كأسًا طلب الزيادة إلى أن يزول عقله؛ ولهذا فإن القليل من الخمر حرام، قال رسول الله ﷺ: **«ما أسكر كثيره، فقليله حرام»**[2]، فقد سد الشرع نهائيًا باب الخمر فحرَّمه حتى وإن كان رشفة يسيرة.

وقد تنبأ رسول الله ﷺ بأن الخمر سوف تُسمى بغير اسمها لإبعادها عن لفظ الخمر المفزع؛ ولهذا قال ﷺ: **«ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها»**[3]، فمهما كان اسم الخمر فهو حرام؛ سواء كان اسمها نبيذ أو عرق أو جعة،

---

(١) صحيح سنن النسائي، رقم: ٥٢٣٦.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣١٢٨.

(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣١٣٥.

وهي البيرة أو (ويسـكي) أو (شمبانيا) أو (كونياك) أو (فودكا) أو مشروبات روحية أو أي اسـم آخر، فليس هناك أي مجال لأي إنسـان أن يخدع نفسه ويقنعها بأن ما يشربه لا ينطبق عليه اسم الخمر. وحتى لا يقول أحد عن شراب ما إنه ليس خمرًا قال النبي ﷺ: «**كل مسـكر خمر**»[1]؛ فإذا كان كل مسـكر خمرًا فهو إذًا حرام، قال ﷺ: «**كل مسـكر حـرام**»[2]، وهذا فيه رد علـى بعض الناس الذين يخادعون الله وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون، الذين يقولون إنهم إذا شربوا الخمر لا يسكرون، وهي بالنسـبة لهم كعصير البرتقال والتفاح وغيرها من الفاكهة بالنسـبة لغيرهم، فكل مسكر يسكر غيرهم فهو حرام بعينه ويحرم شربه وإن لم يسكرهم هم، كذلك ما أسكر غيرهم كثيره، فقليله عليهم حرام وإن لم يسكرهم كثيره.

وقد أعلم الله تعالى عباده أن الشيطان إنما يريد أن يوقع العداوة والبغضاء بين الناس بسبب الخمر، فكم من أصدقاء اجتمعوا على شرب الخمر وليس في قلوبهم ضغائن، فلما سكروا تشاجروا وضربوا بعضهم البعض حتى أدموا أنفسهم وشوهوا وجوههم فوقعت العداوة والبغضاء فيما بينهم؟! بل كم سمعنا عن صديقين حميمين اجتمعا على شرب الخمر فلما سكرا قتل أحدهما الآخر ثم أقيم الحد على القاتل وأُعدم ولم يكن السـبب سـوى جرعة خمر؟! قال رسول الله ﷺ: «**لا تشرب الخمر، فإنها مفتاح كل شر**»[3].

ولهـذا حذَّرنا اللـه تعالى من الخمـر، ونهانا عنهـا، وأمرنا باجتنابها أشـد الاجتنـاب وعدم التعامل فـي أي عمل له علاقة بالخمر فضلاً عن شـربها؛ وقد لُعنت الخمر على عشـرة أوجه؛ قال رسـول الله ﷺ: «**لعن الله الخمر، وشـاربها، وسـاقيها، وبائعهـا، ومبتاعها، وعاصرهـا، ومعتصرها، وحاملهـا، والمحمولة إليه**»[4] «**وآكل ثمنهـا**»[5]، بـل هناك حالة غير هذه الحالات العشـر ومع ذلك نهى الشـرع

(١) صحيح سنن النسائي، رقم: ٥١٥٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام ، باب: أمر الوالي إذا وجه أميرين إلى موضع أن يتطاوعا ولا يتعاصيا.

(٣) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٢٧١٧.

(٤) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣١٢١.

(٥) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٢٧٢٥.

عنها، وهي أن يجلس الإنسان على مائدة تدار عليها الخمر، قال رسول الله ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يجلس على مائدة يُدار عليها بالخمر»**[1]، فإذا كان هذا الإنسان لا يشرب الخمر ولا يفعل أي عمل من الأعمال الأخرى المذكورة والأمر هكذا، فكيف يكون الأمر إذًا لو كان يشرب؟! قال النبي ﷺ: **«لا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»**[2]؛ فقد نفى النبي ﷺ الإيمان عن شارب الخمر، ومن انتفى الإيمان عنه ومات على ذلك فحسابه عسير وعاقبته وخيمة يوم القيامة، قال ﷺ: **«لا يدخل الجنة مدمن خمر»**[3]، وأقل ذلك أن المسلم الذي يدخل الجنة سيُحرم من خمر الآخرة إن شربها في الدنيا، قال ﷺ: **«من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حُرِمها في الآخرة»**[4].

والوعيد يتناول من شرب الخمر وإن لم يحصل له السكر؛ لأنه رتب الوعيد في الحديث على مجرد الشرب من غير قيد. وقال الخطابي والبغوي في (شرح السنة): معنى الحديث لا يدخل الجنة؛ لأن الخمر شراب أهل الجنة، فإذا حُرِمَ شربها دل على أنه لا يدخل الجنة. وقال ابن عبد البر: هذا وعيد شديد يدل على حرمان دخول الجنة. قال: ويحمل الحديث عند أهل السنة على أنه لا يدخلها ولا يشرب الخمر فيها إلا إن عفا الله عنه كما في بقية الكبائر وهو في المشيئة[5]. فالله أعلم كيف يكون الحال.

أما في الدنيا فوضع شارب الخمر خطير إن لم يتب من شربها مطلقًا، فالله -عزَّ وجلَّ- لا يرضى عن شارب الخمر أربعين ليلة، فإن مات مات كافرًا[6]، والخمر

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٢٤٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأشربة، باب: قول الله تعالى ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

(٣) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٢٧٢١.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأشربة، باب: قول الله تعالى ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

(٥) راجع: فتح الباري للعسقلاني ١٠/٣٢-٣٣.

(٦) وقد سئل سماحة الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله عن هذا فقال: هذا من باب الوعيد ويكون كفرًا أصغر إلا إذا استحل شرب الخمر فيكون كفرًا أكبر.

تصد عن ذكر الله وعن الصلاة بل وإن صلَّى الإنسان فإن الله -عزَّ وجلَّ- لا يتقبل منه صلاة أربعين صباحًا؛ قال رسول الله ﷺ: **«من شرب الخمر لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد الرابعة لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب لم يتب الله عليه وسقاه من نهر الخبال»**. قيل: يا أبا عبد الرحمن وما نهر الخبال؟ قال: نهر من صديد أهل النار[1]. فالذي لا يقبل الله له صلاة أربعين صباحًا بسبب شربه الخمر ومع ذلك يصر على إدمانها فهو كما وصف رسول الله ﷺ: **«مدمن الخمر كعابد وثن»**[2].

أما عن عقابه وإقامة الحد عليه فقد شرع النبي ﷺ وتشريعه تشريع لرب العالمين: **«من شرب الخمر فاجلدوه، ثم إن شرب فاجلدوه، ثم إن شرب فاجلدوه، ثم إن شرب فاقتلوه»**[3]، فهذا ما يستحقه شارب الخمر، إلا أن القتل قد رُفع وبقي الجلد، وهو أربعين جلدة.



يغضب الله على المنافقين والمنافقات[4]

قال الله تعالى: ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾[5].

النفاق: هو مخالفة الباطن للظاهر، وإظهار الخير وإسرار الشر، وهو أنواع: اعتقادي: وهو الذي يخلد صاحبه في النار. وعملي: وهو من أكبر الذنوب؛ لأن

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٥١٧.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٢٧٢٠.

(٣) صحيح سنن النسائي، رقم: ٥٢٣٢.

(٤) راجع تفسير الآيات الواردة في هذا الموضوع في كتب التفسير: ابن كثير، القرطبي، الطبري.

(٥) سورة الفتح، الآية: ٦.

المنافق يخالف قولُه فعله، وسره علانيَتَه، ويدخل فيه الفعل والترك وتتفاوت مراتبه، وهو ليس مخرجًا من الملة، ويمكن أن يكون وسيلة إلى النفاق الاعتقادي.

المنافقـون: المنافقون هم الذين يدخلون في الإســلام من وجه، ويخرجون عنه مــن آخر، يظهرون الإيمان ويبطنــون الكفر. ذكر الله في ســورة البقرة أربع آيات فــي وصف المؤمنين، ثم آيتــين في تعريف حال الكافرين، ثم ثلاث عشــرة آية في تعريف حال المنافقين. ولما كان أمرهم يشتبه على كثير من الناس، أطنب في ذكرهم بصفات متعددة، كلٌّ منها نفاق، كما أنزل ســورة (براءة) وســورة (المنافقين) فيهم، وذكرهم في سورة (النور) وغيرها من السور، تعريفًا لأحوالهم لتُجتَنَبَ ويُجتنب من تلبَّس بها أيضًا. والمنافقون هم أخطر على المسلمين من اليهود والنصارى وغيرهم، وتأتي خطورتهم لكونهم يقيمون بين أظهر المســلمين، ويتكلمون بلغتهم، ويتســمون بأسمائهم، وهم محسوبون على المسلمين، ويتحدثون باسمهم.

وهم المنافقون الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾[1]. وهم الذين ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ ﴾[2]. وهم الذين: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ ﴾[3].

وهم المنافقون الذين ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[4]. يقولون للمؤمنين: آمنا، نفاقًا ومصانعة وتقية، وإذا انصرفوا وخلصوا إلى شياطينهم الذين هم ســادتهم وكبراؤهــم، وأصحابهم من اليهود والنصــارى الذين يأمرونهم

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ٨-١٠.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ١١-١٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٣.

(٤) سورة البقرة، الآيتان: ١٤-١٥.

بالتكذيب وخلاف ما جاء به الرسول ﷺ، قالوا: إنَّا على مثل ما أنتم عليه، إنما نستهزئ بالمسلمين. ولم يعلموا أن الله تعالى يسخر بهم للنقمة منهم، وفي ضلالتهم وكفرهم يترددون حيارى، لا يجدون إلى المخرج منه سبيلاً؛ لأن الله قد طبع على قلوبهم، وختم عليها، وأعمى أبصارهم عن الهدى فلا يبصرون رشدًا ولا يهتدون سبيلاً ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾[1].

وهم المنافقون الذين نهى الله تعالى المؤمنين عن اتخاذهم بطانة وأنه ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾[2]. والمنافقون بجهدهم وطاقتهم يسعون في مخالفة المؤمنين وما يضرهم بكل ممكن، وبما يستطيعون من المكر والخديعة؛ ويودون ما يعنت المؤمنين ويحرجهم ويشق عليهم. وقد لاح على صفحات وجوه المنافقين وفلتات ألسنتهم من العداوة، مع ما هم مشتملون عليه في صدورهم من البغضاء للإسلام وأهله، ما لا يخفى مثله على لبيب عاقل.

وهم المنافقون الذين أخبر الله تعالى المؤمنين عنهم: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾[3]. وهذه الحال دالة على شدة العداوة منهم للمؤمنين، وهو أنه إذا أصاب المؤمنين خصب ونصر وتأييد ساء ذلك المنافقين، وإن أصاب المسلمين جدب أو أديل عليهم الأعداء - لما لله تعالى في ذلك من الحكمة - فرح المنافقون بذلك. وقال تعالى: ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾[4]. أعلم الله تعالى نبيه ﷺ بعداوة هؤلاء له؛ لأنه مهما أصابه ما يسره ويسر أصحابه ساءهم ذلك، وإن أصابته مصيبة يقولوا: قد احترزنا من متابعته من قبل هذا، ويتولوا وهم فرحون؛ ولهذا أرشد الله تعالى إلى جوابهم في عداوتهم التامة: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللَّهِ

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٨.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٠.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٥٠.

فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[1]، هل تنتظرون بنا إلا إحدى الحسنيين: شهادة أو ظفر بكم؟ ونحن ننتظر بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده، أو بأيدينا بسبي أو قتل.

وهم ﴿ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾[2].
وهم: ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[3]. إن أصاب المؤمنين قتل وشهادة، يقول المنافق: قد أنعم الله عليَّ إذا لم أحضر معهم وقعة القتال، يعد ذلك من نعم الله عليه، ولم يدر ما فاته من الأجر في الصبر أو الشهادة إن قتل، ولئن أصابهم نصر وظفر وغنيمة، ليقولن كأنه ليس من أهل دينهم: يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزًا عظيمًا بأن يُضرَب لي بسهم معهم فأحصل عليه، وهو أكبر قصده وغاية مراده.

وهم المنافقون الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[4]. يخبر الله تعالى عن المنافقين أنهم ينتظرون زوال دولة المؤمنين وظهور الكفرة عليهم وذهاب ملتهم، فإن كان للمسلمين فتح من الله، أي؛ نصر وتأييد وظفر وغنيمة: يتوددون إلى المؤمنين بقولهم: ألم نكن معكم؟ وإن كان للكافرين إدالة على المؤمنين في بعض الأحيان، قالوا للكافرين: ساعدناكم في الباطن وما ألوناهم خبالاً وتخذيلاً حتى انتصرتم عليهم.

وهم المنافقون الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾[5]. بعد أن نهى الله - تبارك وتعالى- عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى الذين هم أعداء الإسلام وأهله، وبيَّن أن

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٥١.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.
(٣) سورة النساء، الآيتان: ٧٢-٧٣.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٤١.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٥٢.

مَن يتولهم من المسلمين فإنه منهم، أخبر عزَّ وجلَّ عن المنافقين الذين في قلوبهم شك وريب ونفاق، أنهم يبادرون إلى موالاة اليهود والنصارى ومودتهم في الباطن والظاهر، ويتأولون في مودتهم وموالاتهم أنهم يخشون أن يقع أمر من ظفر الكافرين بالمسلمين، فتكون لهم أياد عند اليهود والنصارى فينفعهم ذلك. قال تعالى: ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[1].

وهم المنافقون الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴾[2]. بيَّن الله تعالى أن هؤلاء المنافقون يودون للمسلمين الضلالة ليستووا هم وإياهم فيها، وما ذاك إلا لشدة عداوتهم وبغضهم لهم؛ ولهذا نهى الله تعالى المسلمين عن أن يتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله، فإن تركوا الهجرة وأظهروا كفرهم؛ فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا توالوهم ولا تستنصروا بهم على أعداء الله ما داموا كذلك.

وهم ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3]. فهذه صفة أخرى من صفات المنافقين وهي أنه لا يسلم أحد من عيبهم ولمزهم في جميع الأحوال، وإن جاء أحد فتصدق بمال جزيل قالوا: هذا مراء، وإن جاء فتصدق بشيء يسير قالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا. وهم ﴿ وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾[4]. فهذه عادة المنافقين أنهم ينفقون أموالهم رياء، والرياء من صفة أهل النفاق. وقد أخبر الله تعالى أنهم مهما أنفقوا من نفقة

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٨٠-٨١.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٩.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٧٩.

(٤) سورة النساء، الآية: ٣٨.

طائعين أو مكرهين لن يتقبل منهم؛ لأنهم كفروا بالله وبرسوله، والأعمال إنما تصح بالإيمان.

وهم المنافقون الذين ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾[1]، إنهم يستخفون بقبائحهم من الناس لئلا ينكروا عليهم، ويجاهرون الله بها، مع أنه مطلع على سرائرهم وعالم بما في ضمائرهم.

وهم المنافقون الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿١٤٢﴾ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾[2]، بيَّن الله - سبحانه وتعالى - صفة المنافقين في أشرف الأعمال وأفضلها وخيرها، وهي (الصلاة)؛ إذا قاموا إليها قاموا وهم كسالى عنها؛ لأنهم لا نية لهم فيها ولا إيمان لهم بها ولا خشية، ولا يعقلون معناها، وهذه صفة ظواهرهم، أما صفة بواطنهم الفاسدة، فهم يراؤون الناس، فلا إخلاص لهم ولا معاملة مع الله، بل إنما يشهدون الناس تقيَّة لهم ومصانعة؛ ولهذا يتخلفون كثيرًا عن الصلاة التي لا يرون فيها غالبًا؛ مثل: (صلاة الفجر والعشاء)، وهم مذبذبين بين الإيمان والكفر، فلا هم مع المؤمنين ظاهرًا وباطنًا، ولا مع الكافرين ظاهرًا وباطنًا، بل ظواهرهم مع المؤمنين وبواطنهم مع الكافرين، ومنهم من يعتريه الشك فتارة يميل إلى هؤلاء وتارة يميل إلى أولئك.

وهم المنافقون الذين أخبر الله تعالى عن جزعهم وفزعهم وفرقهم وهلعهم، أنهم: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾[3]، فهم لو يجدون حصنًا يتحصنون به وحرزًا يتحرزون به، أو مغارات، أو سراديب وأنفاق؛ لولوا إليه وهم يسرعون في ذهابهم عنكم؛

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٨.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ١٤٢-١٤٣.

(٣) سورة التوبة، الآيتان: ٥٦-٥٧.

لأنهـم إنما يخالطونكم كرهًا لا محبة، وودوا أنهم لا يخالطونكم ولكن للضرورة أحكام؛ ولهذا لا يزالون في هم وحزن وغم؛ لأن الإسـلام وأهله لا يزال في عز ونصر ورفعة؛ فلهذا كلما سر المسلمون ساءهم ذلك فهو يودون ألا يخالطوا المؤمنين.

وهـم المنافقون الذين قال اللـه تعالى عنهم: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾[1]، كان المنافقون يقولون القول بينهم، ثم يقولون: عسـى الله ألا يفشـي علينا سرنا هذا، فقال الله تعالى: ﴿ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾، أي؛ إن الله سينزل على رسوله ما يفضحكم به ويبين له أمركم.

وهم المنافقون الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾[2]. فهؤلاء المنافقون جعلوا الدين وأهله مادة للضحك والاستهزاء. قال تعالى: ﴿ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾[3].

وهـم المنافقون الذين قال الله تعالى عنهـم: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾[4].

وهـم المنافقون الذين قـال الله تعالى عنهم: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾[5].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦٥.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٦٦.

(٤) سورة التوبة، الآيتان: ٦٧-٦٨.

(٥) سورة التوبة، الآيات: ٧٥-٧٧.

وهـم المنافقـون الذين قال الله تعالى لرسـوله ﷺ عنهم: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[2].

وهم المنافقـون الذين قال الله تعالى عنهـم: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾[3]. لقد وصل الأمر بالمنافقين إلى أن يبنوا مسـجدًا للتآمر على المسـلمين، وحلفوا أنهم ما أرادوا إلا خيرًا ، والله يشهد إنهم لكاذبون فيما قصدوا وفيما نووا، ونهى الله تعالى رسوله ﷺ والأمة تبع له في ذلك عـن أن يصلي فيه أبدًا . فأن يبني المنافقون (مسـجدًا) ضرارًا وكفرًا بالله وتفريقًا بين المؤمنين وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله، فهم أولى أن يبنوا أو يخصصوا معاقل وأندية وجمعيات ومحافل وغير ذلك للتآمر على المسـلمين، والتخطيط لإضلالهم وإفسادهم وإبعادهم عن دينهم وبث الفرقة بينهم.

وهـم المنافقون الذين قال الله تعالـى عنهم: ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾[4]. يخبر الله تعالى عن صفات المنافقين الذين يقولون قولاً بألسنتهم: آمنا بالله وبالرسـول وأطعنا، ثم يخالفون أقوالهـم بأعمالهم. وإذا طلبوا إلى اتباع الهدى فيما أنزل الله على رسوله؛ أعرضوا عنه واستكبروا في أنفسهم عن اتباعه، وإذا كانت الحكومة لهم لا عليهم جاؤوا سامعين مطيعين، وإذا كانت الحكومة عليهم أعرضـوا ودعـوا إلى غير الحق، وأحبوا أن يتحاكموا إلـى غير النبي ﷺ ليروجوا

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٨٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٨٤.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٧.

(٤) سورة النور، الآيات: ٤٧-٤٩.

باطلهم ثَمَّ، فإذعانهم أولاً لم يكن عن اعتقاد منهم أن ذلك هو الحق؛ بل لأنه موافق لهواهم؛ ولهذا لما خالف الحق قصدهم عدلوا عنه إلى غيره.

وهم المنافقون الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا ﴾[1]. إذا نزلت بالمسلمين نازلة حينئذ يظهر النفاق ويتكلم الذين في قلوبهم مرض بما في أنفسهم، أما المنافق فنجم نفاقه، والذي في قلبه شبهة تنفس بما يجده من الوسواس في نفسه، لضعف إيمانه وشدة ما هو فيه من ضيق الحال. ويخبر الله تعالى عن هؤلاء الذين ﴿ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا ﴾[2] أنهم لو دخل عليهم الأعداء من كل جانب من جوانب المدينة وقطر من أقطارها، ثم سئلوا الفتنة وهي الدخول في الكفر لكفروا سريعًا، وهم لا يحافظون على الإيمان ولا يستمسكون به مع أدنى خوف وفزع. وهذا ذم لهم في غاية الذم. ثم أخبرهم أن فرارهم ذلك لا يؤخر آجالهم ولا يطول أعمارهم، بل ربما كان ذلك سببًا في تعجيل أخذهم غرة، وإذًا لا يُمَتَّعون إلا قليلاً بعد هربهم وفرارهم. فمن ذا الذي يمنعهم من الله إن أراد بهم سوءًا أو أراد بهم رحمة، وليس لهم ولا لغيرهم من دون الله مجير ولا مغيث.

وهم المنافقون الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾[3]. يخبر الله تعالى عن إحاطة علمه بالمعوقين لغيرهم من شهود الحرب، وهم مع ذلك لا يأتون البأس إلا قليلاً، بخلاء بالمودة والشفقة والغنائم على المؤمنين، فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت من شدة خوفه وجزعه؛ وهكذا خوف هؤلاء الجبناء من القتال. فإذا كان الأمن تكلموا كلامًا فصيحًا عاليًا، وادعوا لأنفسهم الشجاعة والنجدة، وهم يكذبون في ذلك.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ١٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ١٣.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ١٨-١٩.

وهم المنافقون الذين من صفاتهم الإرجاف، فيقولون: جاء الأعداء وجاءت الحروب! وهو كذب وافتراء. وهم الذين من صفاتهم البلادة وقلة الفهم، وإذا استمعوا إلى العلم لا يفهمون منه شيئًا، تهاونًا منهم بما يسمعون من العلم. وهم الذين من شأنهم الارتداد ومفارقة الإيمان والرجوع إلى الكفر، والذين يطيعون أهل الشرك والكفر ويمالؤونهم ويناصحونهم على الباطل، والله -عزَّ وجلَّ- يعلم ما يسرون وما يخفون فيما بينهم في مخالفة الإسلام، والتظاهر على عداوته، والقعود عن الجهاد في سبيل الله، وتوهين أمر الدين في السر، ولا يخفى عليه ذلك ولا غيره من الأمور كلها. وقد قال الله تعالى عنهم: ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ**﴾[1]. أي: أيعتقد المنافقون أن الله لا يكشف أمرهم لعباده المؤمنين؟ بل سيوضح أمرهم ويجليه حتى يفهمه ذوو البصائر. وقد أنزل الله تعالى في ذلك سورة التوبة فبين فيها فضائحهم؛ ولهذا كانت تسمى الفاضحة، والأضغان هو ما في النفوس من الحسد والحقد للإسلام وأهله والقائمين بنصره. وليعرفنَّهم المسلمون فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم، كما قيل: ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه، وفلتات لسانه.

وهم المنافقون الذين قال الله تعالى لرسوله ﷺ عنهم: ﴿**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**﴾[2]. يقول الله -عزَّ وجلَّ- مخبرًا عن المنافقين، إنهم إنما يتفوهون بالإسلام ظاهرًا، فأما في باطن الأمر فليسوا كذلك بل على الضد من ذلك، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون فيما أخبروا به؛ لأنهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه؛ ولهذا كذَّبهم بالنسبة إلى اعتقادهم. إذا رأيت هؤلاء المنافقين تعجبك أجسامهم، وإن يقولوا تسمع لقولهم؛ لأنهم ذوو أشكال حسنة وذوي فصاحة وألسنة، وإذا سمعهم السامع يصغي إلى قولهم لبلاغتهم، وهم مع ذلك في غاية الضعف والخور والهلع والجزع، كلما وقع أمر أو خوف، يعتقدون لجبنهم أنه نازل بهم، فهم أجسام

(١) سورة محمد، الآية: ٢٩.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ١.

وصــور بلا معاني، وهم العدو فاحذرهــم قاتلهم الله كيف يصرفون عن الهدى إلى الضلال.

وهــم المنافقون الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿**فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ**﴾[1]. يخبر الله -عزَّ وجلَّ- عن المنافقين الذين يصلون في العلانية، ولا يصلون في الســر؛ ولهذا قال: ﴿**لِّلْمُصَلِّينَ**﴾ الذين هم من أهل الصلاة ثم هم عنها ســاهون. ثم قــال الله -عزَّ وجلَّ- عنهــم: ﴿**الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ**﴾[2]، أي؛ لا أحسنوا عبادة ربهم، ولا أحسنوا إلى خلقه، حتى ولا بإعارة ما ينتفع به مع بقاء عينه ورجوعه إليهم، فهؤلاء لمنع الزكاة وأنواع القربات أولى وأولى. وهــم المنافقون الذين قال صحابة رســول الله ﷺ عنهم أنهــم يتخلفون عن صلاة الجماعة في المسجد، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «**ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يُهادى بين الرجلين حتى يُقام في الصف**»[3]. وهم المنافقون الذين قال رســول الله ﷺ عنهم: «**ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشــاء**»[4]. وهم المنافقون الذين قال رســول الله ﷺ عنهم: «**مَن ترك ثلاث جمعات، من غير عذر، كُتب من المنافقين**»[5].

وهــم المنافقــون الذين قال رســول اللــه ﷺ عنهــم: «**أربع مــن كن فيــه كان منافقًــا خالصًــا. ومن كانت فيه خلــة منهن كانت فيه خلة من نفــاق. حتى يدعها: إذا حــدَّث كــذب. وإذا عاهــد غــدر. وإذا وعــد أخلــف. وإذا خاصــم فجــر**»[6]، وقــال ﷺ: «**آيــة المنافــق ثــلاث: إذا حدث كــذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خــان**»[7]، وقال عليه الصلاة والســلام: «**وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم**»[8]. فهذه الخصال خصال

(١) سورة الماعون، الآيتان: ٤-٥.

(٢) سورة الماعون، الآيتان: ٦-٧.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب: فضل صلاة الجماعة والتشديد في التخلف عنها.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب: فضل العشاء في الجماعة.

(٥) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٦١٤٤.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان خصال المنافق.

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: علامة المنافق.

(٨) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان خصال المنافق.

نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق بأخلاقهم، وقوله: «كان منافقًا خالصًا»، معناه شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال.

وهم المنافقون الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾[1]. يخبر الله تعالى عن مصير المنافقين يوم القيامة بأنهم في الدرك الأسفل من النار جزاءً على كفرهم الغليظ، ولن يجدوا لهم نصيرًا ينقذهم مما هم فيه ويخرجهم من أليم العذاب.

غضب الله على اليهود[2]

قال الله تعالى عن اليهود: ﴿ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾[4].

اليهود: اليهود هم الذين تطاولوا على ربهم وخالقهم فقالوا بأنه فقير، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾[5]. وقالوا بأنه بخيل، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾[6]. وقد رد الله -عزَّ وجلَّ- عليهم ما قالوه، وقابلهم فيما اختلقوه وافتروه وائتفكوه فقال: ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾[7]؛ وهكذا وقع لهم، فإن عندهم من البخل والحسد والجبن والذلة أمر عظيم. هذا قولهم في الله، وهذه معاملتهم رسل الله، وسيجزيهم الله على ذلك شر الجزاء؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[8].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٥.

(٢) راجع تفسير الآيات الواردة في هذا الموضوع في كتب التفسير: ابن كثير، القرطبي، الطبري.

(٣) سورة الفاتحة، الآية: ٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٦١.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٨١.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٧) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٨) سورة آل عمران، الآيتان: ١٨١-١٨٢.

وهم اليهود الذين أنجاهم الله من فرعون وجيشه بمعجزة باهرة من فرق البحر وعبورهم خلاله بسلام، ورؤيتهم لقدرة الله وعظيم سلطانه، فما وصلوا إلى الضفة الأخرى للبحر، حتى طلبوا من نبيهم موسى ﷺ أن يجعل لهم صنمًا آلهة!. وهم الذين ظلَّل الله تعالى عليهم السحاب الذي يستر عنهم حر الشمس. وأنبع الماء لهم بضرب موسى ﷺ حجرًا بالعصا فتفجَّرَ منه اثنتا عشرة عينًا. وأنزل عليهم المنَّ والسلوى من السماء، طعامين شهيين، بلا كُلْفَةٍ، فما قاموا بشكر هذه النعم، بل ضجر كثير منها، وقالوا لنبيهم موسى ﷺ: لن نصبر على طعام واحدٍ فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثَّائها وفومها وعدسها وبصلها، فقرَّعهم الكليم، ووبخهم، وعنَّفهم، وأنَّبهم على هذه المقالة.

وهم اليهود الذين أمرهم نبيهم موسى ﷺ بدخول الأرض المقدسة والقتال فقالوا له: يا موسى إنَّا لن ندخلها أبدًا ما داموا فيها، فاذهب أنت وربك فقاتلا إنَّا ههنا قاعدون، فعاقبهم الله على نكولهم بالتيهان في الأرض أربعين سنة، يسيرون إلى غير مقصد، ليلاً ونهارًا، وصباحًا ومساءً، لا يهتدون للخروج منه.

وهم اليهود الذين كان معهم موسى ﷺ، كليم الله ورسوله إليهم، ورأوا معجزات الله الباهرة المتنوعة المتعددة، ومع كل ذلك فما غاب عنهم موسى قليلاً ليناجي ربه حتى اتخذوا من بعده عجلاً، فتوعدهم رب الأرباب بغضب منه وذلَّة، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾[1]. أما (الغضب) الذي نال اليهود في عبادة العجل، فهو أن الله تعالى وضع لهم شرطًا للتوبة عليهم وهو أن يقتل بعضهم بعضًا، فأمرهم موسى عن أمر ربه فقال ﷺ: ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾[2]؛ فاخترطوا السيوف والسكاكين، وجعل بعضهم يقتل بعضًا؛ حتى تاب الله عليهم. وأما (الذلة) فأعقبهم ذلك ذلاً وصغارًا في الحياة الدنيا.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٥٤.

وهم اليهود الذين تابوا من عبادة العجل، وتاب الله عليهم بقتل بعضهم لبعض. ثم لم يلبثوا أن قالوا لنبيهم موسى عليه السلام: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرةً! فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون، فماتوا عقوبةً لهم وجزاءً وفاقًا على ما طلبوا. وهم الذين أمرهم نبيهم موسى عليه السلام أن يذبحوا بقرة؛ فأخذوا يجادلونه ويتعنتون عليه، ويشددون على أنفسهم فشدَّد الله عليهم. وهم الذين يقول الله توبيخًا لهم وتقريعًا لهم على ما شاهدوه من آياته وإحيائه الموتى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[1]. إن قلوبهم كالحجارة التي لا تلين أبدًا، ولا علاج للينها، أو أشد قسوة من الحجارة.

وهم اليهود الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾[2]. فقد أمرهم الله تعالى أن يدخلوا القرية وهم سجَّدًا وأن يقولوا: (حِطَّة)، أي؛ حط عنا ذنوبنا وخطايانا، فدخلوا يزحفون على أستاههم، وهم يقولون: حبة في شعرة، أو (حنطة في شعيرة)؛ وهذا في غاية ما يكون من المخالفة والمعاندة؛ ولهذا أنزل الله بهم بأسه وعذابه بخروجهم عن طاعته.

وهم اليهود الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[3]. فقد كفروا بآيات الله، وأهانوا حملة الشرع وهم الأنبياء وأتباعهم، فانتقصوهم إلى أن أفضى بهم الحال إلى أن قتلوهم! فلا كفر أعظم من هذا؛ فجازاهم الله بما يستحقون من الذِّلة والمسكنة، وإحلال الغضب بهم.

وهم اليهود الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[4]. فقد عصوا أمر الله، وخالفوا عهده وميثاقه، فيما أخذه عليهم من تعظيم السبت والقيام بأمره. وهم الذين قال الله -عزَّ وجلَّ-

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٥٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٦١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٦٥.

عنهم: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا ﴾[1]. توعَّد الله ليبعثن على اليهود إلى يوم القيامة مَن يسومهم سوء العذاب بسبب عصيانهم ومخالفتهم أوامر الله وشرعه واحتيالهم على المحارم؛ فكانوا في قهر الملوك من اليونانيين، والكشدانيين، والكلدانيين، والفرس، والرومان، ثم صاروا إلى قهر النصارى وإذلالهم إياهم، ثم جاء الإسلام ومحمد ﷺ، فكانوا تحت قهره وذمته. وقطعهم الله في الأرض أممًا، وسامهم سوء العذاب أينما حلوا في البلاد على أيدي أهل تلك البلاد وحكامها.

وهم اليهود الذين أخذ الله ميثاقهم لا يعبدون إلا الله، وبالوالدين إحسانًا وذي القربى واليتامى والمساكين، وأن يقولوا للناس حسنًا، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة؛ ثم تولوا إلا قليلاً منهم وهم معرضون. وهم الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض. وهم الذين كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم استكبروا ففريقًا كذبوا وفريقًا قتلوا. وقالوا: قلوبنا غلف لا تعي ولا تفقه، ﴿ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾[2].

وهم اليهود الذين قالوا مقالة شنيعة، قال عزَّ وجلَّ عنهم: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾[3]. تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. وقد كذبهم الله سبحانه، فقال: ﴿ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾[4]. وهم الذين أخبر الله عنهم أنهم: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾[5]. إن كثيرًا من الأحبار وهم علماء اليهود، ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله، وأخذوا الربا وقد نهوا عنه.

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٦٧-١٦٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٨.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٣٠.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٣٠.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٣١.

وهم اليهود الذين نهى الله تعالى المسلمين أن يكونوا مثلهم، الذين آذوا موسى عليه السلام في شخصه فلم يفلت هو نفسه منهم، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾[1]. فقد كان موسى عليه السلام، رجلاً حييًا ستيرًا، لا يُرى من جلده شيء استحياء منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما يتستر هذا التستر إلا من عيب في جلده: إما برص، وإما أدرة، وإما آفة. فبرأه الله مما قالوا.

وهم اليهود الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾[2]. لقد افترى اليهود على مريم البتول الطاهرة عليها السلام ورموها بالزنا. ولم ينج ولدها منهم كذلك؛ قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾[3]. فقد حسدوا عيسى عليه السلام على ما آتاه الله تعالى من النبوة والمعجزات الباهرات، ومع هذا كذبوه وخالفوه، وسعوا في أذاه بكل ما أمكنهم، إلى أن خططوا لصلبه وقتله، فأنجاه الله منهم برفعه إليه بعد أن ألقى شبهه على غيره فأخذوا شبيهه وصلبوه، وهم يظنون أنهم صلبوا المسيح.

وهم اليهود الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[4]. لعن داود عليه السلام اليهود، وكذلك لعنهم عيسى عليه السلام، وكان يناديهم: (أيُّها الحيّاتُ أولادَ الأفاعي! كيفَ ستَهرُبونَ مِنْ عِقابِ جَهنَّمَ؟)[5].

وهم اليهود الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[6]. فقد أُعطوا التوراة وحملوها للعمل بها، ثم لم يعملوا بها، مثلهم

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٥٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٥٧.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٧٨.

(٥) متى: ٢٣/٢٣.

(٦) سورة الجمعة، الآية: ٥.

فـــي ذلك كمثل الحمار إذا حمل كتبًـــا لا يدري ما فيها. وهم الذين أخبر الله تعالى أنـــه بلَّغهم في التوراة عن صفـــات النبي ﷺ، فقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُـولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِـي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِـلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَـعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾[1]. هذه صفة محمد ﷺ في كتب الأنبياء، بشـــروا أممهم ببعثه وأمروهـــم بمتابعته، ولم تزل صفاته موجودة في كتبهم يعرفها علماؤهم وأحبارهم، ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[2]. فقد علموا الحق وعدلوا عنه، ولما بعث الله رسوله من العرب، ورأوه من غيرهم، كفروا به وحسدوه وجحدوا ما كانـــوا يقولون فيه بأنه مبعوث ويصفونه بصفته، ويعرفونه كما يعرفون أبناءهم. وهم الذين كفروا بما أنزل الله على محمد ﷺ بغيًا وحسدًا، وقالوا: نؤمن بما أُنزل علينـــا، ويكفينا الإيمان بما أنزل علينا من التـــوراة ولا نقر إلا بذلك، ويكفرون بما بعده، فقال تعالى تعييرًا لهم: ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾؟[3].

وهـــم اليهود الذين جحدوا رســـول الله ﷺ، وحين ذكَّرهـــم رجل منهم ما أُخذ عليهـــم مـــن الميثاق، وما عُهد إليهـــم في محمد ﷺ، قالوا: واللـــه ما عهد إلينا في محمـــد، وما أُخذ علينا ميثاقٌ، فأنزل الله تعالى: ﴿ أَوَ كُلَّمَـا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُـمْ بَلْ أَكْثَرُهُـمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾[4]، فليس في الأرض عهـــد يعاهدون عليه إلا نقضوه ونبذوه، يعاهدون اليوم وينقضون غدًا. وهم الذين قال الله تعالى عنهم لنبيه محمد ﷺ: ﴿ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ ﴾[5]، أي؛ ولا تزال تطلع من اليهود علـــى الغدر والخيانة، ومكرهم وغدرهم لك ولأصحابك، وتمالؤهم على الفتك بك. وهم اليهود الذين قال الله تعالى لهم توبيخًا وتقريعًا: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾[6]. فقد كان الرجل من اليهود يقول لصهره

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٩١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٠٠.

(٥) سورة المائدة، الآية: ١٣.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

ولذي قرابته ولمن بينه وبينه رضاع من المسلمين أن يثبت على ما يأمره به رسول الله ﷺ؛ لأن أمره حق، ولا يفعله هو. وكان الأحبار يأمرون أتباعهم باتباع التوراة، وكانوا يخالفونها في جحدهم صفة محمد ﷺ. وكانوا يحضون على طاعة الله، وكانوا هم يواقعون المعاصي.

وهم اليهود الذين يحرفون التوراة فيجعلون الحرام فيها حلالاً، والحلال فيها حرامًا، والحق فيها باطلاً والباطل فيها حقًا اتباعًا لأهوائهم. يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يزعمون أنه من عند الله، ليشتروا به ثمنًا قليلاً. إذا لقوا الذين آمنوا قالوا: آمنا، إنَّ صاحبكم رسول الله، وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا: لا تحدِّثوا أصحاب محمد بما فتح الله عليكم، مما في كتابكم ليحاجوكم به عند ربكم فيخصموكم. فإنكم قد كنتم تستفتحون به عليهم فكان منهم.

وهم اليهود الذين ادعوا دعاوى باطلة، كقولهم: لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة. فردَّ الله عليهم ذلك بقوله: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[1]. وقولهم: لن يدخل الجنة إلا مَن كان هودًا أو نصارى، فقال تعالى: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[2]، وقولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه؛ قال الله تعالى رادًّا عليهم: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾[3]. وهكذا أكذبهم الله -عزَّ وجلَّ- وألزمهم الحجة فقال لنبيه ﷺ أن يقول لهم: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[4]. فالحياة عندهم عزيزة عظيمة لما يعلمون من سوء مآلهم بعد الموت؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١١١.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١٨.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٩٤.

(٥) سورة البقرة، الآيتان: ٩٥-٩٦.

وهم اليهود الذين أخبر الله عن حسدهم للمؤمنين وعن مخططاتهم ضدهم، فقال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾[1]. وهم الذين كشف الله -عزَّ وجلَّ- لرسوله ﷺ، ما يضمرونه ضده وضد أمته، فقال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[2]. أي؛ ليس غرضهم بما يقترحون من الآيات أن يؤمنوا، بل لو أتيتهم بكل ما يسألون لم يرضوا عنك، وإنما يرضيهم ترك ما أنت عليه من الإسلام واتباعهم. وليسوا براضين عنك أبدًا.

وهم اليهود الذين قال الله تعالى عنهم مخبرًا عباده المؤمنين المسلمين، ومبشِّرًا لهم: ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ ﴾[3]. وهم الذين كشف الله تعالى أقوالهم ونواياهم ومكائدهم للمسلمين ولدينهم، فقال تعالى: ﴿ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[4]. وهذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم لعلهم يرتدون، وهم الذين كشف الله تعالى سرهم وعقيدتهم في الحياة، ومبدأهم الذي لا يتخلوا عنه أبدًا، فحكى عزَّ وجلَّ قولهم: ﴿ وَلا تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾[5]، أي؛ لا تصدقوا إلا من تبع دينكم فكان يهوديًا، ولا تطمئنوا أو تظهروا سركم وما عندكم إلا لليهود.

وهم اليهود الذين قال الله تعالى لرسوله ﷺ عنهم: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[6]. يحذر الله المؤمنين من الاغترار باليهود، ويخبر بأن منهم الخونة الذين إن تأمنهم بدينار لا يؤدوه إليك، وإذا كان هذا صنيعهم في

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧٢.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٧٣.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٧٥.

الدينار، فما فوقه أولى ألا يؤدوه إليك، وإنما حملهم على جحود الحق أنهم يقولون: ليس علينا في ديننا حرج في أكل أموال العرب، فإن الله قد أحلها لنا.

وهم اليهود الذين كانوا يفضلون الكفار على المسلمين، وكان سادتهم يقولون للمشركين في مكة عن رسول الله ﷺ: دينكم خير من دينه، وأنتم أهدى منه وممن اتبعه. فقال الله تعالى: ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾[1]. وهذا لعن لهم وإخبار بأنهم لا ناصر لهم.

وهم اليهود الذين نهى الله تعالى المؤمنين عن موالاتهم، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[2]. وهم الذين كشف الله استهزاءهم بالدين، ونهى المؤمنين عن اتخاذهم أولياء، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ ﴾[4].

وهم اليهود الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾[5]. وهم الذين أخبر الله رسوله ﷺ عنهم أنهم: ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾[6]. أي؛ كلما عقدوا أسبابًا يكيدونك بها، وكلما أبرموا أمورًا يحاربونك بها، أبطلها الله، ورد كيدهم عليهم، وحاق مكرهم السيئ بهم. وهم الذين قال عنهم خالقهم وباريهم، الذي يعلم سرهم وجهرهم، إنهم: ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾[7]. أي؛ من سجيتهم أنهم

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥١.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٧.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٥٨.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٦٠.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٧) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

دائمًا يســعون في الإفساد في الأرض فسادًا، ومن أعظم الفساد سعيهم في إبطال الإسلام. وهم الذين أخبر الله تعالى عنهم أنهم سيفسدون في الأرض مرتين ويعلون علوًّا كبيرًا، فيتجبرون ويطغون ويفجرون على الناس.

وهــم اليهود الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَــدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُــودَ ﴾[1]. ما ذاك إلا لأن كفر اليهود كفر عنــاد وجحود، ومباهتة للحق، وغمط للناس، وتنقص بحملة العلم؛ ولهذا قتلوا كثيرًا من الأنبياء، حتى هموا بقتل رســول الله ﷺ غير مرة وسمُّوه وسحروه، وألبوا عليه أشباههم من المشركين.

وهم اليهود الذين كشف الله للمؤمنين حقيقتهم، فقال تعالى: ﴿ لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ ﴾[2]، أي؛ يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله، ثم قال تعالى: ﴿ لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ﴾[3]، يعني؛ أنهم من جبنهم وهلعهم، لا يقدرون على مواجهة جيش الإســلام، بل إما في حصون أو من وراء جدر محاصرين، ثم قال تعالى: ﴿ بَأْسُــهُم بَيْنَهُمْ شَــدِيدٌ تَحْسَــبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَــتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ ﴾[4]، أي؛ عداوتهم فيما بينهم شديدة، تحسبهم مؤتلفين، وهم مختلفون غاية الاختلاف. وهم الذين كشف الله -عزَّ وجلَّ- ســرهم وجهرهم لرسوله محمد ﷺ، حيث كانوا يتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، وإذا جاؤوا النبي ﷺ حيوه بما لم يحيه به الله، فيقولون له: السام عليكم. و(السام) هو الموت.

وهــم الذين أيــأس الله تعالى رســوله والمؤمنين أن يدخلوا في دين الإســلام أفواجًا، بل لم يدخل في الإســلام منهم سوى أفراد قليلون من اليهود العاديين، فما بالك بعدد مَن يمكن أن يســلم من الأحبار والعلماء؟! لهذا يقول رسول الله ﷺ: **«لو آمن بي عشــرة من اليهود لآمن بي اليهود»**[5]. وفي رواية أخرى: **«لو تابعني عشــرة**

(١) سورة المائدة، الآية: ٨٢.

(٢) سورة الحشر، الآية: ١٣.

(٣) سورة الحشر، الآية: ١٤.

(٤) سورة الحشر، الآية: ١٤.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب: إتيان اليهود النبي ﷺ حين قدم المدينة.

من اليهود، لم يبق على ظهرها يهودي إلا أسلم»[1]. والمقصود عشرة من أحبارهم وزعمائهم، وإلا فقد آمن بالنبي ﷺ وأسلم أكثر من ذلك. فلو أسلم عشرة من هؤلاء الذين يعنيهم النبي ﷺ لأسلم اليهود جميعًا اتباعًا لهم.

وهم اليهود الذين كشف الله تعالى مصيرهم في الآخرة على لسان نبيه ورسوله محمد ﷺ الذي قال: **«والذي نفس محمد بيده! لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسِلتُ به، إلا كان من أصحاب النار»**[2]. في هذا الحديث نسخ الملل كلها برسالة نبينا محمد ﷺ. وكل من يسمع بالنبي ﷺ ممن هو موجود في زمنه وبعده إلى يوم القيامة، يجب عليه الدخول في طاعته. وهم الذين كشف الله بواطنهم لرسوله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى فأخبر عنهم: **«ما حسدتكم اليهود على شيء، ما حسدتكم على السلام والتأمين»**[3]، فإن يحسدوهم على ما هو أكبر من ذلك أولى.

وهم اليهود الذين أخبر الله تعالى عنهم أنهم سيكونون في آخر الزمان في معسكر الكفر والشر مع الدجال الذي يدعي الألوهية، في مواجهة معسكر الإيمان والخير بقيادة عيسى عليه السلام ومن معه من المسلمين، وسيقتل الله الدجال واليهود على أيدي رسوله عيسى عليه السلام والمسلمين. وهو ما أخبر الله تعالى رسوله محمدًا ﷺ به أنه سيقع في مستقبل الزمان، قال عليه الصلاة والسلام: **«قال عيسى: افتحوا الباب، فيفتحون ووراءه الدجال، معه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلًى وساجٍ، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء. وينطلق هاربًا، ويقول عيسى: إن لي فيك ضربةً لن تسبقني، فيدركه عند باب لُدٍّ الشرقي، فيقتله، فيهزم الله اليهود»**[4].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب: نزل أهل الجنة.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته.

(٣) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٦٩٧.

(٤) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٧٨٧٥.

وقال ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود. فيقتلهم المسلمون. حتى يختبئ اليهود من وراء الحجر والشجر. فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودي خلفي. فتعال فاقتله. إلا الغرقد. فإنه من شجر اليهود»**(1).

فبالرغم من نزول عيسى عليه السلام وقيامه بكسر الصليب، وقتل الخنزير، والحكم بالإسلام وإبطال كل دين غيره، إلا أن اليهود أبوا إلا أن يسيروا في طريق الكفر والشر والفساد حتى آخر الزمان.

هذه هي نتيجة المواجهة الأخيرة والحرب بين عيسى عليه السلام والمسلمين من جهة، وبين الأعور الدجال واليهود من جهة أخرى، وهي انتصار عيسى عليه السلام والمسلمين على الدجال واليهود ومَن حالفهم أو انضم إليهم في هذه الحرب؛ هذه الحرب التي حاول اليهود ومَن حالفهم بكل ما أوتوا من قوة ونفوذ وتسلط دنيوي أن يتجنبوا وقوعها، عن طريق محاربة أي توجه إسلامي حقيقي وأصيل في أي بلدٍ على وجه الكرة الأرضية، والعمل على اجتثاثه من جذوره، أو تدمير مسبباته؛ مع ما يُرتَكب في سبيل ذلك في حق المسلمين من ظلمٍ وعدوانٍ وانتهاكاتٍ صارخةٍ لأبسط حقوق الإنسان، ومع ما يقع من مجازر وسفك دماء المسلمين دون هوادة أو رحمة أو شفقة على شيخ كبير أو طفل صغير، أو امرأة ضعيفة، أو مريض عاجز... أو حاولوا على الأقل أن يعكسوا نتيجة هذه الحرب والمواجهة الأخيرة ظنًّا منهم أنهم هم قوى الخير، وأن المسلمين هم قوى الشر، ولكن يكفي ليُعرَف أن المسلمين هم أهل الإيمان وقوى الخير أنهم هم الذين سيكونون مع المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، ولا يمكن لإنسان واحد أن يخطأ فيظن أن عيسى عليه السلام هو من أهل الكفر وقوى الشر، بل إن مَن يظن هذا الظن السيئ في عيسى عليه السلام فهو كافر مرتد.

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة.

يغضب الله على المرتد عن دينه

قال الله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

المرتد عن دينه: المرتد عن دينه هو الذي آمن بالله ثم كفر وشرح بالكفر صدرًا، أي؛ أتى الكفر على اختيار واستحباب، واعتقده وطابت به نفسه، وآثره على الإيمان وباح به طائعاً.

وهو المرتد عن دينه الذي قال الله تعالى عنه: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[2].

وهو المرتد عن دينه المبدل له الذي قال رسول الله ﷺ عنه: **«من بدَّل دينه فاقتلوه»**[3].

وهو المرتد عن دينه الذي يشرح بالكفر كتابًا، أو مقالة صحفية، أو برنامجًا تلفازيًا أو إذاعيًا؛ فيتهجم على الله ويستهزأ به، تعالى الله عما يقول علوًا كبيرًا، أو يستهزأ بالنبي محمد ﷺ ويصفه بصفاتٍ سيئةٍ، أو يتهجم على دين الإسلام.

لقد أخبر الله تعالى عمن كفر به بعد الإيمان والتبصر وشرح صدره بالكفر واطمأن به، أنه قد غضب عليه لعلمه بالإيمان ثم عدوله عنه، وأن له عذابًا عظيمًا في الدار الآخرة؛ لأنه استحب الحياة الدنيا على الآخرة، فأقدم على ما أقدم عليه من الردة لأجل الدنيا، ولم يهد الله قلبه ويثبته على الدين الحق، فطبع على قلبه، فهو لا يعقل به شيئًا ينفعه، وختم على سمعه وبصره فلا ينتفع بها، فهو غافل عما يراد به؛ فلا بد ولا عجب أن من هذه صفته، أنه في الآخرة من الخاسرين

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم.

الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة[1]، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[2].

وهدد الله -عزَّ وجلَّ- المؤمنين وتوعدهم أنهم إذا ارتدوا عن دينهم فسوف يستبدل قومًا غيرهم يحبهم ويحبونه، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾[4].

وحماية للمؤمنين من الارتداد عن دينهم فقد قطع المولى جلَّ وعلا الطرق الموصلة إلى ذلك؛ فحذَّرهم سبحانه من طاعة اليهود والنصارى الذين يعملون جاهدين لكي يردوهم بعد إيمانهم كافرين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾[5]. وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾[6]. فلا أمان في صداقة أهل الكتاب؛ لأنهم يفتنوا مَن صادقهم عن دينه.

ونهاهم سبحانه أيضًا عن موالاة اليهود والنصارى واتخاذهم أولياء من دون المؤمنين، فقال جلَّ وعزَّ: ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ

---

(١) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٦٠٩.

(٢) سورة النحل، الآيات: ١٠٧-١٠٩.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٤) سورة محمد، الآية: ٣٨.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٠٠.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

الْمَصِيرُ ﴾[1]. ونفى سبحانه أن يكون لهؤلاء الكفار أي عزة؛ لأن العزة لله جميعًا، وقال تعالى منكرًا عليهم فيما سلكوه من موالاة الكافرين: ﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾[2].

نعم...! إن العزة كلها له وحده لا شريك له، ولمن جعلها له، كما قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾[4]. والمقصود من هذا التهييج على طلب العزة من جناب الله، والإقبال على عبوديته والانتظام في جملة عباده المؤمنين، الذين لهم النصرة في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

ونهى الله - تبارك وتعالى - المؤمنين عن الجلوس مع مثل هؤلاء الكفار المرتدين عن دينهم، إذا ما أخذوا يستهزئون بالدين، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾[5]، أي؛ إنكم إذا ارتكبتم النهي بعد وصوله إليكم، ورضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي يكفر فيه بآيات الله ويستهزأ وينتقص بها، وأقررتموهم على ذلك، ولم تقوموا عنهم في تلك الحال؛ فقد شاركتموهم في الذي هم فيه، وصرتم مثلهم في المأثم؛ لأنكم قد عصيتم الله بجلوسكم معهم، وأنتم تسمعون آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها، كما عصوه باستهزائهم بآيات الله، فقد أتيتم من معصية الله نحو الذي أتوه منها، فأنتم إذا مثلهم في ركوبكم معصية الله، وإتيانكم ما نهاكم الله عنه.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾، أي؛ كما أشركوهم في الكفر، كذلك يشارك الله بينهم في الخلود في نار جهنم أبدًا، ويجمع بينهم في دار العقوبة والنكال والقيود والأغلال وشراب الحميم والغسلين[6].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٩.

(٣) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٤) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٤٠.

(٦) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥٨٠، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري.

يغضب الله على قاتل المؤمن

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[1].

يهدد الله - تبارك وتعالى - تهديدًا شديدًا، ويتوعد وعيدًا أكيدًا لمن ارتكب هذه الجريمة الشنيعة، وهذا الذنب العظيم، الذي قرنه المولى جلَّ وعلا بالشرك بالله في أكثر من آية في كتابه العزيز، حيث يقول تبارك وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾[3].

لقد حرَّم الله القتل، إلا إذا كان قصاصًا أو حدًّا من حدود الله. وأول ما يقضى يوم القيامة في الدماء، قال رسول الله ﷺ: **«أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة، في الدماء»**[4]، وهذا فيه تغليظ أمر الدماء، وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة. وهذا لعظم مفسدة سفكها، وكثير خطرها. وقال النبي ﷺ: **«لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم»**[5]. وقال ﷺ: **«لو أنَّ أهلَ السَّماءِ وأهلَ الأرضِ اشتركوا في دم مؤمنٍ لأكبَّهُم اللهُ في النَّارِ»**[6]. وذلك لأن القتل من أخطر الأشياء شرعاً، وأقبحها عقلاً؛ لأن الإنسان مجبول على محبة بقاء الصورة الإنسانية المخلوقة في أحسن تقويم.

المتعمد قتل المؤمن: المتعمد قتل المؤمن هو كل مَن قتل نفسًا بحديدة كالسيف والخنجر ونحو ذلك من الآلات الحادة المشحوذة المعدة للقطع، أو بما يعلم أن فيه

(١) سورة النساء، الآية: ٩٣.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٨.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٢.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب: المجازاة بالدماء في الآخرة.

(٥) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١١٢٦.

(٦) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١١٢٨.

المــوت من الحجارة الثقيلة ونحوها، والســم ونحوه، والعصا ونحوها، والمســدس ونحوه من الأسلحة النارية.

وهو المسلم الذي يقتل أخاه المؤمن وليس له ذلك بوجه من الوجوه، كما بيَّن ذلك رسول الله ﷺ: **«لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، إلا بإحــدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة»**[1]. ثم إذا وقع شـــيء من هذه الثلاث فليس لأحد من آحاد الرعية أن يقتله، وإنما ذلك إلى الإمام أو نائبه.

وهو الذي يقتل المسلم لا لشيء سوى لأنه مسلم مؤمن يقول: ربي الله، كما قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** ﴾[2]، أي: ما فعلوا بهم ما فعلوا بسبب إلا من أجل أنهم آمنوا بالله، وما كان لهم ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز الحميــد. ويعاقب الله -عــزَّ وجلَّ- هذا القاتل بأربعة أنــواع من العقوبات: الخلود فـــي جهنم[3]، وغضب الله عليه، ولعنه، وأعد له عذابًا عظيمًا، كما قال الله تعالى: ﴿ **وَمَــن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** ﴾. وقال رسول الله ﷺ: **«يجيء الرجل آخذًا بيد الرجل، فيقول: يا ربِّ هذا قتلني، فيقول الله له: لِمَ قتلته؟ فيقول: قتلته لتكون العزة لك. فيقول: فإنها لي. ويجــيء الرجــل آخذًا بيد الرجل فيقول: إن هذا قتلنــي؟ فيقول الله له: لِمَ قتلته؟ فيقول: لتكون العزة لفلان، فيقول: إنها ليست لفلان، فيبوء بإثمه»**[4].

وهو الذي يقتل نفســه بأي وسيلة من الوســائل، وقد نهى الله -عزَّ وجلَّ- عن ذلك: ﴿ **وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَــكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (29) وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَــوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِــيرًا** ﴾[5]. أي: ومن يرتكب ما نهاه الله عنه

(١) أخرجه البخاري في كتاب الديات، باب: قول الله تعالى: ﴿ **أن النفس بالنفس...** ﴾.

(٢) سورة البروج، الآية: ٨.

(٣) إن كان القاتل كافرًا فهو مخلد في النار، وإن كان القاتل مسلمًا فهو تحت مشيئة الله تعالى؛ إن شاء غفر له بأسباب كثيرة أعظمها رحمة الله، وإن شاء عذبه في النار إلى أجل.

(٤) صحيح سنن النسائي، رقم: ٣٧٣٢.

(٥) سورة النساء، الآيتان: ٢٩-٣٠.

عدوانًا وظلمًا ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾؛ وهذا تهديد شـديد من رب العالمين، ووعيد أكيد من مالك يوم الدين. قال رسـول الله ﷺ: **«من قتل نفسـه بحديدة، فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا. ومن شـرب سمًا فقتـل نفسـه، فهو يتحسـاه في نـار جهنم خالدًا مخلـدًا فيها أبـدًا. ومن تردى من جبـل فقتل نفسـه، فهو يتردى في نار جهنم خالـدًا مخلدًا فيها أبدًا»**[1]. وقال عليه الصلاة والسـلام: **«كان برجل جراح فقتل نفسـه، فقال الله: بدرني عبدي بنفسـه، حرمت عليه الجنة»**[2].

ومن رحمة الله الواسـعة أنه تعالى لم يغلق باب التوبة في وجه القاتل، بل باب التوبة مفتوح له ولغيره، حتى للكافر والمشـرك. فالقاتل له توبة فيما بينه وبين الله -عزَّ وجلَّ-، فإن تاب وآمن، وعمل عملاً صالحًا بدَّل الله سـيئاته حسنات، وعوَّض المقتـول من ظلامته وأرضاه عن ظلامته. قال الله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾**[3]. وقال تعالى: **﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾**[4]. وهذا عام في جميع الذنوب من كفر وشـرك وشك ونفاق وقتل وفسـق وغير ذلك، كل من تاب تاب الله عليه، قال الله جلَّ وعلا: **﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾**[5]. فهذه الآية عامة في جميع الذنوب ما عدا الشـرك. وقد تواترت الأحاديث عن رسـول الله ﷺ، أنه يخرج من النـار من كان في قلبه مثقـال ذرة من إيمان، وأما من مات كافرًا فالنص أن الله لا يغفر له البتة.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب: ما جاء في قاتل النفس.

(٣) سورة الفرقان، الآيات: ٦٨-٧٠.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٥) سورة النساء، الآية: ٤٨.

يغضب الله على المتولي يوم الزحف

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ (١٥) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[١].

الزحف: هو الحرب مع الكفار، والمشي إلى العدو.

التولي: أصله الانصراف عن الشيء، وهو الإعراض والإدبار، أي؛ الفرار يوم الجهاد. قال ابن عطية: والأدبار جمع دبر. والعبارة بالدبر في هذه الآية متمكنة الفصاحة؛ لأنها بشعة على الفار، ذامة له.

المتولي يوم الزحف[٢]: المتولي يوم الزحف هو المدبر والفار يوم الجهاد ولقاء العدو في الحرب، والمتولي هاربًا من وجوه الكفار. وأشد منه ما لو دل الكفار على عورة المسلمين، عالمًا بأنهم يقتلونهم ويسبون نساءهم.

نهى الله تعالى المسلمين عن الفرار من وجوه الكفار يوم المعركة ولقاء العدو، وحرَّم على المؤمنين ذلك حين فرض عليهم الجهاد وقتال الكفار، أنه إذا تدانيتم وتقاربتم منهم فلا تعطوهم أدباركم، ولا تفروا عنهم وتتركوا أصحابكم. ومن يفعل ذلك فقد رجع بغضبٍ من الله، ومصيره يوم ميعاده جهنم وبئس المصير، إلا أن يتفضل الله عليه بعفوه، وقد قال رسول الله ﷺ: **«من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غفر له وإن كان فرَّ من الزحف»**[٣].

واستثنى الله -عزَّ وجلَّ- من ذلك أن يكون المسلم فارًا أو منسحبًا لمكيدة وخدعة حربية، ليكر عليهم مجددًا، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ ﴾، أو لينضم إلى جماعة المجاهدين وجملتهم، أو يستعين بفئة أخرى من المسلمين يعاونهم

---

(١) سورة الأنفال، الآيتان: ١٥-١٦.

(٢) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٢٩/٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٤١/٧، ١٧/٨.

(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٣٤٣.

ويعاونوه، فيرجع معهم إليهم لقتالهم غير منهزمٍ أيضًا، قال تعالى: ﴿ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ ﴾.

فأما إن كان الفرار من المعركة لغير هذه الأسباب، فإنه كبيرة من الكبائر السبع الموبقات المهلكات، قال رسول الله ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» وذكر منهن: «**التولي يوم الزحف**»(١). فمن الناحية الحربية والنفسية، فإن فرار الرجل من المعركة يهون الفرار على رجالٍ آخرين فيقتدون به ويتبعونه في فراره، وبذلك تتخلخل صفوف الجيش وتدب فيها الفوضى، بل ربما يؤدي هذا الفرار أيضًا إلى تثبيط همم وعزائم الباقين في القتال، فتضعف النفوس عن القتال، وقد يؤدي كل ذلك إلى الهزيمة في هذه المعركة.

وكما نهى الله -عزَّ وجلَّ- عن الفرار والتولي يوم المعركة، أمر بالثبات والصبر عند قتال الكفار، فالتقى الأمر والنهي على سواء. وهذا تأكيد على الوقوف للعدو والتجلد له. وأمر المؤمنين كذلك بذكر الله كثيرًا والدعاء بالنصر عليهم والظفر بهم، لعلهم ينجحون ويظفرون بالعدو، ويرزقهم الله النصر عليهم، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٢). ففي هذا تعليم من الله تعالى لعباده المؤمنين آداب اللقاء وطريق الشجاعة عند مواجهة الأعداء، وقد قال رسول الله ﷺ: «**لا تمنَّوا لقاء العدو وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف**». ثم قال: «**اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم**»(٣).

فالواجب على المؤمن طاعة الله -عزَّ وجلَّ- والثبات عند قتال الأعداء والصبر على مبارزتهم، فلا يفر ولا ينكل ولا يجبن، وأن يذكر الله في تلك الحال ولا ينساه، بل يستعين به، ويتوكل عليه، ويسأله النصر على أعدائه، ولا يتنازع فيما بينه وبين

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب: رمي المحصنات.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٥.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب: لا تمنوا لقاء العدو.

المؤمنين أيضًا فيختلفوا، فيكون سببًا لتخاذلهم وفشلهم، وذهاب قوتهم وجرأتهم وإقدامهم، كما قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[1].

وقد كان للصحابة رضي الله عنهم في باب الشجاعة والائتمار بما أمرهم الله ورسوله به، وامتثال ما أرشدهم إليه ما لم يكن لأحد من الأمم والقرون قبلهم، ولا يكون لأحد ممن بعدهم، فإنهم ببركة الرسول ﷺ وطاعته فيما أمرهم؛ فتحوا القلوب والأقاليم شرقًا وغربًا في المدة اليسيرة، مع قلة عددهم بالنسبة إلى جيوش سائر الأقاليم، وقهروا الجميع حتى علت كلمة الله وظهر دينه على سائر الأديان، وامتدت الممالك الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها في أقل من ثلاثين سنة، فرضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.



يغضب الله على مَن يتسمى بملك الأملاك

قال رسول الله ﷺ: **«اشتد غضب الله على رجلٍ تسمى بملك الأملاك، لا ملك إلا الله عزَّ وجلَّ»**[2]. وقال ﷺ: **«أخنى الأسماء يوم القيامة عند الله؛ رجل تسمى: ملك الأملاك»**[3]. وفي رواية أخرى **«أخنع الأسماء عند الله رجل تسمى بملك الأملاك»**[4].

أخنى وأخنع الأسماء: أي: أذَلُّهَا وأقْهَرُهَا، الخُنُوع: الخُضوع والذُّلُّ. والخانعُ: الفاجر. أخنع: أوضع، قال عياض: معناه أنه أشد الأسماء صغارًا. قال ابن بطال: وإذا كان الاسم أذل الأسماء كان من تسمى به أشد ذلاً. (تسمى) أي؛ سمى نفسه، أو سمي بذلك فرضي به واستمر عليه.

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٩٨٨.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: أبغض الأسماء إلى الله.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: أبغض الأسماء إلى الله.

ملك الأملاك[1]: ملك الأملاك هو رجل أوله نطفة مذرة، وآخره جيفة قذرة، وهو فيما بينهما يحمل في بطنه العذرة؛ ومع ذلك يتسمى بملك الملوك، وغيره من التسميات التي تطفح بالتعظيم الذي يبغضه الله تعالى وما أنزل به من سلطان؛ لأنه لا ملك إلا هو سبحانه، وهو مالك الملك، وهو ذو الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة، قال الله تعالى: ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[2].

فالله هو العلي الكبير، وهو العلي العظيم، وهو الكبير المتعال، فكل شيء تحت قهره وسلطانه وعظمته لا إله إلا هو ولا رب سواه؛ لأنه العظيم الذي لا أعظم منه، العلي الذي لا أعلى منه، الكبير الذي لا أكبر منه، تعالى وتقدس وتنزه عزَّ وجلَّ عما يقول الظالمون المعتدون علوًا كبيرًا. وقال تعالى: ﴿ **كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ** ﴾[3]، أي؛ من القذر، فلا يليق بهم هذا التكبر.

وعلى هذا فلا يجوز أن يتسمى أحد بهذا الاسم ولا يدعى به إلا الله تعالى، و«**اشتد غضب الله على رجل تسمى بملك الأملاك**»، أي؛ من تسمى بذلك ودعي به وإن لم يعتقده، فإنه (لا ملك) في الحقيقة (إلا الله) وغيره وإن سمي ملكًا أو مالكًا فإنما هو بطريق التجوز؛ ولأنه مُلك مقيد غير مطلق، بل مُلك خاص يعتريه النقص والعيب من زوال وغيره، وإنما اشتد غضبه عليه لمنازعته لله في ربوبيته وألوهيته، فهو حقيق بأن يمقته عليه فيهينه غاية الهوان، ويذله غاية الذل، ويجعله تحت أقدام خلقه لجرأته وعدم حيائه في تشبهه به في الاسم الذي لا ينبغي إلا له، فهو ملك الملوك وحده حاكم الحكام وحده، فهو الذي يحكم عليهم كلهم لا غيره.

وفي الحديث مشروعية الأدب في كل شيء؛ لأن الزجر عن ملك الأملاك والوعيد عليه يقتضي المنع منه مطلقًا، سواء أراد من تسمى بذلك أنه ملك على

---

(١) راجع: فيض القدير للمناوي ١/٥١٤، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨/١٩١، وفتح الباري للعسقلاني ١٠/٥٩١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٢٤٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

(٣) سورة المعارج، الآية: ٣٩.

ملوك الأرض أم على بعضها، سـواء كان محقًا في ذلك أم مبطلاً، مع أنه لا يخفى الفرق بين من قصد ذلك وكان فيه صادقًا، ومن قصده وكان فيه كاذبًا. وقال قتادة: إنما خلقت يا ابن آدم من قذر فاتق الله. وروي أن مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب بن أبي صفرة يتبختر في مطرف خز وجبة خز فقال له: يا عبد الله، ما هذه المشية التي يبغضها الله؟ فقال له: أتعرفني؟ قال نعم، أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة. فمضى المهلب وترك مشيته. نظم الكلام محمود الوراق فقال:

عجبت من معجب بصورته ... وكان في الأصل نطفة مذره
وهو غدًا بعد حسن صورته ... يصير في اللحد جيفة قذره
وهو على تيهه ونخوته ... ما بين ثوبيه يحمل العذره

وقال آخر:

هل في ابن آدم غير الرأس مكرمة ... وهو بخمس من الأوساخ مضروب
أنف يسيل وأذن ريحها سَهِك ... والعين مُرْمَصة والثغر ملهوب
يا ابن التراب ومأكول التراب غدًا ... قصر فإنك مأكول ومشروب

يغضب الله على شرطة آخر الزمان

قال رسول الله ﷺ: «**سيكون في آخر الزمان شرطة يغدون في غضب الله، ويروحون في سخط الله، فإياك أن تكون من بطانتهم**»[1].

الشرطة: جمع شرطي، سموا بذلك؛ لأن لهم علامة يعرفون بها. وهم أعوان السلطان لتتبع أحوال الناس وحفظهم ولإقامة الحدود. وهم من نصبهم الإمام لتنفيذ الأوامر وما يتعلق به من حبس وضرب وأخذ بمن يستحقه.

شرطة آخر الزمان: شرطة آخر الزمان هم الذين أخبر عنهم رسول الله ﷺ بأنهم سيكونون بعده، فقال عليه الصلاة والسلام: «**يوشك، إن طالت بك مدة، أن ترى قوماً في أيديهم مثل أذناب البقر. يغدون في غضب الله، ويروحون في سخط**

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٦٦٦.

الله»[1]، أي؛ يغدون بكرة النهار ويروحون آخره وهم في غضبه وسخطه. وهذا من معجزات النبوة؛ لأن الشرطة لم تكن في عصر النبي ﷺ لطهارة ذلك العصر، بل حدثت بعد ذلك العصر، وقد نهى رسول الله ﷺ أن يكون المسلم من بطانتهم.

وقال ﷺ: **«صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس...»**[2]. وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ؛ فأصحاب السياط هم الشرطة الذين يحملون السياط أو الهراوات التي يضربون بها الناس. والسياط: جمع سوط كأذناب البقر، تسمى في ديار العرب: بالمقارع، جمع مقرعة. **«يضربون بها الناس»** ممن اتهم بنحو سرقة ليصدق في إخباره بما سرق. ويتضمن الحديث أن هذا الصنف سيوجد وكذلك كان، فإنه خلف بعد الصدر الأول قوم يلازمون السياط التي لا يجوز الضرب بها في الحدود قصدًا لتعذيب الناس. وهم أعوان والي الشرطة المعروفون بالجلادين، فإذا أُمروا بالضرب تعدوا المشروع في الصفة والمقدار، وربما أفضى بهم الهوى وما جُبِلوا عليه من المظالم إلى إهلاك المضروب أو تعظيم عذابه. قال القرطبي: وبالجملة هم سخط الله، عاقب الله بهم شرار خلقه غالبًا، نعوذ بالله من سخطه[3].

قال رسول الله ﷺ: **«إن طالت بك مدة، أوشكت أن ترى قومًا يغدون في سخط الله، ويروحون في لعنته. في أيديهم مثل أذناب البقر»**[4].

يغضب الله على الطاغين في الرزق

قال الله تعالى: ﴿ **كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ** ﴾[5].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: جهنم أعاذنا الله منها.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: جهنم أعاذنا الله منها.

(٣) فيض القدير للمناوي ٤/٢٠٨-٢٠٩.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: جهنم أعاذنا الله منها.

(٥) سورة طه، الآية: ٨١.

الطغيـان: أصل الطغيان مجــاوزة الحد، ومنه قول الله تعالــى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَــاءُ﴾[1]، أي؛ ارتفع وعلا وتجاوز المقدار الذي قدرته الخُزان. وقوله في فرعون: ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾[2]، أي؛ أسرف في الدعوى. والطغيان: التجاوز إلى ما لا يجوز.

الطاغـون فـي الـرزق: الطاغون في الرزق هم الذين رزقهم الله رزقًا فطغوا في رزقــه، فأخذوه من غير حاجة، وخالفوا ما أمرهم به؛ فحلَّ عليهم غضب الله -عزَّ وجلَّ-.

وهم الذين حملتهم السعة والعافية أن عصوا، وكفروا النعمة ونسوا شكر المنعم بها عليهم.

وهم الذين اســتبدلوا برزق الله شــيئاً آخر، كما قال الله تعالى: ﴿أَتَسْــتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾[3].

وهم الذين يدخرون من الرزق لأيام كثيرة؛ وقبل أن يتمكنوا من استخدامه يكون منه ما يتدود، ومنه ما يفســد، ومنه ما تنتهي صلاحية استخدامه، فيضطرون إلى رميه، ولولا ذلك ما فسد طعام أبدًا.

وهم الذين يحضرون كمية من الطعام تزيد عما ســيأكلونه؛ فيرمون الزائد من الطعــام في الزبالة، فــي الوقت الذي يوجد فيه مســلمون يموتون من الجوع وقلة وجود الطعام.

وقــد توعد الله - تبــارك وتعالى - الطاغين في الــرزق بحلول غضبه عليهم، ومَن يحلل عليه غضب الله فقد هلك، وحق له والله الهلاك والدمار، وقد حل عليه غضب الملك الجبار، ولكنه تعالى مزج هذا الوعيد الشديد، بالرجاء لمن أناب وتاب، ولم يســتمر على متابعة الشيطان المريد، فقال ســبحانه وتعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن

(١) سورة الحاقة، الآية: ١١.

(٢) سورة طه، الآية: ٢٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٦١.

تــابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَــدَى ﴾[1]، أي؛ كل من تاب إليَّ تبت عليه من أي ذنب كان.

وقوله تعالى: ﴿ تَابَ ﴾ أي؛ رجع عما كان فيه من كفر أو شــرك أو معصية أو نفــاق، قوله: ﴿ وَآمَــنَ ﴾ أي؛ بقلبه، ﴿ وَعَمِلَ صَالِحًــا ﴾ أي؛ بجوارحه، وقوله: ﴿ ثُمَّ اهْتَدَى ﴾، عن ابن عباس: أي؛ ثم لم يشكك، وقال سعيد بن جبير: أي؛ استقام على السنة والجماعة، وقال قتادة: أي؛ لزم الإسلام حتى يموت.



يغضب الله على الزانية الكاذبة[2]

قــال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُــهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُــهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْــهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[3].

هــذه الآية الكريمة فيها فرج للأزواج وزيادة مخــرج إذا قذف أحدهم زوجته، وتعسَّر عليه إقامة البينة أن يلاعنها كما أمر الله -عزَّ وجلَّ-، وهو أن يحضرها إلى الإمــام فيدعي عليها بما رماها به، فيحلفه الحاكم أربع شــهادات بالله في مقابلة أربعة شهداء إنه لمن الصادقين: أي؛ فيما رماها به من الزنا، ﴿ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾. فإذا قال ذلك بانت منه وحرمت عليه أبدًا، ويتوجه عليها حد الزنا.

ولا يــدرأ عنهــا العذاب، أي؛ الحد وهــو الرجم، إلا أن تلاعن، فتشــهد أربع شــهادات باللــه إنه لمن الكاذبــين: أي؛ أن زوجهــا الذي رماها بمــا رماها به من الفاحشــة، لمن الكاذبين فيما رماها من الزنا. ﴿ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن

(١) سورة طه، الآية: ٨٢.

(٢) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٢٧٦.

(٣) سورة النور، الآيات: ٦-٩.

كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، أي؛ أن غضب الله عليها إن كان زوجها فيما رماها به من الزنا من الصادقين. فخصها بالغضب، كما أن الغالب أن الرجل لا يتجشم فضيحة أهله ورميها بالزنا إلا وهو صادق معذور وهي تعلم صدقه فيما رماها به؛ ولهذا كانت الخامسة في حقها أن غضب الله عليها، والمغضوب عليه هو الذي يعلم الحق ثم يحيد عنه.

ثم ذكر تعالى رأفته بخلقه ولطفه بهم فيما شرع لهم من الفرج والمخرج من شدة ما يكون بهم من الضيق، أنه لولا فضل الله عليهم ورحمته لحرجوا ولشق عليهم كثير من أمورهم، وأن الله تواب على عباده، وإن كان ذلك بعد الحلف والأيمان المغلظة، حكيم فيما يشرعه ويأمر به وفيما ينهى عنه. قال الله تعالى: **﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾**[1].



يغضب الله على مَن لا يدعوه

قال رسول الله ﷺ: **«إنه مَن لم يسأل الله يغضب عليه»**[2]. وقال ﷺ: **«مَن لم يَدْعُ الله، سبحانه، غَضِبَ عليه»**[3]. أي؛ مَن لم يطلب من فضل الله يغضب عليه؛ لأنه إما قانط، وإما متكبر، وكل واحد من الأمرين موجب الغضب. فهو سبحانه يحب أن يُسأل وأن يُلَحَّ عليه، ولم يأمر سبحانه بالسؤال إلا ليعطي، وهذا يعني أن رضى الله في مسألته وطاعته، وإذا رضي سبحانه وتعالى فكل خير في رضاه، كما أن كل بلاء ومصيبة في غضبه.

السؤال والدعاء[4]: قال رسول الله ﷺ: **«الدعاء هو العبادة»**، ثم قرأ: **﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ**

---

(١) سورة النور، الآية: ١٠.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٦٨٦.

(٣) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٣٠٨٥.

(٤) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/٢٠٨-٢٠٩، وتحفة الأحوذي للمباركفوري ١٠/٤٩.

دَاخِرِينَ ﴾[1]»[2]. أي؛ هو العبادة الحقيقية التي تستأهل أن تسمى عبادة لدلالته على الإقبال على الله والإعراض عما سواه بحيث إذا أراد شيئًا فلا يطلب ولا يسأل إلا الله -عزَّ وجلَّ-.

لقد أمر الله تعالى عباده بأن يدعوه وحضهم على الدعاء وسماه عبادة، ووعدهم بأن يستجيب لهم، وأخبرهم بأنه قريب يجيب دعوة من دعاه، ويستحي أن يرد يدي عبده خاليتين، قال الله تعالى: **﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾**[3]. وقال رسول الله ﷺ: **«إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم، يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرًا»**[4].

بل إن الله - جلَّ ثناؤه وتقدست أسماؤه - يغضب على من لا يدعوه ويسأله؛ ذلك لأنه **«ليس شيء أكرم على الله من الدعاء»**[5]؛ لأن الدعاء فيه إظهار الفقر والعجز والتذلل والاعتراف بقوة الله وقدرته، وما شُرعت العبادة إلا للخضوع للبارئ وإظهار الافتقار إليه، أما ترك الدعاء والسؤال فإنه تكبر واستغناء عن عطائه ورحمته وهذا لا يجوز للعبد، ونِعم ما قيل:

الله يغضب إن تركت سؤاله وترى ابن آدم حين يُسأل يغضب

وذلك لأن الله يحب أن يُسأل من فضله ووعد بأن يعطي من يسأله؛ قال النبي ﷺ: **«ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له»**[6].

وإذا وجد الإنسان أنه يدعو ولا يُستجاب له فقد يكون لذلك سببًا من نفس هذا الإنسان أو وقوع خلل في شرط من شروط الدعاء؛ فالعبد إذا دعا ربه ولم يكن

(١) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٦٨٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٤) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٣٢٠.

(٥) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٦٨٤.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب: الدعاء والصلاة من آخر الليل.

في دعائه واحد من موانع الإجابة الثلاثة فالاستجابة مؤكدة بواحد من شيئين، قال رسـول الله ﷺ: **«ما من رجل يدعو الله بدعاء إلا استجيب له، فإما أن يُعجَّل له في الدنيا، وإما أن يدَّخر له في الآخرة، ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل،** قالوا: يا رسول الله وكيف يستعجل؟ قال: **«يقول: دعوت ربي فما استجاب لي»**[1].

فقول: «دعوت ربي فما اسـتجاب لي» هو إما استبطاء أو إظهار يأس وكلاهما مذموم، أما الأول؛ فلأن الإجابة لها وقت معين كما ورد أن بين دعاء موسى وهارون على فرعون وبين الإجابة أربعين سنة، وأما القنوط فلا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، مع أن الإجابة على أنواع منها تحصيل عين المطلوب في الوقت المطلوب. ومنها وجوده في وقت آخر لحكمة اقتضت تأخيره، ومنها دفع شـر بدله، أو عطاء خير آخر خير من مطلوبه، ومنها ادخاره ليوم يكون أحوج إلى ثوابه.

والمطلـوب مـن الداعي ألا يمل مـن الدعاء، وأن يدعو بنيـة صادقة وحضور قلب، وأن يكون موقنًا بالإجابة؛ لأن رسـول الله ﷺ قال: **«ادعوا الله، وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه»**[2]، وأن يجتنب موانع إجابـة الدعاء كالأشـياء الثلاثة الآنفة الذكر وهي الدعاء بإثـم أو قطيعة رحم أو الاسـتعجال؛ ويدخل في الإثم كل ما يأثم بـه من الذنوب، ويدخل في الرحم جميع حقوق المسـلمين ومظالمهم. ويمنع من إجابة الدعـاء أيضًا أكل الحرام وما كان في معناه، قال ﷺ: **«الرجل يطيل السـفر أشـعث أغبر يمد يديه إلى السـماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشـربه حرام، وملبسـه حرام، وغُذِي بالحرام، فأنَّى يسـتجاب لذلك»**[3]، أي؛ من أين يُسـتجاب لمن هذه صفته وكيف يُستجاب له. وقيل لإبراهيم بـن أدهم: مـا بالنا ندعو فلا يُسـتجاب لنا؟ قال: لأنكم عرفتم اللـه فلم تطيعوه، وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته، وعرفتم القرآن فلم تعملوا به، وأكلتم نِعم الله فلم

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٨٥٢.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٧٦٦.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة ، باب: الحث على الصدقة وأنواعها وأنها حجاب من النار.

تؤدوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس.

كذلك لا يعتدي في دعائه بذكر ألفاظ غير جائزة مثل: اللهم إن شئت، قال رسول الله ﷺ: **«إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة، ولا يقولنَّ اللهم إن شئت فأعطني، فإنه لا مستكره له»**[1]. وفي الحديث أيضًا أنه ينبغي للداعي أن يجتهد في الدعاء ويكون على رجاء الإجابة، ولا يقنط من رحمة الله فإنه يدعو كريمًا. وقد قال ابن عيينة: لا يمنعن أحدًا الدعاء ما يعلم في نفسه -يعني من التقصير- فإن الله قد أجاب دعاء شر خلقه وهو إبليس حين قال: رب أنظرني إلى يوم يُبعثون. قال تعالى: ﴿ **إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ** ﴾[2].

وعليه أن يعلم أن للدعاء أوقات فاضلة وأحوال يكون الغالب فيها الإجابة، وذلك كثلث الليل الآخر، وما بين الأذان والإقامة، وفي السجود، ويوم الجمعة، وأوقات الاضطرار، وحالة السفر والمرض، وغير ذلك من أوقات الإجابة. وأن يلح في الدعاء كما كان يفعل رسول الله ﷺ حيث كان يستحب أن يكرر الدعاء ثلاث مرات، فعن عبد الله بن مسعود، قال: وكان يستحب ثلاثًا يقول: **«اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش»**[3]. وأخيرًا، لا ينسى الداعي أن أقل ما في الدعاء تحصيل الثواب بامتثال الأمر بالدعاء الذي هو العبادة.

ومن رحمة الله تعالى بعباده أنه تعالى يجيب دعوة المضطر كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ** ﴾[4]، أي؛ مَن هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه، والذي لا يكشف السوء وضر المضرورين سواه؟ إنه الله تبارك وتعالى، فهو

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب: ليعزم المسألة، فإنه لا مُكره له.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين.

(٤) سورة النمل، الآية: ٦٢.

المدعو عند الشدائد، المرجو عند النوازل، الذي يجيب دعوة المضطر سواء كان مؤمنًا أو كافرًا. فالله -جلَّ جلاله- يجيب دعوة المضطر إذا دعاه ورجاه مخلصًا من أعمق أعماق قلبه، وقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إلام تدعو، قال ﷺ: **«أدعو إلى الله وحده، الذي إن مسَّك ضر، فدعوته، كشف عنك. والذي إن ضللت بأرض قفر، دعوته، رد عليك. والذي إن أصابتك سنة، فدعوته، أنبت عليك»**[1].

والدعاء أحد أسباب اكتساب الرزق أيضًا؛ لأنه توجه وسؤال الرزاق الرازق الذي بيده الرزق ويرزق من يشاء بغير حساب، عن أم سلمة أن النبي ﷺ كان يقول إذا صلى الصبح حين يسلم: **«اللهم إني أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا طيبًا، وعملاً متقبلاً»**[2]، كذلك كان ﷺ يقول: **«اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقِلة والذِّلة»**[3]، فقد كان رسول الله ﷺ نفسه يدعو الله تعالى بأن يرزقه الرزق الطيب ويتعوذ بالله تعالى من الفقر، وعن علي رضي الله عنه، أن مكاتبًا جاءه فقال: إني قد عجزت عن كتابتي فأعني، قال: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ؟ لو كان عليك مثل جبل صِير دينًا أداه الله عنك، قال: قل: **«اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك»**[4]؛ الكتابة هي تعليق عتق العبد على إعطاء سيده كذا من المال؛ وهذا المكاتب قد عجز عن أداء المال الذي كاتبه به سيده وبلغ وقت الأداء وليس له مال فطلب من علي رضي الله عنه أن يعينه بالمال أو بالدعاء بسعة المال فعلمه أن يدعو بهذا الدعاء، وأن يستعين بالله لأدائها ولا يتكل على الغير.

وعلى الداعي ألا يغفل عن شيء مهم لا بد أن يبدأ به الدعاء، ألا وهو حمد الله والثناء عليه، والصلاة على النبي ﷺ، وقد «سمع رسول الله ﷺ، رجلاً يدعو في صلاته، لم يُمَجِّد الله تعالى، ولم يُصَلِّ على النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: **«عَجَّلَ**

---

(١) المسند، رقم: ٢٠٥١٤، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٧٥٣.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٢٨٧.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٨٢٢.

هـذا» ثـم دعاه فقال له - أو لغيره -: «إذا صلَّى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه جلَّ وعزَّ والثناء عليه، ثم يُصلِّي على النبي ﷺ، ثم يدعو بَعْدُ بما شاء»[1] .

أبغض الخلق إلى الله الخوارج

عـن عبيد الله بن أبي رافع مولى رسـول اللـه ﷺ: **«أن الحَروريَّـة لما خرجت وهـو مـع علـي بن أبي طالب رضـي الله عنه قالوا: لا حكم إلا للـه . قال علي: كلمة حق أريدَ بها باطل ، إن رسـول الله ﷺ وصف ناسًـا إني لأعرف صفتهم في هؤلاء ، يقولون الحق بألسنتهم لا يجوز هذا منهم -وأشار إلى حلقه- من أبغض خلق الله إليه»**[2] .

الخوارج[3]: الخوارج جمع خارجة، أي؛ طائفة، وهم قوم مبتدعون سـموا بذلك لخروجهم عن الدين وخروجهم على خيار المسلمين وخروجهم على الجماعة، وأصل بدعتهم أنهم خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكانوا ينكرون عليه ويتبـرءون منه، ثـم اجتمعوا على أن من لا يعتقد معتقدهـم يكفر ويباح دمه وماله وأهله، وانتقلوا إلى الفعل فاسـتعرضوا الناس فقتلوا من اجتاز بهم من المسـلمين، ومـر بهم عبد الله بن خبـاب بن الأرت وكان واليًا لعلي على بعض تلك البلاد ومعه سرية وهي حامل فقتلوه وبقروا بطن سريته عن ولد، فبلغ عليًا فخرج إليهم بجيشه فأوقـع بهـم بالنهروان، ولم ينج منهم إلا دون العشـرة ولا قُتل ممـن معه إلا نحو العشرة.

ثـم انضم إلى من بقي منهم مَن مال إلى رأيهم فكانوا مختفين في خلافة علي حتى كان منهم عبد الرحمن بن ملجم الذي قتل عليًا في المسجد عند صلاة الصبح، ثم لما وقع صلح الحسـن ومعاوية ثارت منهم طائفة فأوقع بهم عسكر الشام بمكان

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ١٣١٤.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب: التحريض على قتل الخوارج.

(٣) راجع: فتح الباري للعسـقلاني ١٢/٢٨٣، ٢٨٦، وشـرح صحيح مسـلم للنووي ٧/١٦٩-١٧٠، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ١٥-١٩.

يقـــال له النجيلة، ثم كانوا منقمعين في إمارة زياد وابنه عبيد الله على العراق طول مـــدة معاوية وولده يزيد، وظفر زياد وابنه منهـــم بجماعة فأبادهم بين قتل وحبس طويل، فلما مات يزيد ووقع الافتراق وولي الخلافة عبد الله بن الزبير وأطاعه أهل الأمصار إلا بعض أهل الشـــام ثار مروان فادعى الخلافة وغلب على جميع الشـــام إلـــى مصر، فظهر الخوارج حينئذ بالعراق مـــع نافع بن الأزرق، وباليمامة مع نجدة بـــن عامـــر وزاد نجدة على معتقد الخوارج أن من لم يخرج ويحارب المسـلمين فهو كافر ولو اعتقد معتقدهم، وعظم البلاء بهم وتوسعوا في معتقدهم الفاسد فأبطلوا رجم المحصن وقطعوا يد السارق من الإبط وأوجبوا الصلاة على الحائض في حال حيضها وكفروا من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إن كان قادرًا، وإن لم يكن قادرًا فقد ارتكب كبيرة، وحكم مرتكب الكبيرة عندهم حكم الكافر، وكفوا عن أموال أهل الذمة وعن التعرض لهم مطلقًا وتركوا قتال المشـــركين وفتكوا فيمن ينسب إلى الإسلام بالقتل والسبي والنهب، ولم يزل البلاء بهم يزيد إلى أن أُمِّر المهلب بن أبي صفـــرة علـــى قتالهم فطاولهم حتى ظفر بهم وتقلل جمعهـــم، ثم لم يزل منهم بقايا تكاثرت فيما بعد وانتشرت في بعض البلاد.

وقـــد تفرع عن الخوارج فـــرق كثيرة؛ قال ابن حزم: ذهـــب نجدة بن عامر من الخـــوارج إلى أن مـــن أتى صغيرة عذب بغيـــر النار، ومن أدمن علـــى صغيرة فهو كمرتكب الكبيرة في التخليد في النار، وذكر أن منهم من غلا في معتقدهم الفاسد فأنكـــر الصلوات الخمس وقال: الواجب صلاة بالغداة وصلاة بالعشـــي، ومنهم من جوز نكاح بنت الابن وبنت الأخ والأخت، ومنهم من أنكر أن تكون ســـورة يوسف من القرآن؛ وأن من قال لا إله إلا الله فهو مؤمن عند الله ولو اعتقد الكفر بقلبه.

لقد تنبأ رســـول الله ﷺ بالخوارج وذكرهم في أكثر من حديث، فعندما قســـم ﷺ غنيمـــة بين بعض المســـلمين «أقبـــل رجل غائر العينين مشـــرف الوجنتين ناتئ الجبـــين كث اللحيـــة محلوق فقال: اتـــق الله يا محمد، فقـــال: «**من يطـع الله إذا عصيت؟ أيأمنني الله على أهل الأرض ولا تأمنوني؟**» فســـأله رجل قتله – أحســـبه خالـــد بـــن الوليد – فمنعـــه، فلما ولَّى قـــال: «**إن مـــن ضئضئ هـــذا –أو فـــي عقب**

هذا – قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»[1]؛ فمن أصل هذا قوم يخرجون من الدين ومن طاعة الإمام كما يخرج السهم من الرمية، وهذه صفة الخوارج الذين كانوا لا يطيعون الخلفاء، وهم يقتلون المسلمين ويتركون المشركين، وهو مما أخبر به ﷺ من المغيبات فوقع كما قال. ولو أدرك النبي ﷺ خروجهم واعتراضهم المسلمين بالسيف لقتلهم قتلاً عامًا واستأصلهم كما استأصل الله تعالى قوم عاد؛ ففي قتلهم أجرًا كما قال عليه الصلاة والسلام في حديث آخر: «**يأتي في آخر الزمان قوم حُدَثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة**»[2]، وهذا بالرغم من أنهم يبالغون في الصلاة والصيام والعمل وقراءة القرآن كما قال ﷺ: «**يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، ويقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**»[3]، ففي قوله ﷺ «**فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم**»، قال النووي: هذا تصريح بوجوب قتال الخوارج والبغاة وهو إجماع العلماء، قال القاضي عياض: أجمع العلماء على أن الخوارج وأشباههم من أهل البدع والبغي متى خرجوا على الإمام وخالفوا رأي الجماعة وشقوا العصا وجب قتالهم بعد إنذارهم والاعتذار إليهم، قال الله تعالى: ﴿**فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ**﴾[4]، لكن لا يجهز على جريحهم ولا يتبع منهزمهم ولا يقتل أسيرهم ولا تباح أموالهم، وما لم يخرجوا عن الطاعة وينتصبوا للحرب لا يقاتَلون بل يوعظون ويستتابون من بدعتهم وباطلهم وهذا كله ما لم يكفروا ببدعتهم، فإن كانت بدعة مما يكفرون به جرت عليهم أحكام المرتدين.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿**وإلى عاد أخاهم هودًا قال يا قوم اعبدوا الله**﴾.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب: إثم من راءى بقراءة القرآن، أو تأكل به...

(٤) سورة الحجرات، الآية: ٩.

أبغض الناس إلى الله ثلاثة[1]

قال رسول الله ﷺ: «**أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومُطلِب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه**»[2].

ملحد في الحَرَم: الملحد في الحَرَم هو المائل عن الحق الذي يرتكب معصية من المعاصي من الكفر إلى الصغائر في المسجد الحرام، أو يرتكب عملاً حرَّمه الله مما يختص بالبلد الحرام، قال الله تعالى عن المسجد الحرام: ﴿**وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[3]، وقال رسول الله ﷺ عن مكة: «**إن الله حرَّم مكة، فلم تحلّ لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أُحلت لي ساعة من نهار، لا يُختلى خلاها، ولا يُعضد شجرها، ولا يُنفَّر صيدها، ولا تُلتقط لُقَطَتُها إلا لمعرِّف**»[4].

قال العوفي عن ابن عباس ﴿**بِظُلْمٍ**﴾ هو أن تستحل من الحرم ما حرم الله عليك من إساءة أو قتل فتظلم من لا يظلمك وتقتل من لا يقتلك فإذا فعل ذلك فقد وجب له العذاب الأليم. وقيل إن احتكار الطعام في الحرم إلحاد فيه. وقال ابن عمر: كنا نتحدث أن الإلحاد فيه أن يقول الإنسان: لا والله! وبلى والله! وكلا والله! ولذلك كان له فسطاطان، أحدهما في الحِلّ والأخر في الحَرَم؛ فكان إذا أراد الصلاة دخل فسطاط الحرم، وإذا أراد بعض شأنه دخل فسطاط الحِلّ، صيانة للحَرَم عن قولهم كلا والله وبلى والله، حين عظَّم الله الذنب فيه. وكذلك كان لعبد الله بن عمرو بن العاص فسطاطان أحدهما في الحِل والآخر في الحَرَم، فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل، وإذا أراد أن يصلي صلَّى في الحرم،

---

(١) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢/٢٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٢٢٤، وفتح الباري للعسقلاني ١٢/٢١١، وفيض القدير للمناوي ١/٨٢.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الديات، باب من طلب دم امرئ بغير حق.

(٣) سورة الحج، الآية: ٢٥.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب جزاء الصيد، باب: لا يُنفَّر صيد الحَرَم.

فقيل له في ذلك فقال: إن كنا لنتحدث أن من الإلحاد في الحرم أن نقول كلا والله وبلى والله، والمعاصي تضاعف بمكة كما تضاعف الحسنات، فتكون المعصية معصيتين، إحداهما بالمخالفة نفسها والثانية بإسقاط حُرمة البلد الحرام. فإن كانت هذه الأشياء من الإلحاد إلا أنه أعم من ذلك بل فيها تنبيه على ما هو أغلظ منها؛ ولهذا لما همَّ أصحاب الفيل على تخريب البيت جعل كيدهم في تضليل ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾[1]، أي؛ أهلكهم ودمرهم وجعل مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة في ضياع وخسار، وجعلهم عبرةً ونكالاً لكل من أرادها بسوء.

مبتغ سنة الجاهلية: المبتغ سنة الجاهلية هو الذي يكون له الحق عند شخص فيطلبه من غيره ممن لا يكون له فيه مشاركة كوالده أو ولده أو قريبه. وقيل: المراد من يريد إحياء سيرة الجاهلية أو إشاعتها أو تنفيذها. وسنة الجاهلية اسم جنس يعم جميع ما كان أهل الجاهلية يعتمدونه من أخذ الجار بجاره والحليف بحليفه والطيرة والكهانة والنياحة والميسر ومنع القود عن مستحقه ونحو ذلك، ويلتحق بذلك ما كانوا يعتقدونه، والمراد منه ما جاء الإسلام بتركه كالطيرة والكهانة أو قتل غير القاتل وغير ذلك.

مُطلب الدم بغير حق: مُطلب الدم بغير حق هو الذي يبالغ في الطلب المترتب عليه المطلوب لا مجرد الطلب، وقوله «بغير حق» احتراز عمن يقع له مثل ذلك لكن بحق كطلب القصاص مثلاً. وينبه العسقلاني فيقول: وقفت لهذا الحديث على سبب فقرأت في (كتاب مكة لعمر بن شبة).. قال: قتل رجل بالمزدلفة، يعني؛ في غزوة الفتح، فذكر القصة وفيها أن النبي ﷺ قال: «وما أعلم أحدًا أعتى على الله من ثلاثة: رجل قتل في الحرم، أو قتل غير قاتله، أو قتل بذحل في الجاهلية»، ومن طريق أخرى ولفظه «إن أجرأ الناس على الله» فذكر نحوه وقال فيه: «وطلب بذحول الجاهلية»، الذحل: الثأر أو طلب مكافأة بجناية جُنيت عليك أو عداوة أُتيت إليك أو هو العداوة والحقد.

---

(١) سورة الفيل، الآيات: ٣-٥.

إنما كان هؤلاء الثلاثة أبغض الناس إلى الله؛ لأنهم جمعوا بين الذنب وما يزيد قبحًا من الإلحاد وكونه في الحرم، وإحداث البدعة في الإسلام وكونها من أمر الجاهلية، وقتل نفس لا لغرض بل بمجرد كونه قتلاً؛ ويزيد القبح في الأول باعتبار المحل، وفي الثاني باعتبار الفاعل، وفي الثالث باعتبار الفعل.



أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم[1]

قال رسول الله ﷺ: «أبغض الرجال إلى الله الألدّ الخَصِم»[2].

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾[3].

الألد الخصم: هو الفاجر الأعوج الشديد الخصومة، أو هو أشد ذوي الخصام مخاصمة، المولع بها الماهر فيها الحريص عليها المتمادي في الخصام بالباطل، لا يقبل الحق ويدَّعي الباطل، كلما أخذ عليه جانب من الحجة أخذ في آخر، لا ينقطع جداله وهو يظهر أنه على الحسن الجميل ويوجه لكل شيء من خصامه وجهًا ليصرفه عن إرادته من القباحة إلى الملاحة، ويزيِّن بشقشقته الباطل بصورة الحق وعكسه بحيث صار ذلك عادته وديدنه.

إذا كلمك وراجعك رأيت لكلامه طلاوة وباطنه باطل، لسانه أحلى من العسل وقلبه أمر من الصبر، يلبس للناس جلد الضأن من اللين، يشتري الدنيا بالدين.

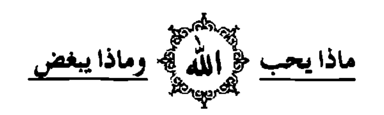
أعوج المقال، سيئ الفعال، كلامه كذب، واعتقاده فاسد، وأفعاله قبيحة، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾[4]، إذا وُعظ في مقاله وفعاله وقيل له: اتق الله وانزع عن قولك وفعلك وارجع إلى الحق؛ امتنع وأبى وأخذته الحمية والغضب بالإثم، أي؛ بسبب ما اشتمل عليه من الآثام.

(١) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/٢٠٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٢٥٤، وفيض القدير للمناوي ١/٨٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب: الألد الخصم.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٠٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٠٦.



يبغض الله من يبغض الأنصار[1]

قال رســول الله ﷺ: «**الأنصار... لا يبغضهم إلا منافق... من أبغضهم أبغضه الله**»[2].

الأنصار: الأنصار هم الذين آووا النبي ﷺ ومن معه وقاموا بأمرهم ومواساتهم بأنفســهم وأموالهم وإيثارهم إياهم في كثير من الأمور على أنفسهم، فكان صنيعهم لذلـك موجبًـا لمعاداتهم جميع الفـرق الموجودين من عرب وعجـم، والعداوة تجر البغـض. ثـم كان ما اختصوا به مما ذكر موجبًا للحسـد، والحسـد يجر البغض؛ فلهـذا جاء التحذيـر من بغضهم حتى جعـل ذلك آية النفاق، كمـا في قوله ﷺ: «**آية النفاق بغض الأنصار**»[3].

وأمـا الحروب الواقعة بينهم فإن وقــع من بعضهم بغض لبعض فذاك من غير هذه الجهة، بل للأمر الطارئ الذي اقتضى المخالفة؛ ولذلك لم يحكم بعضهم على بعــض بالنفاق، وإنمــا كان حالهم في ذاك حال المجتهدين فــي الأحكام: للمصيب أجران وللمخطئ أجر واحد.

فمــن عرف مرتبــة الأنصار ومــا كان منهم في نصرة دين الإســلام، وقتالهم ومعاداتهم ســائر الناس إيثارًا للإسلام، وحبهم النبي ﷺ، وحبه إياهم، ثم أبغضهم لهذا؛ كان ذلك دليلاً على نفاقه وفساد سريرته. والله أعلم.



يبغض الله العالم بالدنيا الجاهل بالآخرة

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يبغض كل عالم بالدنيا، جاهل بالآخرة**»[4].

---

(١) راجع: فتح الباري للعسقلاني ١/٦٣، وشرح صحيح مسلم للنووي ٢/٦٤.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب: حب الأنصار من الإيمان.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: علامة الإيمان حب الأنصار.

(٤) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٧٩.

قال الله تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾[1].

عالم الدنيا جاهل الآخرة: عالم الدنيا جاهل الآخرة هو الذي يعلم أمور معيشته ودنياه، وهو خبير في هذه الأمور وحريص على النجاح فيها، في الوقت الذي هو فيه عن أمور الآخرة وشؤونها والعمل لها غافل جاهل أعمى.

وإذا كان العلم بالأمور الدنيوية المباحة غير مذموم على ألا يكون على حساب الآخرة، فكيف بمن يمعن في تحصيل العلوم والأشياء الدنيوية المحرمة والمذمومة التي تبعده عن الله تعالى، ويجهل تمامًا ما يقربه إلى الآخرة ويدنيه منها؟!

فالعلم شرف لازم لا يزول، دائم لا يمل، ومَن قدر على الشريف الباقي أبد الآباد ورضي بالخسيس الفاني في أمد الآماد فجدير بأن يُبغض لشقاوته وإدباره؛ ولو لم يكن من شرف العلم إلا أنه لا يمتد إليه أيدي السراق بالأخذ ولا أيدي السلاطين بالعزل لكفى، فكيف وهو بشرطه المتكفل بسعادة الدارين؟![2]

﴿ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾[3].

يبغض الله الجعظري الجواظ

قال رسول الله ﷺ: **«إن الله: يبغض كل جعظرِي جوَّاظ، سَخاب في الأسواق، جيفة بالليل، حِمار بالنهار، عالم بالدنيا، جاهل بالآخرة»**[4].

الجعظري: هو الفظ الغليظ المتكبر، أو الأكول الغليظ والقصير، الذي يتمدح وينفخ بما ليس فيه أو عنده.

الجَوَّاظ: هو الضخم كثير اللحم المختال في مشيته، والكثير الكلام والجلبة في الشر، والجموع المنوع، والصَّيَّاح، والضجور، والعاجز، والمتكبر الجافي،

(١) سورة الروم، الآية: ٧.

(٢) المناوي: فيض القدير ٢/٢٨٥.

(٣) سورة النمل، الآية: ٦٦.

(٤) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٧٨.

والفاجــر، والفظ الغليظ، والأكول. قال رســول الله ﷺ: **«لا يدخل الجنة الجوَّاظ، ولا الجعظري»**[(١)].

السخاب: هو الصخاب؛ كثير الضجيج والخصام، خشبة بالليل، سخاب بالنهار، إذا جنَّ عليه الليل سقط نائمًا كأنه خشبة، فإذا أصبح تساخب على الدنيا شحًا وحرصًا.

الجيفـة: هي جثة الميت وقد أراح، فهو ينام طوال ليله كالجيفة التي لا تتحرك فــلا قيام ليل ولا صــلاة فجر، حتى إذا ما اقترب موعد العمل هبَّ من نومه ولبس ثيابه على وجه السرعة وانطلق إلى عمله.

الحمار: هو الذي يعمل كالحمار طوال النهار لدنياه على حساب آخرته، والأسوأ من ذلك أن يعمل كالحمار لدنيا غيره على حســاب آخرته، حتى إذا ما جاء موعد النوم ارتمى على فراشه كالجيفة.



يبغض الله الفاحش المتفحش

قال رســول الله ﷺ: **«إن الله تعالى يبغض الفاحش المتفحش»**[(٢)]. وقال ﷺ: **«إن الله لا يحب كل فاحش متفحش»**[(٣)].

الفاحـش المتفحـش: الفاحش هو المجبول على الفحــش الذي يتكلم بما يكره ســماعه أو الذي يرسل لسانه بما لا ينبغي من الســباب والشتائم والتعيير وبذيء الكلام، ويعبِّر عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة. والمتفحش المتعاطي لذلك المســتعمل له. وقيل الفاحش المتلبس بالفحش والمتفحــش المتظاهر به؛ لأنه تعالى طيب جميل فيبغض من لم يكن كذلك، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**﴾[(٤)].

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٤٠١٦.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٧٧.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٥٠.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

وقيــل: هو كل من يعمل أعمالاً شــديدة القبح من ذنوب ومعاصي، وكل خصلة قبيحة فاحشة من الأقوال والأفعال، وكل ما نهى الله -عزَّ وجلَّ- عنه. والمتفحش هو الذي يتكلف الفحش ويتعمده. ومصدر الفحش الخبث واللؤم، والباعث على الفحش إمــا قصد الإيذاء وإما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفســاق وأهل الخبث واللؤم ومَن عادتهم السب. قال رسول الله ﷺ: **«ما كان الفحش في شيء إلا شانه»**[1]، أي: ما كان الفحش في شيء إلا عيبه ولو كان جمادًا فكيف بالإنسان.

يبغض الله السائل الملحف

قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى يبغض السائل المُلْحِفَ»**[2].

السائل الملحف: هو المتســول الذي يُلح ويسرف في المسألة من غير اضطرار، ويكلف الناس ما لا يحتاج إليه، فإن من ســأل وله ما يغنيه عن المســألة فقد ألحف في المســألة؛ قال رسول الله ﷺ: **«من اسـتغنى أغناه الله، ومن استعف أعفه الله، ومن استكفى كفاه الله، ومن سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف»**[3]. وقد نهى النبي ﷺ عن الإلحاف في المسألة، فقال ﷺ: **«لا تُلحفوا في المسألة»**[4].

فالإلحاح في المسألة والإلحاف فيها مع الغنى عنها منهي عنه؛ وقال رسول الله ﷺ: **«من سـأل الناس أموالهم تكثُرًا فإنما يسـأل جمرًا فليسـتقل أو ليسـتكثر»**[5]، وقال عليه الصلاة والســلام: **«ما يزال الرجل يسـأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليـس فـي وجهه مُزْعَةُ لحم»**[6]، وفي هذا تنبيه على ســوء حالة مَن يســأل الناس إلحافاً.

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦٠٧.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٧٦.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٦٠٢٧.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب: النهي عن المسألة.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب: النهي عن المسألة.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب: النهي عن المسألة.

يبغض الله البليغ المتخلل بلسانه[1]

قال رسـول الله ﷺ: «إن الله عزَّ وجلَّ يبغض البليغ من الرجال، الذي يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها»[2].

قـال النبي ﷺ: «إن مـن أبغضكـم إليَّ وأبعدكـم مني يـوم القيامـة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون»[3].

البليغ: البليغ هو المبالغ في فصاحة الكلام وبلاغته، الذي يتخلل بلسـانه، أي؛ يأكل بلسـانه أو يدير لسـانه حول أسـنانه مبالغة في إظهار بلاغته وبيانه، تخلل الباقرة وهي البقرة بلسـانها، أي؛ يتشـدق في الكلام بلسانه ويلفه كما تلف البقرة الكلأ بلسـانها لفًّـا. وخص البقرة؛ لأن جميع البهائم تأخذ النبات بأسـنانها وهي تجمع بلسانها. وأما من بلاغته خلقية فغير مبغوض.

وهو المظهر للتفصح تيهًا على الغير وتفاصحًا واسـتعلاء ووسيلة إلى الاقتدار على تصغير عظيم أو تعظيم حقير أو بقصد تعجيز غيره أو تزيين الباطل في صورة الحق أو عكسه أو إجلال الحكام له ووجاهته وقبول شفاعته.

والمتشـدق هو المتوسـع في الكلام من غيـر احتياط واحتـراز ويفتح به فمه، والشدق جانب الفم، فهو يتكلم بملء شدقه تفاصحًا وتعظيمًا لكلامه واستعلاء على غيره، قيل: وهذا من الكبر والرعونة. فالتقعر في الكلام بالتشـدق وتكلف السجع والفصاحـة والتصنع فيه بالتشـبيبات والمقدمات وما جرى بـه عادة المتفاصحين المدَّعـين للخطابة، كل ذلـك من التصنع المذموم ومن التكلـف الممقوت ومن العمل المبغـوض إلـى الله.. بل ينبغي أن يقتصر في كل شـيء على مقصـوده: ومقصود

---

(١) راجع: إحياء علوم الدين للغزالي ٣/١٢٠-١٢١، وفيض القدير للمناوي ٢/٢٨٣، وعون المعبود للعظيم آبادي ١٣/٢٣٧، وتحفة الأحوذي للمباركفوري ٨/١١٨، ٦/١٣٦.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤١٨٥.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦٤٢.

الـكلام التفهيم للغرض ومـا وراء ذلك تصنع مذموم. ولا يدخل في هذه تحسـين ألفاظ الخطابة والتذكير من غير إفراط وإغراب، فإن المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها، فلرشاقة اللفظ تأثير فيه فهو لائق به.

فأما المحاورات التي تجري لقضاء الحاجات فلا يليق بها السـجع والتشـدق والاشتغال به من التكلف المذموم، ولا باعث عليه إلا الرياء وإظهار الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشـرع ويزجر عنه. قال رسـول الله ﷺ: «**هلك المتنطعـون**» قالها ثلاثـًا[1]. والمتنطعون هم المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.

فلا ينافي كون الجمال في اللسان، ولا أن المروءة في البيان، ولا أنه زينة من زينة الدنيا وبهاء من بهائها، ولا يناقض هذا ﴿**خَلَقَ الإنسَـانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾[2]؛ لأن جعله من نعم الوهاب آية أن موضع البغض ما كان على جهة الإعجاب والتعاظم.



يبغض الله ثلاثة رجال

قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة يَشْـنُؤهُمْ الله... التاجر الحلاف، والفقير المختال، والبخيل المنَّان**»[3]. يَشْنُؤهُم: يبغضهم، والمَشْنُوءُ: المُبْغَض.

التاجـر الحلاَّف: هو التاجـر الذي يُكثر من الحلف أثناء البيع، وقد نهى النبي ﷺ عـن الحلف في البيع فقال ﷺ: «**إياكـم وكثرة الحَلف في البيـع فإنه ينفق ثم يمحق**»[4]، وقال ﷺ: «**الحَلِفُ مَنْفَقة للسـلعة، مَمْحقة للبركة**»[5]، فالحلف قد يبيع السلعة إلا أنه قد ينقص أو يمحو أو يبطل بركة الربح، إما بخسارة تلحقه في ماله

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب العلم، باب: هلك المتنطعون.

(٢) سورة الرحمن، الآيتان: ٣-٤.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٠٧٤.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب المساقاة، باب: النهي عن الحلف في البيع.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾.

بأن يسلط الله تعالى عليه وجوهًا يتلف فيها ماله: إما سرقة أو حرقًا أو غصبًا، أو ينفقهـا على العلاج من أمراض تصيبه أو تصيب أحدًا من أهله وأولاده، أو بإنفاقه في غير ما يعود نفعه إليه في العاجل أو ثوابه في الآجل، أو بقي عنده وحرم نفعه، أو ورثه من لا يحمده، أو غير ذلك مما شاء الله تعالى.

والمـراد الحلف الصادق وهو مكروه من غير حاجـة، فإن كان الحلف كذبًا فهو محرم وحال صاحبه سيئة جدًا في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّـهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَـةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]، فهؤلاء يحلفون كذبًا ليكسـبوا مبالغ زهيدة ودراهم معدودة؛ وقال النبي ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: المُسبل، والمنَّان، والمنفق سلعته بالحَلف الكاذب**»[2].

الفقير المختال: هو الذي لا مال له ومع ذلك يتكبر، وقد التزم معصية الكبر مع بُعدها منه وعدم ضرورته إليها وضعف دواعيها عنده، وإن كان لا يعذر أحد بذنب، لكـن لما لم يكن إلى هذه المعصية ضرورة مزعجة ولا دواعي متعادة أشـبه إقدامه عليها المعاندة والاسـتخفاف بحق الله تعالى وقصد معصيته لا لحاجة غيرها، فهو قد عدم المال والثروة في الدنيا التي هي سـبب الفخر والخيلاء والتكبر والارتفاع على الناس لكونه ظاهرًا فيها وحاجات أهلها إليه، فإذا لم يكن عنده أسبابها فلماذا يستكبر ويحتقر غيره؟! فلم يبق فعله إلا لضرب من الاستخفاف بحق الله تعالى[3]، ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[4].

البخيـل المنَّـان[5]: البخل هو أن يمنع الإنسـان الحـق الواجب عليه. وهو ضد الكـرم والجود. قيل: أجـود الناس في الدنيا من جاد بحقـوق الله، وإن رآه الناس

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٧.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف.

(٣) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي ٢/١١٧.

(٤) سورة الحديد، الآية: ٢٣.

(٥) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/٢٠٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٣٢٦، وروضة العقلاء لابن حبان ١٩٦، وكتاب الأربعين في أصول الدين للغزالي ٩٦-٩٧.

بخيلاً بما سوى ذلك، وإن أبخل الناس في الدنيا من بخل بحقوق الله، وإن رآه الناس كريمًا جوادًا بما سوى ذلك. والبخيل بعيد من الله، بعيد من الناس. وأصل البخل حب المال؛ وحب المال يلهي عن ذكر الله -عزَّ وجلَّ-، ويصرف وجه القلب إلى الدنيا، ويُحكم علاقته فيها، حتى يثقل عليه الموت الذي فيه لقاء الله تعالى. والمن: ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتقريع بها؛ مثل أن يقول: قد أحسنت إليك وأعطيتك ونحو ذلك. وقيل: المن التحدث بما أعطى حتى يبلغ ذلك المعطَى فيؤذيه.

والبخيل المنَّان هو الذي يعطي الشيء فيمنّه بالقول أو الفعل، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾[1]، الأذى: السب والتشكي، وهو أعم من المنِّ؛ لأن المنَّ جزء من الأذى. فالصدقة نفسها تبطل بما يتبعها من المنِّ والأذى، فما بقي ثواب الصدقة بخطيئة المنِّ والأذى، كما تبطل صدقة من راءى بها الناس فأظهر لهم أنه يريد وجه الله وإنما قصده مدح الناس له أو شهرته بالصفات الجميلة ليشكر بين الناس، أو يقال: إنه كريم ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية، مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه.



يبغض الله أربعة رجال

قال رسول الله ﷺ: **«أربعة يبغضهم الله تعالى: البياع الحلاَّف، والفقير المختال، والشيخ الزاني، والإمام الجائر»**[2].

وقال ﷺ: **«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر»**[3].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٨٨٠.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: ثلاثة لا يكلمهم الله تعالى يوم القيامة ولا يزكيهم.

البياع الحلاف: تقدم الكلام عليه؛ وفيه أنه التاجر الذي يُكثر من الحلف أثناء البيع. وإنما أبغضه الله تعالى؛ لأنه انتهك ما عظَّم الله من أسـمائه وجعله سـببًا وحيلـة لدرك ما حقره من الدنيا لعظمها في قلبه، فبغضه ومقته؛ هذا في الحلف الصادق فما بالك بالكاذب؟

الفقيـر المختـال: تقدم الكلام عليه؛ وفيـه أنه الذي لا مال له ومع ذلك يتكبر. وإنما أبغضه الله -عزَّ وجلَّ-؛ لأنه تعالى قد زوى عنه أسـباب الكبر بحمايته له عن الدنيا فأبى لؤم طبعه إلا التكبر ولم يشكر نعمة الفقر.

الشـيخ الزاني[1]: الشـيخ الزاني هو الرجل الكبير السن العجوز الذي ضعفت قدرته الجنسـية وضعفت شـهوته إليها ومع ذلك يسعى إلى ارتكاب فاحشة الزنا!؛ فهـذا قد التزم هذه المعصية مع بُعدها منه وعـدم ضرورته إليها وضعف دواعيها عنده، وإن كان لا يعذر أحد بذنب، لكن لما لم يكن إلى هذه المعصية ضرورة مزعجة ولا دواعي متعادة أشبه إقدامه عليها المعاندة والاستخفاف بحق الله تعالى، وقصد معصيته لا لحاجة غيرها، فإن الشيخ لكمال عقله وتمام معرفته بطول ما مرَّ عليه من الزمان، وضعف أسـباب الجماع والشهوة للنسـاء واختلال دواعيه لذلك عنده ما يريحه من دواعي الحلال في هذا ويخلي سـره منه فكيف بالزنا الحرام؟! وإنما دواعي ذلك الشـباب والحرارة الغريزية وقلة المعرفة وغلبة الشـهوة لضعف العقل وصغر السن. ولكن أبى سوء طبعه إلا التهافت في معصية ربه.

الإمام الجائر[2]: الإمام الجائر هو الذي أنعم الله تعالى عليه بالإمارة أو الرياسة أو القيادة أو المنصب أو المسـؤولية ونحو ذلك فأبى شؤم شح طبعه إلا الجور وكفر النعمة. فالإمام راع ومسؤول عن رعيته ويجب عليه حياطة الشريعة بإقامة الحدود والعـدل في الحكم، وأن يكون محافظًا مؤتمنًا ملتزمًـا صلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره، وكل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته.

---

(١) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي ٢/١١٧.

(٢) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي ٢/١٦٦، ١٢/٢١٣، وفتح الباري للعسقلاني ١٣/١١٣، ١٢٨.

فالراعــي ليس مطلوبًا لذاته وإنما أقيم لحفظ ما اســترعاه المالك فينبغي ألا يتصرف إلا بما أذن الشــارع فيه. وقد دعا رســول الله ﷺ على من يتولى أمرًا من أمور المســلمين ثم يشق عليهم ويجور، فقال ﷺ: **«اللهم مَن وَلِيَ من أمر أمتي شيئًا فشقَّ عليهم فاشقُق عليه، ومَن وَلِيَ من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به»**[1].

وقال ﷺ: **«ما من عبد يسترعيه الله رعيــة يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته إلا حرَّم الله عليه الجنة»**[2]. ويحصل ذلك بظلمه لهم بأخذ أموالهم أو سفك دمائهم أو انتهــاك أعراضهم وحبس حقوقهم وترك تعريفهم ما يجب عليهم في أمر دينهم ودنياهــم، وبإهمال إقامة الحدود فيهم وردع المفســدين منهم وترك حمايتهم ونحو ذلــك. فالله تعالى إنما ولاه على عباده ليديم لهم النصيحة لا ليغشــهم حتى يموت على ذلك، فلما قلب القضية استحق أن يعاقب. ومعنى **«حرَّم الله عليه الجنة»** أي؛ أنفــذ الله تعالى عليه الوعيد ولم يرض عنه المظلومين. وقال ﷺ: **«ما من أمير يلي أمــر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصــح إلا لم يدخل معهم الجنــة»**[3]. وهذا وعيد شديد على أئمة الجور؛ فمن ضيَّع من استرعاه الله تعالى أو خانهم أو ظلمهم فقد توجه إليه الطلب بمظالم العباد (يوم القيامة) فكيف يقدر على التحلل من ظلم أمة عظيمة؟!

قال القاضي عياض رحمه الله: معناه بيِّن في التحذير من غش المســلمين لمن قلده الله تعالى شــيئًا من أمرهم واســترعاه عليهم ونصبه لمصلحتهم في دينهم أو دنياهــم، فإذا خان فيما اؤتمــن عليه فلم ينصح فيما قلده إمــا بتضييعه تعريفهم مــا يلزمهم من دينهم وأخذهم به، وإما بالقيام بما يتعين عليه من حفظ شــرائعهم والذبِّ عنها لكل متصد لإدخال داخلة فيها أو تحريف لمعانيها، أو إهمال حدودهم، أو تضييع حقوقهم، أو ترك حماية حوزتهم ومجاهدة عدوهم، أو ترك ســيرة العدل فيهم فقد غشهم، وقد نبَّه ﷺ على أن ذلك من الكبائر الموبقة المبعدة عن الجنة.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب: فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب: فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب: فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق.

وقد قال رسول الله ﷺ: **«ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته»**[1]. وقد بشَّر النبي ﷺ بسوء عاقبة الذين يظلمون في حكمهم فقال ﷺ: **«إن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشده عذابًا إمام جائر»**[2].

يبغض الله الغني الظلوم

قال رسول الله ﷺ: **«والثلاثة الذين يبغضهم الله: الشيخ الزاني والفقير المختال والغني الظلوم»**[3].

الغني الظلوم: الغني الظلوم هو الذي أنعم الله عليه بالمال الكثير وجعله غنيًا فأبى إلا الظلم.

فهو يظلم نفسه بامتناعه عن دفع الزكاة المتوجبة عليه للفقراء عاصيًا أمر الله تعالى بأداء الزكاة، وذلك بخلاً وشحًا وطمعًا، ففي مثله يقول الله تعالى: **﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾**[4]. فهذا الذي يجمع الأموال ويكنزها ولا يؤدي زكاتها يُعذب بها، وهذا في غاية العدل، فإن من أحب شيئًا وقدمه على طاعة الله عذب به، قال رسول الله ﷺ: **«ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»**[5]، وقال ﷺ: **«هم الأخسرون ورب الكعبة»** فقلت: يا رسول الله فداك أبي وأمي مَن هم؟ قال: **«هم**

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب: فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق.

(٢) مسند أحمد، رقم: ١١١١٧، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن.

(٣) مسند أحمد، رقم: ٢١٤٢٢، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٤) سورة التوبة، الآيتان: ٣٤-٣٥.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة.

الأكثرون أموالاً إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا (من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شـــماله) **وقليل ما هم ، ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسـمنه تنطحه بقرونها، وتطؤه بأظلافها، كلما نفدت أُخراها عادت عليه أُولاها حتى يُقضى بين الناس»**[1].

وفـــي الوقت الذي يمتنع فيه عن دفع الزكاة تـــراه يلهث في الليل والنهار في جمع المال وتكديسه وكنزه في البيوت والمصارف، ولا يهمه إن أتى من طرق حلال أم حرام، ولا يتردد في التعامل بالربا لمزيد من تكديس الأموال وكنزها، فلا يشعر أبدًا بالاكتفاء، ولا يقتنع أبدًا بما لديه من الأموال الكثيرة، بل كلما جمع مالاً طمع في غيره، قال رســـول الله ﷺ: **«لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثًا، ولا يمـلأ جـوف ابـن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»**[2]، وكلما كبر في الســـن ازداد حبـــه للمال كما قال ﷺ: **«يكبر ابن آدم ويكبـر معه اثنتان: حب المال، وطول العمر»**[3].

وهـــو يظلم الناس بمطله؛ فإذا اســـتقرض مالاً من أحد واســـتحق عليه أداؤه ماطله الأيام تلو الأيام فلا يؤدي ما عليه من دَين إلا بعد جهد جهيد، وقد قال النبي ﷺ: **«مطـل الغنـي ظلم»**[4]، وأصـــل المطل المد، وقيل: المطـــل المدافعة، والمراد هنا تأخير ما استحق أداؤه بغير عذر.

وهـــو يظلم موظفيه أو خدمه أو من يعملون لـــه بعض الأعمال بتأخيره إعطاء أجورهـــم فلا يدفعها لهم عند اســـتحقاقها ، مع أن رســـول الله ﷺ يقول: **«أعطوا الأجيـر أجـره، قبـل أن يجف عرقه»**[5]، هذا إذا لم يـــأكل حقوقهم فلا يدفع لهم أي شـــيء، فمثل هذا الرجل سيكون الله خصمه يوم القيامة كما أخبر رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب: تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: ما يُتقى من فتنة المال.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الاستقراض، باب: مطل الغني ظلم.

(٥) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ١٩٨٠.

«قال الله: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرًا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعطه أجره»[1].

وهو يظلم نفسه بتكبره وترفعه عن مخاطبة الفقراء أو حتى السلام عليهم، فإذا هم بدءوه السلام لم يرد عليهم أو خرج الرد منه همسًا لا يُسمع منه سوى حرف أو حرفان، وهو يحتقرهم ويتعالى عليهم حتى أنه يمتنع عن حضور صلاة الجماعة معللاً بأنه سيقف عن يمينه وشماله عمال من هنا وهناك من البلدان الفقيرة، وما علم ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾[2].

وهو يظلم نفسه وأقاربه بقطيعة الرحم فيقطع ما أمر الله به أن يوصل، فلا يصل قرابته؛ لأنه يرى أنهم فقراء وليسوا بمستواه الاجتماعي والمالي، وإن قاموا هم بوصله يظن بهم السوء ويعتقد أنهم يطمعون في ماله وإلا لما زاروه أو سألوا عنه، فلا يكفيه أن الله يبغضه لأنه غني ظلوم فيضيف إلى أعماله البغيضة عملاً بغيضًا آخر بل أبغض الأعمال إلى الله بعد الشرك به وهو قطيعة الرحم؛ حيث إن رسول الله ﷺ قال: **«أبغض الأعمال إلى الله الإشراك بالله، ثم قطيعة الرحم»**[3].

وهو يظلم نفسه بارتكابه المعاصي بأمواله التي رزقه الله إياها؛ فبدلاً من أن يكون شاكرًا لله على ما أنعم الله عليه من النعم الكثيرة فيطيع الله فيما أمر به من الصلاة والزكاة والصيام والحج، ويعطف على الفقراء ويتصدق عليهم، فيكون بذلك شاكرًا لله فيزيده الله من فضله كما قال تعالى: ﴿ **لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ** ﴾[4]؛ تجده يستخدم هذه الأموال في ارتكاب المعاصي المختلفة، وربما سافر إلى بلدان الكفر لارتكاب الزنا وشرب الخمر وغير ذلك من الفواحش والآثام التي حرمها الله تعالى؛ فهو لا يعمل بالنصف الأول من الآية السابقة فيشكر الله حتى يزيده، بل يعمل بالنصف الثاني من الآية نفسها ﴿ **وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** ﴾ حتى يعذبه الله العذاب الشديد إما في الآخرة وإما في الدنيا والآخرة جميعًا.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب: إثم من باع حرًا.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٦٦.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

يكره الله لقاء من يكره لقاءه

قال رسول الله ﷺ: «من كره لقاء الله كره الله لقاءه»[1]. وقال ﷺ: «قال الله: إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه، وإذا كره لقائي كرهت لقاءه»[2].

كره لقاء الله: فسَّر رسول الله ﷺ مَن كره لقاء الله كره الله لقاءه عندما سألته عائشة رضي الله عنها فقالت: يا نبي الله أكراهية الموت فكلنا نكره الموت، فقال ﷺ: «**ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّرَ برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه. وإن الكافر إذا حُضِرَ بُشِّرَ بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله وكره الله لقاءه**»[3].

وجاء شريح بن هانئ إلى عائشة رضي الله عنها فقال: يا أم المؤمنين! سمعت أبا هريرة يذكر عن رسول الله ﷺ حديثًا إن كان كذلك فقد هلكنا، فقالت: إن الهالك مَن هلك بقول رسول الله ﷺ وما ذاك؟ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومَن كره لقاء الله كره الله لقاءه**». وليس منا أحد إلا وهو يكره الموت. فقالت: قد قاله رسول الله ﷺ وليس بالذي تذهب إليه، ولكن إذا شخص البصر، وحشرج الصدر، واقشعر الجلد، وتشنجت الأصابع فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومَن كره لقاء الله كره الله لقاءه[4].

فالكراهة المعتبرة هي التي تكون عند النزع في حالة لا تقبل توبته ولا غيرها فحينئذ يبشر كل إنسان بما هو صائر إليه وما أعد له ويُكشف له عن ذلك، فأهل السعادة يحبون الموت ولقاء الله لينتقلوا إلى ما أعد لهم ويحب الله لقاءهم، ويجزل

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿يريدون أن يبدِّلوا كلام الله﴾.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الذكر، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

لهم العطاء والكرامة، وأهل الشقاوة يكرهون لقاءه لما علموا من سوء ما ينتقلون إليه ويكره الله لقاءهم، ويبعدهم عن رحمته وكرامته[1].

واللقاء يقع على أوجه[2]: منها المعاينة، ومنها البعث كقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَـاءِ اللَّهِ ﴾[3]، منها الموت كقوله: ﴿ مَن كَانَ يَرْجُو لِقَـاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ ﴾[4] وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِـرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ﴾[5]. قيل: المراد بلقاء الله هنا المصير إلى الدار الآخرة وطلب ما عند الله، وليس الغرض به الموت؛ لأن كلا يكرهه، فمـن آثـر الدنيا وركن إليها كره لقاء الله؛ لأنه إنما يصـل إليه بالموت. وقيل: ليس وجهه كراهة الموت وشـدته؛ لأن هذا لا يكاد يخلو عنه أحد، ولكن المذموم من ذلك إيثار الدنيا والركون إليها وكراهية أن يصير إلى الله والدار الآخرة. ومما يبين ذلك أن الله تعالى عاب قومًا بحب الحياة فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[6].



(١) النووي: شرح صحيح مسلم ١٧/١٠.

(٢) العسقلاني: فتح الباري ١١/٣٥٩-٣٦٠.

(٣) سورة يونس، الآية: ٤٥.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٥.

(٥) سورة الجمعة، الآية: ٨.

(٦) سورة يونس، الآيتان: ٧-٨.



ما يحب الله وما يبغض من الأمور

ما يحب الله من الأمور

يحب الله معالي الأمور وأشرافها

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يحب معالي الأمور، وأشرافها**»[1].

معالي الأمور وأشرافها: يأتي في مقدمة معالي الأمور وأشرافها: الأمور الدينية؛ وهي كل أمر أَمَرَ الله به في كتابه أو على لسان رسوله محمد ﷺ، ومن ذلك: أركان الإسلام الخمسة؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، الصلاة، الزكاة، صوم رمضان، الحج. ومنها النوافل: السنن القبلية والبعدية وقيام الليل وصلاة الضحى وغيرها. وذكر الله والصدقة.

وكذلك الأخلاق الشرعية والخصال الدينية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وآداب المعاملة بين الناس، وآداب اللسان، قال الله تعالى: ﴿**لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ**﴾[2].

فمن اتصف من عبيده بالأخلاق الزكية أحبه. وشرف النفس صونها عن الرذائل والدنايا والمطامع القاطعة لأعناق الرجال فيربأ بنفسه أن يلقيها في ذلك. إن العبد إنما يكون في صفات الإنسانية التي فارق بها غيره من الحيوان والنبات والجماد بارتقائه عن صفاتها إلى معالي الأمور وأشرافها التي هي صفات الملائكة، فحينئذ ترفع همته إلى العالم الرضواني وتتساق إلى الملإ الروحاني. قال بعض الحكماء: بالهمم العالية والقرائح الزكية تصفو القلوب إلى نسيم العقل الروحاني وترقى في ملكوت الضياء والقدرة الخفية عن الأبصار المحيطة بالأنظار وترتع في رياض الألباب المصفاة من الأدناس، وبالأفكار تصفو كدر الأخلاق المحيطة بأقطار

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٩٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٤.

الهياكل الجسـمانية فعند الصفو ومفارقة الكـدر تعيش الأرواح التي لا يصل إليها انحلال ولا اضمحلال[1].

والإنسان يضارع الملك بقوة الفكر والتمييز؛ فمن صرف همته إلى اكتساب معالي الأخلاق وأشرافها أحبه الله تعالى فحقيق أن يلتحق بالملائكة لطهارة أخلاقه.

يحب الله معالي الأخلاق

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب معالي الأخلاق**»[2].

معالـي الأخـلاق: قال الله تعالى عن رسـوله «محمد ﷺ: ﴿**وَإِنَّـكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[3]. وقال ﷺ: «**إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[4].

إن أحسـن الأخـلاق ومعاليها من كمال الإيمان، قـال المصطفى عليه الصلاة والسـلام: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا**»[5]، وقد ذكـر الله تعالى في كتابه صفـات المؤمنين التي هي من معالـي الأخلاق، ومنها: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**﴾[6].

﴿**التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ**﴾[7].

---

(١) المناوي: فيض القدير ٢/٢٩٥-٢٩٦.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٨٩.

(٣) سورة القلم، الآية: ٤.

(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم: ٤٥.

(٥) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٩١٦.

(٦) سورة المؤمنون، الآيات: ١-٩.

(٧) سورة التوبة، الآية: ١١٢.

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾[1].

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[2].

وكذلك وصف رسول الله ﷺ المؤمن بصفات كثيرة وأشار بجميعها إلى محاسن الأخلاق ومعاليها، ومنها: أن المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويصل رحمه، ويكرم ضيفه، وإما يقول خيرًا وإما يسكت، ويعرض عن الجاهلين، ويصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، ولا يؤذي جاره، ولا يروع مسلمًا، ولا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، ولا يكشف سر أخيه، ولا يكون فاحشًا ولا متفحشًا، ولا طعانًا ولا لعانًا، ولا نمامًا، ولا مغتابًا..

ومن معالي الأخلاق: الصبر، وكظم الغيظ، وكف الأذى، والحلم والأناة والرفق، والعفة، والحياء، والشجاعة، وعزة النفس، والبذل والندى، والعدل، والجود والسخاء.

---

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٢-٤.

(٢) سورة الفرقان، الآيات: ٦٣-٧٤.

يحب الله العفو

قال رسول الله ﷺ: «إن الله عفو يحب العفو»[1] .

قال الله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾[4].

العفو[5]: إن معنى العفو أن يستحق حقًا فيسقطه ويبري عنه من قصاص أو غرامة، والعفو: ترك المؤاخذة بالذنب، والصفح: إزالة أثره في النفس. و(العفو) اسم من أسماء الله الحسنى.

مدح الله تعالى الذين يغفرون عند الغضب وأثنى عليهم فقال: ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾[6]، وأثنى على الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، وأخبر أنه يحبهم بإحسانهم في ذلك. وقال تعالى: ﴿ إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾[7]، فندب الله -عزَّ وجلَّ- إلى العفو ورغَّب فيه.. وأن العفو مما يقرب العبد عند الله ويجزل ثوابه لديه. والعفو من صفة الله تعالى وهو يعفو عن عباده مع قدرته على عقابهم. وقال تعالى: ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[8]، فالجزاء من جنس العمل، فكما تغفر ذنب من أذنب إليك يغفر الله لك، وكما تصفح يصفح عنك.

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٧٧٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٣٧.

(٥) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤/١٣٤، ٦/٥، ١٦/٢٤-٢٧، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٦/١٤١-١٤٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٥٨٥، ٣/٢٨٦، وعون المعبود للعظيم آبادي ١٣/٩٥، وتحفة الأحوذي للمباركفوري ٦/١٤٠.

(٦) سورة الشورى، الآية: ٣٧.

(٧) سورة النساء، الآية: ١٤٩.

(٨) سورة النور، الآية: ٢٢.

وحث رسول الله ﷺ على كظم الغيظ والعفو عن الناس وملك النفس عند الغضب وذلك من أعظم العبادة وجهاد النفس؛ فقال ﷺ: «**ليس الشديد بالصُرَعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[1]. وقال ﷺ: «**ما من جرعة أعظم أجرًا عند الله، من جرعة غيظ، كظمها عبد ابتغاء وجه الله**»[2]. وقال عليه الصلاة والسلام: «**من كظم غيظًا، وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله عزَّ وجلَّ على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيِّره الله من الحور ما شاء**»[3]. أي؛ شهره بين الناس وأثنى عليه وتباهى به، حتى يجعله مخيرًا في أخذ أي الحور العين، وهو كناية عن إدخاله الجنة المنيعة وإيصاله الدرجة الرفيعة. فكظم الغيظ قهر للنفس الأمارة بالسوء ومن نهى نفسه عن هواها فإن الجنة مأواه والحور العين جزاه؛ وهذا الثناء الجميل والجزاء الجزيل إذا ترتب على مجرد كظم الغيظ فكيف إذا انضم العفو إليه أو زاد بالإحسان عليه.

قال المصطفى ﷺ: «**ما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا**»[4]. فيه وجهان: أحدهما أنه على ظاهره وأن من عرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب وزاد عزه وإكرامه، والثاني أن المراد أجره في الآخرة وعزه هناك... وقد يكون المراد الوجهين معًا في جميعها في الدنيا والآخرة.

فصاحب العفو يتجاوز ويحلم عمن ظلمه، ويكظم غيظه ويسكت عليه ولا يظهره مع قدرته على إيقاعه بعدوه، ويشفق على ظالمه، ويصفح لمن جهل عليه، يطلب بذلك ثواب الله تعالى وعفوه. قال تعالى: ﴿**فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**﴾[5] قال ابن عباس: من ترك القصاص وأصلح بينه وبين الظالم بالعفو ﴿**فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**﴾ أي؛ أن الله يأجره على ذلك وهذا من محاسن الأخلاق، ومن أجلِّ ضروب فعل الخير.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: الحذر من الغضب.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٣٣٧٧.

(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٩٩٧.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع.

(٥) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

يحب الله الرفق

قال رسـول الله ﷺ: «**إن الله يحب الرفق في الأمر كله**»[1]. وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه**»[2].

الرفـق[3]: فـي هذه الأحاديث فضل الرفق والحـث على التخلق به وذم العنف، والرفق سبب كل خير، و«**من يُحرَم الرفق يُحرَم الخير**»[4]. وقوله «**إن الله رفيق**» أي: لطيف بعباده يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر، فلا يكلفهم فوق طاقتهم «**ويعطي على الرفق**» أي؛ يثيب عليه ما لا يثيب على غيره. ويعطي عليه في الدنيا من الثناء الجميل ونيل المطالب وتسهيل المقاصد، وفي الآخرة من الثواب الجزيل ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه.

والرفـق محمود ويضاده العنـف والحدة، والرفق واللين نتيجة حسـن الخلق والسلامة، فالرفق في الأمور ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق. وقيل: الرفق أن تضع الأمور في مواضعها: الشدة في موضعها، واللين في موضعه، والسيف في موضعه، والسـوط في موضعه؛ وهذه إشـارة إلى أنه لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق. فالمحمود وسـط بين العنف واللين كما في سـائر الأخلاق، ولكن لما كانت الطباع إلى العنف والحـدة أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر؛ فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف، وإن كان العنف في محله حسناً كما أن الرفق في محله حسـن، فإذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى وهو ألذ من الزبد بالشهد وهكذا. قيل: ما تكلم الناس بكلمة صعبة إلا وإلى جانبها كلمة ألين منها تجري مجراها.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: الرفق في الأمر كله.

(٢) أخرج مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق.

(٣) راجع: إحياء علوم الدين للغزالي ٣/١٨٤-١٨٦، وشـرح صحيح مسـلم للنووي ١٦/١٤٥، وعون المعبود للعظيم آبادي ١٣/١١٢.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق.

فالرفق محمود ومفيد في أكثر الأحوال وأغلب الأمور، والحاجة إلى العنف قد تقع ولكن على الندور، وإنما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطي كل أمر حقه، فإن كان قاصر البصيرة أو أشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميلــه إلى الرفق فإن النجاح معه في الأكثــر. فقد قال المصطفى ﷺ: **«إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزَعُ من شيء إلا شانه»**[1].



يحب الله المدح

قال رسول الله ﷺ: **«ليس أحد أحب إليه المدح من الله عزَّ وجلَّ، من أجل ذلك مدح نفسه»**[2].

مَـدْح الله[3]: مدح الله - سبحانه وتعالى - هو الثناء بذكـر أوصاف الكمال والأفضال.. وقد أثنى الله سبحانه بالحمد على نفسه، وافتتح كتابه بحمده فقال تعالى: ﴿**الْحَمْـدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[4]، قيل: لما علم سـبحانه عجـز عباده عن حمده، حَمِد نفسه بنفســه لنفسه في الأزل؛ فاستفراغ طَوْق عباده هو محمل العجز عن حمده. ألا ترى سـيد المرسـلين كيف أظهر العجز بقوله: **«لا أحصي ثناء عليـك أنت كما أثنيـت علـى نفسـك»**[5] معناه لا أحصي نعمتك وإحسـانك والثنـاء بها عليك وإن اجتهدت في الثناء عليك.

وقوله ﷺ **«أنت كما أثنيت على نفسك»** اعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء وأنه لا يقدر على بلوغ حقيقته، ورد للثناء إلى الجملة دون التفصيل والإحصار والتعيين، فوكل ذلك إلى الله - سبحانه وتعالى - المحيط بكل شيء جملة وتفصيلاً، وكما أنه

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب: غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش.

(٣) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩٥/١، وشرح صحيح مسلم للنووي ٢٠٤/٤، ٧٧/١٧، وفتح الباري للعسقلاني ٤٠٠/١٣.

(٤) سورة الفاتحة، الآية: ٢.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود.

لا نهايــة لصفاته لا نهاية للثناء عليــه؛ لأن الثناء تابع للمثنى عليه وكل ثناء أثنى به عليه وإن كثر وطال وبولغ فيه فقدر الله أعظم، وسلطانه أعز، وصفاته أكبر وأكثر. وفضله وإحســانه أوسع وأســبغ. وقيل: حَمِد نفسه في الأزل لما علم من كثرة نعمه على عبــاده وعجزهم على القيام بواجب حمده فحَمِد نفســه عنهم؛ لتكون النعمة أهنأ لديهم، حيث أسقط به ثقل المنَّة. وقيل: إن مدحه عزَّ وجلَّ لنفسه وثناءه عليها ليعلِّم ذلك عباده، وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه؛ فكأنه قال: قولوا الحمد لله. وقيل: إن قول القائل: (الحمد لله) ثناء عليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا.

والمــراد المدح مــن عباده بطاعته وتنزيهــه عما لا يليق به والثنــاء عليه بنعمه ليجازيهم على ذلك.. وحقيقة هذا مصلحة للعباد؛ لأنهم يثنون عليه سبحانه وتعالى فيثيبهم فينتفعون، وهو ســبحانه غني عن العالمين لا ينفعه مدحهم ولا يضره تركهم ذلك. وهذا تنبيه على فضل الثناء عليه ســبحانه وتعالى وتسبيحه وتهليله وتحميده وتكبيــره وســائر الأذكار. وقد كان النبي ﷺ يذكر الله تعالــى ويثني عليه على كل أحيانه.



يحب الله العذر

قال رســول الله ﷺ: «**ليـس أحد أحب إليه العذر من اللــه، من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل**»[1].

العــذر[2]: لقد بعث الله -عزَّ وجلَّ- المرســلين للإعــذار والإنذار لخلقه قبل أخذهم بالعقوبة؛ لأنه تعالى لا يهلك أمة بعذاب إلا بعد إرســال الرســل مبشــرين ومنذرين فيبشــرون من أطاع اللــه واتبع رضوانه بالخيرات، وينــذرون من خالف أمره وكذب رســله بالعقاب والعــذاب، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّـا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب: غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش.

(٢) راجع: تفســير القرآن العظيم لابن كثير ١/٦٠٢، ٣/٣١، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦/١٤، ومدارج الســالكين لابن القيم ١/٢٠١.

رَسُولاً ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[2]، فيقولوا ما أرسلت إلينا رسولاً، وما أنزلت علينًا كتابًا.

فالله -عزَّ وجلَّ- يحب الإعذار ومن تمام عدله وإحسانه أن أعذر إلى عباده، فلا يؤاخذ ظالمهم إلا بعد كمال الإعذار، ولا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسول إليه؛ ولهذا أنزل كتبه وأرسل رسله بالبشارة والنذارة، وبيَّن ما يحبه ويرضاه، مما يكرهه ويأباه، لئلا يبقى لمعتذر عذر.

يحب الله الحلف به

قال رسول الله ﷺ: «احلفوا بالله وبرُّوا واصدقوا، فإن الله يحب أن يحلفَ به»[3].

الحلف[4]: هو القسم. يندب الله تعالى إلى الحلف باسم من أسمائه أو صفة من صفاته إذا كان الداعي للحلف مصلحة؛ لأن الحلف به مما تؤكد به العهود وتشد به المواثيق، وأن يبرَّ ويصدق في الحلف، فإن الله يحب أن يحلف به ويرضاه إذا كان غرض الحالف طاعة كفعل جهاد أو وعظ أو زجر عن إثم أو حث على خير، وقد حكى الله تعالى عن يعقوب عليه الصلاة والسلام أنه طلب من بنيه الحلف حين التمسوا إرسال أخيهم معهم، فهو إذن منه في ذلك ولا يأذن إلا فيما هو محبوب مطلوب.

ويستحب الحلف ولو بغير تحليف لمصلحة كتوكيد مبهم وتحقيقه ونفي المجاز عنه وقد كثرت الأخبار الصحاح في حلف المصطفى ﷺ في هذا النوع لهذا الغرض؛

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٢١١.

(٤) راجع: فيض القدير للمناوي ١/٢٠٠، وشرح صحيح مسلم للنووي ١١/١٠٥، وعون المعبود للعظيم آبادي ٩/٥٦، وفتح الباري للعسقلاني ١١/٥٣١.

فعن عبد الله قال: «**أكثر ما كان النبي ﷺ يحلف: لا ومقلب القلوب**»[1]، وعن رفاعة الجهني؛ قال: كان النبي ﷺ إذا حلف قال: «**والذي نفس محمد بيده**»[2].

أمـــا الحلف بغير الله فهو مذموم ومنهي عنه؛ وقد ابتدع الناس في هذا الباب في إســـلامهم جاهلية جديدة وذلك أن الواحد لو أقســـم بأســـماء الله تعالى كلها وصفاته على شيء لم يقبل منه حتى يقسم بحاكم بلاده أو بشيخه أو بأبيه أو بأمه أو بحياته أو بشرفه أو بشاربه...! وذلك عندهم جهد اليمين التي ليس وراءه حلف لحالـــف. وقد قال النبي ﷺ: «**ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفًا فليحلف بالله، أو ليصمت**»[3].. وســـمع ابن عمر رجلاً يقول: لا والكعبة، فقال ابن عمر: لا يحلف بغير الله، فإني ســـمعت رســـول الله ﷺ يقول: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»[4]؛ قال النووي: يكره الحلف بغير أسماء الله تعالى وصفاته سواء في ذلك النبي ﷺ والكعبة والملائكة والأمانة والحياة والروح وغيرها ومن أشـــدها كراهة الحلف بالأمانة... قال العلماء: الحكمة في النهي عن الحلف بغير الله تعالى أن الحلـــف يقتضـــي تعظيم المحلوف به، وحقيقة العظمـــة مختصة بالله تعالى فلا يضاهى به غيره. وظاهره تخصيص الحلف بالله خاصة، لكن قد اتفق الفقهاء على أن اليمين تنعقد بالله وذاته وصفاته العلية.

وعلـــى الحالـــف أن يبر ويصدق في حلفه كما أمر رســـول الله ﷺ: «**من حلف بالله فليَصْدُق**»[5]، «**لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم، ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا إلا وأنتم صادقون**»[6]، فإن لم يصدق في حلفه لقي الله وهو عليه غضبان كما أخبر النبي ﷺ: «**من حلف على يمين يستحق بها مالاً وهو فيها فاجر**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: مقلب القلوب.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ١٧٠٠.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب: لا تحلفوا بآبائكم.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٢٤١.

(٥) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ١٧٠٨.

(٦) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٢٧٨٤.

لقي الله وهو عليه غضبان»[1]؛ وقد توعد الله تعالى من يفعل ذلك بالعذاب الأليم فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2].

يحب الله الحلم والأناة

قال رسول الله ﷺ: «إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة»[3].

الحلم: الحلم هو صحة العقل واستيلائه، وجودة النظر للعواقب، وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل.. والحليم: الكثير الحلم، وهو الذي يصفح عن الذنوب ويصبر على الأذى. وقيل: الذي لم يعاقب أحدًا قط إلا في الله ولم ينتصر لأحد إلا لله. و(الحليم) اسم من أسماء الله الحسنى.

والحلم من أشرف الأخلاق وأحقها بذوي الألباب لما فيه من سلامة العرض وراحة الجسد واجتلاب الحمد.. وحدّ الحلم ضبط النفس عند هيجان الغضب، وهذا يكون عن باعث وسبب. وأسباب الحلم الباعثة على ضبط النفس عشرة: **أحدها**: الرحمة للجهال، وذلك من خير يوافق رقة. وقد قيل في منثور الحكم: من أوكد أسباب الحلم رحمة الجهال. **والثاني**: من أسباب القدرة على الانتصار، وذلك من سعة الصدر وحسن الثقة. **والثالث**: من أسبابه الترفع عن السباب، وذلك من شرف النفس وعلو الهمة. **والرابع**: من أسبابه الاستهانة بالمسيء، وذلك عن ضرب من الكبر والإعجاب كما حكي أن رجلاً أكثر من سب الأحنف وهو لا يجيبه فقال: والله ما منعه من جوابي إلا هواني عليه، وفي مثله يقول الشاعر:

إذا نطق السفيه فلا تجبه ... فخير من إجابته السكوت

سكتُّ عن السفيه فظنَّ أني ... عييت عن الجواب وما عييت

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرهن، باب: إذا اختلف الراهن والمرتهن ونحوه.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٧.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ.

والخامس: من أسبابه الاستحياء من جزاء الجواب، وهذا يكون من صيانة النفس وكمال المروءة. **والسادس:** من أسبابه التفضل على السَّبَّاب، فهذا يكون من الكرم وحب التألف. **والسابع:** من أسبابه استنكاف السباب وقطع السباب، وهذا يكون من الحزم. **والثامن:** من أسبابه الخوف من العقوبة على الجواب، وهذا يكون من ضعف النفس وربما أوجبه الرأي واقتضاه الحزم. **والتاسع:** من أسبابه الرعاية ليد سالفة وحرمة لازمة، وهذا يكون من الوفاء وحسن العهد. **والعاشر:** من أسبابه المكر وتوقع الفرص الخفية، وهذا يكون من الدهاء. فهذه عشرة أسباب تدعو إلى الحلم، وبعض الأسباب أفضل من بعض وليس إذا كان بعض أسبابه مفضولاً ما يقتضي أن تكون نتيجته من الحلم مذمومة، وإنما الأولى بالإنسان أن يدعوه للحلم أفضل أسبابه وإن كان الحلم كله فضلاً[1].

الأناة[2]: الأناة هي التؤدة، والتأني، والتثبت، وترك العجلة، والنظر في المصالح، قال رسول الله ﷺ: **«التؤدة في كل شيء خير، إلا في عمل الآخرة»**[3]، أي؛ التأني في كل شيء من الأعمال خير مستحسن محمود إلا في عمل الآخرة فإنه غير محمود فيه بل الحزم بذل الجهد فيه لتكثير القربات ورفع الدرجات؛ لأن في تأخير الخيرات آفات. وقال عليه الصلاة والسلام: **«التأني من الله، والعجلة من الشيطان»**[4]؛ العجلة من الشيطان، أي؛ هو الحامل عليها بوسوسته؛ لأن العجلة تمنع من التثبت والنظر في العواقب وذلك موقع في المعاطب، وذلك من كيد الشيطان ووسوسته. قال ابن القيم: إنما كانت العجلة من الشيطان؛ لأنها خفة وطيش وحدة في العبد تمنعه من التثبت والوقار والحلم وتوجب وضع الشيء في غير محله وتجلب الشرور وتمنع الخيور وهي متولدة بين خلقين ذميمين التفريط والاستعجال قبل الوقت. قال عمرو بن العاص: لا يزال المرء يجتني من ثمرة العجلة الندامة.

---

(١) الماوردي: أدب الدنيا والدين ٢٦١-٢٦٥.

(٢) راجع: تحفة الأحوذي للمباركفوري ٦/١٢٧-١٢٩، وعون المعبود للعظيم آبادي ١٣/١١٤، وفيض القدير للمناوي ٣/٢٧٧.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٠٠٩.

(٤) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٠١١.

ثم العجلة المذمومة ما كان في غير طاعة ومع عدم التثبت وعدم خوف الفوت. ولهذا قيل لأبي العيناء: لا تعجل فالعجلة من الشيطان، فقال: لو كان كذلك لما قال موسى: وعجلت إليك رب لترضى. والحزم ما قال بعضهم: لا تعجل عجلة الأخرق ولا تحجم إحجام الواني الفرق. قيل: ويستثنى من ذلك ما لا شبهة في خيريته، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾[1]. وهناك فرق بين المسارعة والمبادرة إلى الطاعات، وبين العجلة في نفس العبادات، فالأول محمود والثاني مذموم.

وقال ﷺ: **«السمت الحسن، والتؤدة، والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءًا من النبوة»**[2]، أي؛ أن هذه الخصال من شمائل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأنها جزء من أجزاء فضائلهم فاقتدوا بهم فيها وتابعوهم عليها... وقيل: يحتمل أن يكون معناه أن هذه الخلال مما جاءت به النبوة ودعا إليها الأنبياء. وقيل: معناه أن من جمع هذه الخصال لقيه الناس بالتوقير والتعظيم، وألبسه الله لباس التقوى الذي ألبس أنبياءه عليهم الصلاة والسلام. فكأنها جزء من النبوة.



يحب الله الحياء والستر

قال رسول الله ﷺ: **«إن الله عزَّ وجلَّ حَيي ستِّير يحب الحياء والستر»**[3].

قال رسول الله ﷺ: **«الإيمان بضع وسبعون شعبة؛ والحياء شعبة من الإيمان»**[4]. وقد **«كان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها»**[5].

الحياء[6]: الحياء في اللغة من الحياة. واستحيا الرجل من قوة الحياة فيه لشدة علمه

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦٣٥.

(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٣٨٧.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: الحياء.

(٦) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي ٥/٢، وفتح الباري للعسقلاني ٥٢/١، ٥٢٣/١٠، وأدب الدنيا والدين للماوردي ٢٥٨-٢٦٠، ومدارج السالكين لابن القيم ٢٤٨/٢، وتحفة الأحوذي للمباركفوري ٩٣/٦.

بمواقع الغيب، فالحياء من قوة الحس ولطفه وقوة الحياة. وعلى حسب حياة القلب يكون فيه قوة خُلُق الحياء. وقلة الحياء من موت القلب والروح. فكلما كان القلب أحيى كان الحياء أتم. والحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به، وقد يطلق على مجرد ترك الشيء بسبب، والترك إنما هو من لوازمه. وفي الشرع: خلق يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق. وقيل: الحياء رؤية النعم ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء. وإنما جعل الحياء من الإيمان وإن كان غريزة؛ لأنه قد يكون تخلقًا واكتسابًا كسائر أعمال البر، وقد يكون غريزة ولكن استعماله على قانون الشرع يحتاج إلى اكتساب ونية وعلم فهو من الإيمان بهذا، ولكونه باعثًا على أفعال البر ومانعًا من المعاصي.

والحياء في الإنسان قد يكون من ثلاثة أوجه: أحدها حياؤه من الله تعالى، والثاني حياؤه من الناس، والثالث حياؤه من نفسه. فأما حياؤه من الله تعالى فيكون بامتثال أوامره والكف عن زواجره، وقد قال النبي ﷺ: **«استحيوا من الله تعالى حق الحياء، مَن استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبِلا، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء»**[1].. وهذا الحياء يكون من قوة الدين وصحة اليقين.

وأما حياؤه من الناس فيكون بكف الأذى وترك المجاهرة بالقبيح.. وهذا النوع من الحياء قد يكون من كمال المروءة وحب الثناء.. وأما حياؤه من نفسه فيكون بالعفة وصيانة الخلوات.. وهذا النوع من الحياء قد يكون من فضيلة النفس وحسن السريرة؛ فمتى كمل حياء الإنسان من وجوهه الثلاثة فقد كملت فيه أسباب الخير وانتفت عنه أسباب الشر وصار بالفضل مشهورًا وبالجميل مذكورًا.. وإن أخل بأحد وجوه الحياء لحقه من النقص بإخلاله بقدر ما كان يلحقه من الفضل بكماله.

قال المصطفى ﷺ: **«الحياء لا يأتي إلا بخير»**[2]، وقال ﷺ: **«الحياء خير**

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٩٣٥.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: الحياء شعبة من الإيمان.

كله»[1]. يحتمل أن يكون أشــير إلى أن من كان الحياء من خلقه أن الخير يكون فيه أغلب فيضمحل ما لعله يقع منه مما ذكر في جنب ما يحصل له بالحياء من الخير، أو لكونه إذا صار عادة وتخلق به صاحبه يكون ســببًا لجلب الخير إليه فيكون منه الخير بالذات والســبب. وقد قــال النبي ﷺ: **«إذا لم تســتح فاصنع ما شــئت»**[2]. فالحكمــة فــي التعبير بلفظ الأمر دون الخبر في الحديث أن الذي يكف الإنســان عن مواقعة الشــر هو الحياء فإذا تركه صار كالمأمور طبعًا بارتكاب كل شر.. وقيل: هو أمر تهديد معناه؛ إذا نزع منك الحياء فافعل ما شــئت فإن الله مجازيك عليه، وفيه إشارة إلى تعظيم أمر الحياء. وقيل: هو أمر بمعنى الخبر، أي؛ من لا يستحي يصنع ما أراد.

قال رســول الله ﷺ: **«ما كان الحياء في شيء إلا زانه»**[3]، فقوله **«في شيء»** فيه مبالغة، أي؛ لو قدر أن يكون الحياء في جماد لزانه فكيف بالإنسان؟

الســتر: قال الله تعالى: **﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًــا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾**[4].

أمر الله -عزَّ وجلَّ- بني آدم بتغطية العورات وســتر الأجسام؛ لأنه يحب الستر ويبغض التعري، وكذلك أمر رســوله ﷺ بالســتر والاعتناء بحفظ العورة ونهى عن التعري، فقال ﷺ: **«لا تمشــوا عراة»**[5]، وقال ﷺ: **«إذا اغتســل أحدكم فليســتتر»**[6]، وقال ﷺ: **«احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك»** قلت: يا رســول الله! إذا كان القــوم بعضهم في بعض؟ قال: **«إن اســتطعت أن لا يرينها أحد فلا يرينها»** قلــت: يا رســول الله! إذا كان أحدنا خاليًــا، قال: **«الله أحــق أن يُسْــتَحْيا منه من**

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: الحياء شعبة من الإيمان.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: إذا لم تستح فاصنع ما شئت.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦٠٧.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٦.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الحيض، باب: الاعتناء بحفظ العورة.

(٦) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٣٨٧.

الناس»[1]، قال السندي: «أي؛ فاستر طاعة له وطلبًا لما يحبه منك ويرضيه، وليس المراد فاستر منه إذ لا يمكن الاستتار منه تعالى»[2]، وقال عليه الصلاة والسلام: **«أما علمت أن الفخذ عورة»**[3].

وقال ﷺ: **«ما من امرأة تخلع ثيابها في غير بيتها إلا هتكت ما بينها وبين الله تعالى»**[4]. لأن المرأة مأمورة بالتستر والتحفظ من أن يراها أجنبي ولا يجوز لها أن تكشف عورتها إلا عند زوجها، فإذا لم تتق الله تعالى وخلعت ثيابها الساترة لها في غير بيت زوجها وكشفت أعضاءها فقد هتكت الستر الذي أمرها الله تعالى به، وهتكت حجاب الحياة وجلباب الأدب.

فالله -عزَّ وجلَّ- (حَيِيٌّ) كثير الحياء فلا يرد من سأله، (سِتِّير) تارك لحب القبائح ساتر للعيوب والفضائح؛ من شأنه وإرادته حب الستر والصون. يحب الحياء والستر من العبد ليكون متخلقًا بأخلاقه تعالى، فهو تعريض للعباد وحث لهم على تحري الحياء والستر وعدم التعري[5].



يحب الله الجمال

قال رسول الله ﷺ: **«إن الله جميل يحب الجمال»**[6].

إن الله جميل[7]: قيل إن معناه أن كل أمره سبحانه وتعالى حسن جميل وله الأسماء الحسنى وصفات الجمال والكمال، وقيل: جميل بمعنى مجمل ككريم وسميع بمعنى مكرم ومسمع. وقيل: معناه جليل. وقيل إنه بمعنى ذي النور والبهجة،

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٣٩١.

(٢) عون المعبود، ٣٩/١١.

(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٣٨٩.

(٤) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٣٨٦.

(٥) راجع: عون المعبود ٣٢/١١، ٣٤، وحاشية السندي، شرح سنن النسائي ٢١٨/١.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: تحريم الكبر.

(٧) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي ٩٠/٢، والفوائد لابن القيم ٢٣٥.

أي؛ مالكهما، وقيل: معناه جميل الأفعال بكم باللطف والنظر إليكم يكلفكم اليسير من العمل ويعين عليه ويثيب عليه الجزيل ويشكر عليه.

ولو فرضت الخلق كلهم على أجملهم صورة وكلهم على تلك الصورة، ونسبتَ جمالهم الظاهر والباطن إلى جمال الرب سبحانه لكان أقل من نسبة سراج ضعيف إلى قرص الشمس، ويكفي في جماله أنه لو كشف الحجاب عن وجهه لأحرقت سبحاته ما انتهى إليه بصره من خلقه، ويكفي في جماله أن كل جمال ظاهر وباطن في الدنيا والآخرة فمن آثار صنعته، فما الظن بمن صدر عنه هذا الجمال؟!.

الجمال[1]: الجمال يدخل فيه الجمال من كل شيء: جمال الباطن الأخلاق الحسنة والصفات الحميدة، وجمال الظاهر الثياب والهيئة والوجه البشوش والكلام والصوت الحسن والأفعال الحسنة... كما قال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**»[2]، فهو سبحانه يحب ظهور أثر نعمته على عبده، فإنه من الجمال الذي يحبه، وذلك من شكره على نعمه وهو جمال باطن، فيحب أن يرى على عبده الجمال الظاهر بالنعمة، والجمال الباطن بالشكر عليها.

والجمال في الصورة واللباس والهيئة ثلاثة أنواع: منه ما يحمد، ومنه ما يذم، ومنه ما لا يتعلق به مدح ولا ذم. فالمحمود منه ما كان لله وأعان على طاعة الله وتنفيذ أوامره والاستجابة له كما كان النبي ﷺ يتجمَّل للوفود. وهو نظير لباس آلة الحرب للقتال ولباس الحرير في الحرب والخيلاء فيه. فإن ذلك محمود إذا تضمَّن إعلاء كلمة الله ونصر دينه وغيظ عدوه. والمذموم منه ما كان للدنيا والرياسة والفخر والخيلاء والتوسل إلى الشهوات، وأن يكون هو غاية العبد وأقصى مطلبه.. وأما ما لا يحمد ولا يذم هو ما خلا عن هذين القصدين وتجرد عن الوصفين.

والمقصود أن هذا الحديث الشريف مشتمل على أصلين عظيمين: فأوله معرفة، وآخره سلوك. فيُعْرَف الله سبحانه بالجمال الذي لا يماثله فيه شيء، ويُعْبَد

---

(١) ابن القيم: الفوائد ٢٣٨-٢٤٠.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٢٦٠.

بالجمـــال الذي يحبه مـــن الأقوال والأعمال والأخلاق. فيحب مـــن عبدِه أن يجَمِّل لسانه بالصدق، وقلبه بالإخلاص والمحبة والإنابة والتوكل، وجوارحه بالطاعة، وبدنه بإظهار نعمه عليه في لباسه وتطهيره له من الأنجاس والأحداث والأوساخ والشعور المكروهـــة والختان وتقليم الأظفار، فيعرفه بصفـــات الجمال ويتعرف إليه بالأفعال والأقوال والأخلاق الجميلة، فيعرفه بالجمال الذي هو وصفه، ويعبده بالجمال الذي هو شرعه ودينه، فجمع الحديث قاعدتين: المعرفة والسلوك.



يحب الله الخُيَلاء عند القتال والصدقة[1]

قال رســـول الله ﷺ: **«إن من الخُيَلاء... ما يحب الله؛ فأما الخُيَلاء التي يحب الله فاختيال الرجل نفسه عند القتال واختياله عند الصدقة»**[2].

الخيلاء عند القتال: إن الله -عزَّ وجلَّ- يحب اختيال الرجل نفسه عند القتال ولقاء العدو لما في ذلك من الترهيب لأعداء الله والتنشيط لأوليائه. واختيال الرجل عند القتال هو الدخول في المعركة بنشاط نفس وقوة قلب وإظهار الجلادة والتبختر فيه، والاستهانة والاستخفاف بالعدو لإدخال الروع في قلبه.

الخيـلاء عنـد الصدقة: ويحب الله ســبحانه اختيال الرجل عند الصدقة فإنه ربما كان من أسباب الاستكثار منها والرغوب فيها. واختيال الرجل في الصدقة هو أن يهزه ســـجية الســـخاء فيعطيها طيبة بها نفسه من غير مَنٍّ ولا استكثار وإن كان كثيرًا ولا يبالي بما أعطى بل كلما يعطي فلا يعطيه إلا وهو مستقل له.



يحب الله إتيان الرخص

قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى يحب أن تؤتى رُخصه، كما يحب أن تؤتى عزائمه»**[3]، وقال ﷺ: **«إن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه، كما يكره أن تؤتى معصيته»**[4].

---

(١) راجع: عون المعبود للعظيم آبادي ٧/ ٢٣٠، وحاشية السندي على سنن النسائي ٥/ ٨٢.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٢٣١٦.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٨٥.

(٤) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٨٦.

الرخصة[1]: الرخصة إنما تطلق في مقابلة ما هو واجب. فمن الرخص: الفطر للمريض والمسافر، والفطر للحامل والمرضع خوفًا على ولديهما، وقصر الصلاة وجمعها في السفر، فكما يحب الله إتمام عدد ركعات الصلاة في الحضر، يحب قصرها في السفر. قال رسول الله ﷺ: **«عليكم برخصة الله التي رخَّص لكم فاقبلوها»**[2]. وقال ابن عمر: من لم يقبل رخصة الله كان عليه من الإثم مثل جبال عرفة. وهذا محمول على مَن رغب عن الرخصة لقوله ﷺ: **«من رغب عن سنتي فليس مني»**[3].

فالرخصة هي تسهيل الحكم على المكلف لعذر حصل. وقيل غير ذلك لما فيه من دفع التكبر والترفع من استباحة ما أباحته الشريعة، ومن أنف ما أباحه الشرع وترفع عنه فسد دينه فأمر بفعل الرخصة ليدفع عن نفسه كبرها ويقتل بذلك كبرها ويقهر النفس الأمارة بالسوء على قبول ما جاء به الشرع، ومفهوم محبته لإتيان الرخص أنه يكره تركه فأكد قبول رخصته تأكيدًا يكاد يلحق بالوجوب بقوله **«كما يكره أن تؤتى معصيته»**. يقول الغزالي رحمه الله إنه عليه الصلاة والسلام قال ذلك تطييبًا لقلوب الضعفاء حتى لا ينتهي بهم الضعف إلى اليأس والقنوط فيتركون الميسور من الخير عليهم بعجزهم عن منتهى الدرجات، فما أرسل رسول الله ﷺ إلا رحمة للعالمين كلهم على اختلاف أصنافهم ودرجاتهم.

إن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى مطلوباته الواجبة فإن أمر الله تعالى في الرخصة والعزيمة واحد؛ فليس الأمر بالوضوء أولى من التيمم في محله، ولا إتمام الصلاة أولى من القصر في محله، فيطلب فعل الرخص في مواضعها والعزائم كذلك فإن تعارضا في شيء واحد روعي الأفضل.

ولهذا الحديث وما أشبهه كان المصطفى ﷺ يكره مشابهة أهل الكتاب فيما عليهم من الآصار والأغلال ويزجر أصحابه عن التبتل والترهب.

---

(١) راجع: فيض القدير للمناوي ٢/٢٩٢-٢٩٧، إحياء علوم الدين للغزالي ٤/٢٧٨، وفتح الباري للعسقلاني ٤/١٨٣.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٥٤٢٩.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب: الترغيب في النكاح.

فينبغي استعمال الرخصة في مواضعها عند الحاجة لها سيما العالم يقتدى به وإذا كان من أصر على مندوب ولم يعمل بالرخصة فقد أصاب منه الشيطان فكيف بمن أصر على بدعة؟! فينبغي الأخذ بالرخصة الشرعية فإن الأخذ بالعزيمة في موضع الرخصة تنطع كمن ترك التيمم عند العجز عن استعمال الماء فيفضي به استعماله إلى حصول الضرر.



يحب الله إتقان العمل

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**»[1].

إتقان العمل: إتقان العمل هو إحكام العمل وإجادته على الوجه الأفضل، وهو مطلوب في كل عمل يقوم به الإنسان سواء أكان دينيًا أم دنيويًا؛ والله -عزَّ وجلَّ- يحب من الإنسان إذا عمل عملاً أن يتقنه، وأفضل الأعمال التي يجب على المسلم أن يتقنها ويحسنها ويخلص فيها ويخلصها من الرياء والبدعة هي العبادات: كالصلاة وأعمال الحج وحفظ القرآن وتلاوته على الوجه الصحيح وغير ذلك، ويدلنا على ذلك أن النبي ﷺ أمر رجلاً بأن يعيد صلاته ثلاث مرات بسبب عدم إتقانه للهيئات والحركات، خاصة الاطمئنان فيها؛ فقد دخل النبي ﷺ المسجد فدخل رجل فصلَّى، ثم جاء فسلَّم على النبي ﷺ فردَّ النبي ﷺ عليه السلام، فقال: «**ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ**» فصلَّى، ثم جاء فسلَّم على النبي ﷺ فقال: «**ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ**» (ثلاثًا) فقال: والذي بعثك بالحق فما أحسن غيره فعلِّمني. قال: «**إذا قمت إلى الصلاة فكبِّر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ارفع حتى تعتدل قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها**»[2].

وفي روايات أخرى قال النبي ﷺ عن الركوع: «**فإذا ركعت فضع راحتيك على**

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٨٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب: أمر النبي ﷺ الذي لا يتم ركوعه بالإعادة.

ركبتيك، ثم فرِّج بين أصابعك، ثم امكث حتى يأخذ كل عضو مأخذه»[1]، وقال ﷺ عن الرفع من الركوع: **«فإذا رفعت رأسك فأقم صلبك حتى ترجع العظام إلى مفاصلها»**[2]. فهذا التفصيل في أداء حركات الصلاة دليل على أهمية إتقانها.

والإتقان مطلوب أيضًا في المهنة التي يعمل بها الإنسان، وأن يحسن استعمال ما يستخدمه من آلات ومعدات وسيارات ونحو ذلك، وعلى الصانع أن يعمل بما علمه الله عمل إتقان وإحسان بقصد نفع خلق الله الذي استعمله في ذلك، ولا يعمل على نية أنه إن لم يعمل ضاع، ولا على مقدار الأجرة بل على حسب إتقان ما تقتضيه الصنعة، كما ذُكر أن صانعًا عمل عملاً ولم يقتنع بأنه تام الإتقان وسلمه لصاحبه الذي لم ير فيه شيئًا معيبًا، غير أن الصانع لم ينم ليلته كراهة أن يظهر من عمله عملاً غير متقن فشرع في عمل بديل له حتى أتقن ما تعطيه الصنعة ثم ذهب به لصاحبه فأخذ الأول وأعطاه الثاني فشكره فقال: لم أعمل لأجلك بل قضاء لحق الصنعة كراهة أن يظهر من عملي عمل غير متقن. فمتى قصَّر الصانع في العمل لنقص الأجرة فقد كفر ما علمه الله وربما سلب الإتقان[3].

حتى ذبح الحيوان فقد أمر الله -عزَّ وجلَّ- ورسوله ﷺ بإحسانه، قال رسول الله ﷺ: **«إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، ولْيُحِدَّ أحدكم شفرته، فليرح ذبيحته»**[4]، فإتقان ذبح الحيوان يكون بإحداد السكين، وألا يحدها بحضرة الحيوان، وألا يذبح واحدة بحضرة أخرى، ولا يسحبها برجلها ليذبحها، وأن يعجِّل تمرير السكين على الحلق، وهو أقرب المواضع لمفارقة الحياة بسهولة. و **«أحسنوا القتلة»** عام في كل قتيل من الذبائح وقتل الإنسان قصاصًا وفي حد ونحو ذلك.

بل طريقة الأكل والشرب تحتاج إلى إتقان كما أمر النبي ﷺ: **«سمِّ الله، وكل**

---

(١) رواه ابن حبان في باب صفة الصلاة، ذكر وصف بعض السجود والركوع للمصلي في صلاته.

(٢) مسند أحمد، رقم: ١٨٨٩٦، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٣) المناوي: فيض القدير ٢/٢٨٦ (بتصرف).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الصيد، باب: الأمر بإحسان الذبح وتحديد الشفرة.

بيمينك، وكل مما يليك»[1]. وهكذا كل عمل يقوم به الإنسان مما هو شرعي ومباح. فإن الله سبحانه يحب إتقانه.

يحب الله الإحسان في العمل

قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يحب من العامل إذا عمل أن يحسن»[2].

إحسان العمل[3]: إحسان العمل هو الإخلاص والعدل فيه. والله -عزَّ وجلَّ- يحب من كل عامل إذا عمل عملاً في طاعة أن يحسن عمله بألا يبقى فيه مقالاً لقائل، ولا مفرجًا لغائب.. والعاقل من يتحرى الصدق في صناعته، ويقبل على عمله وطلب مرضاة ربه بقدر وسعه، ويؤدي الأمانة بقدر جهده، ولا يشتغل عن عبادة ربه كما قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾[4].

خص الله تعالى التجارة بالذكر؛ لأنها أعظم ما يشتغل بها الإنسان عن العبادات وأهمها الصلاة؛ ولهذا مدح هؤلاء الذين لا تلهيهم التجارة عن العبادات، ولا شك أنهم يحسنون صنعًا ويحسنون أعمالهم ويوفقون بينها وبين العبادات ومواقيت الصلاة.

يحب الله الغَيْرة في الريبة

قال رسول الله ﷺ: «من الغَيْرَة ما يحب الله... فأما التي يحبها الله فالغَيْرَة في الريبة»[5].

الغَيْرَة في الريبة: الغَيْرَة في الريبة هي أن يغار الرجل على محارمه إذا رأى منهم فعلاً محرمًا، أو في مواضع التهمة والتردد فتظهر فائدتها وهي الرهبة

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، باب: التسمية على الطعام، والأكل باليمين.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٩١.

(٣) راجع: فيض القدير للمناوي ٢/٢٨٧.

(٤) سورة النور، الآية: ٣٧.

(٥) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٢٣١٦.

والانزجار، فإن الغيرة في ذلك ونحوه مما يحبه الله. قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرَّم الفواحش»[1]. وقال ﷺ: «إن الله يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرَّم الله»[2].

وكان الحسن يقول: أتدعون نساءكم ليزاحمن العلوج في الأسواق قبَّح الله من لا يغار.

والطريق المغني عن الغيرة ألا يدخل عليها الرجال ولا تختلط بهم ولا تصافحهم ولا تخرج إلى الأسواق إلا لضرورة. والخروج مباح للمرأة العفيفة برضا زوجها ولكن القعود أسلم لقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾[3]. وينبغي تعليم المرأة أنه إذا مست الحاجة إلى الخروج فليكن على تبذل وتستر تام وأن تتجنب أي سفور أو تبرج كما نهى الله تبارك وتعالى: ﴿وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾[4]، وأن تغض بصرها كما أمر تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾[5].

يحب الله ظهور أثر النعمة على عبده

قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب أن يُرَى أثرُ نعمتِه على عبده»[6].

أثر النعمة[7]: إن الله -عزَّ وجلَّ- يحب ظهور أثر نعمته على عبده، فإنه من الجمال الذي يحبه، وذلك من شكره على نعمه وهو جمال باطن، فيحب أن يرى على عبده الجمال الظاهر بالنعمة والجمال الباطن بالشكر عليها. ولمحبته سبحانه للجمال أنزل على عباده لباسًا وزينة تجمِّل ظواهرهم، وتقوى تجمِّل بواطنهم،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب: الغَيرة.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب: الغَيرة.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٥) سورة النور، الآية: ٣١.

(٦) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٢٦٠.

(٧) راجع: الفوائد لابن القيم ٢٣٨، والروح ٣٢٤، وفيض القدير للمناوي ٢/٢٩٢، وتحفة الأحوذي للمباركفوري ٦/١٢٢.

فهو سبحانه يحب التجمل حتى في اللباس ولا يحب البؤس والتباؤس وهو إظهار الفقر وارتداء الملابس الرثة والبالية والممزقة والخشنة؛ وقد رأى النبي ﷺ رجلاً رث الثياب فقال له: «**هل لك من مال؟**» فقال: من كل المال قد أعطاني الله من الإبل والغنم، فقال ﷺ: «**فلْيُرَ عليك**»[1]. أي؛ فليُبْصَر وليَظْهَر. وقال ﷺ: «**إن الله تعالى إذا أنعم على عبد نعمة، يحب أن يرى أثر النعمة عليه**»[2]. وقال عليه الصلاة والسلام: «**إذا آتاك الله مالاً فلير عليك، فإن الله يحب أن يرى أثره على عبده حسنًا، ولا يحب البؤس ولا التباؤس**»[3].

والمعنى: البس ثوبًا جيدًا ليعرف الناس أنك غني وأن الله أنعم عليك بأنواع النعم. وفي شرح السنة: هذا في تحسين الثياب بالتنظيف والتجديد عند الإمكان من غير أن يبالغ في النعامة والدقة ومظاهرة الملبس على اللبس على ما هو عادة العجم. قال القاري: اليوم زاد العرب على العجم.. وقال البغوي: وروي عن النبي ﷺ أنه كان ينهى عن كثير من الإرفاه. وروى البيهقي عن أبي هريرة وزيد بن ثابت أنه ﷺ نهى عن الشهرتين رقة الثياب وغلظها ولينها وخشونتها وطولها وقصرها، ولكن سداد فيما بين ذلك واقتصاد.

وقيل إن معنى «يُرى» مزيد الشكر لله تعالى بالعمل الصالح والثناء والذكر له بما هو أهله والعطف والترحم والإنفاق من فضل ما عنده في القرب ﴿ **وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ** ﴾[4]، والخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله فيرى في أثر الجدة عليه زيًا وإنفاقًا وشكرًا، هذا في نعمة الله. أما في النعمة الدينية فأن يرى على العبد نحو استعماله للعلم فيما أمر به وتهذيب الأخلاق ولين الجانب والحلم على السفيه وتعليم الجاهل ونشر العلم في أهله ووضعه في محله بتواضع ولين جانب في أبهة واحتشام، وفي ولاة الأمور بالرفق بالرعية وإقامة نواميس العدل

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦٣٢.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٧١١.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٢٥٥.

(٤) سورة القصص، الآية: ٧٧.

فيهم ومعاملتهم بالإنصاف وترك الإعتساف إلى غير ذلك من سائر ما يجب عليهم. ويطرد ذلك في كل نعمة مع أن نعمه تعالى لا تحصى.

ورؤية أثر النعمة يمكن أن يكون بإظهارها أو بالتحدث عنها؛ وهناك فرق بين التحدث بنعم الله والفخر بها؛ فالمتحدث بالنعمة مخبر عن صفات الله ومحض جوده وإحسانه، فهو مثنٍ عليه بإظهارها والتحدث بها شاكرًا له ناشرًا لجميع ما أولاه، مقصوده بذلك إظهار صفات الله ومدحه والثناء وبعث النفس على الطلب منه دون غيره وعلى محبته ورجائه، فيكون راغبًا إلى الله بإظهار نعمه ونشرها والتحدث بها.

يحب الله موضع صدقة الإصلاح[1]

قال رسول الله ﷺ: «**ألا أدلك على صدقةٍ يحب الله موضعها؟ تصلح بين الناس؛ فإنها صدقة يحب الله موضعها**»[2].

الإصلاح بين الناس: الإصلاح تلافي خلل الشيء، وفي المصباح الصلح التوفيق، أصلحت بين القوم وفقت بينهم. وقال الراغب: الصلاح ضد الفساد وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال، والصلح مختص بإزالة النفار بين الناس (فإن الله تعالى يصلح بين المؤمنين) وفي رواية المسلمين، أي؛ أصلحوا، فإن الله يحب الصلح؛ ولذلك يصلح بين المؤمنين (يوم القيامة)، أي؛ يوفق بينهم بأن يلهم المظلوم العفو عن ظالمه ويعوضه عن ذلك بأحسن الجزاء.

والإصلاح بين الناس هو عام في الدماء والأموال والأعراض، وفي كل شيء يقع التداعي والاختلاف فيه بين المسلمين، وفي كل كلام يراد به وجه الله تعالى. قال العسقلاني: «والصلح أقسام: صلح المسلم مع الكافر، والصلح بين الزوجين، والصلح

---

(١) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/٢٤٦-٢٤٧، وفتح الباري للعسقلاني ٥/٢٩٨، وفيض القدير للمناوي ١/١٢٧.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، رقم: ٢٦٤٤.

بين الفئة الباغية والعادلة، والصلح بين المتغاضبين كالزوجين، والصلح في الجراح كالعفو على مال، والصلح لقطع الخصومة إذا وقعت المزاحمة إما في الأملاك أو في المشتركات كالشوارع».

قال الله تعالى: ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1].

قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟**» قالوا: بلى، قال: «**إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة**»[2]، وقال ﷺ: «**ليس الكذّاب الذي يصلح بين الناس، فينمي خيرًا أو يقول خيرًا**»[3]، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: من أصلح بين اثنين أعطاه الله بكل كلمة عتق رقبة. قال الأوزاعي: ما خطوة أحب إلى الله -عزَّ وجلَّ- من خطوة في إصلاح ذات البين، ومن أصلح بين اثنين كتب الله له براءة من النار.

يحب الله العطاس

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب العطاس**»[4].

العطاس: قال رسول الله ﷺ: «**إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا قال له يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم**»[5].

في الحديث دليل على عظيم نعمة الله على العاطس؛ يؤخذ ذلك مما رتب عليه من الخير، وفيه إشارة إلى عظيم فضل الله على عبده، فإنه أذهب عنه الضرر بنعمة العطاس ثم شرع له الحمد الذي يثاب عليه، ثم الدعاء بالخير بعد الدعاء بالخير، وشرع هذه النعم المتواليات في زمن يسير فضلاً منه وإحسانًا، وفي هذا

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٤.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤١١١.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصلح ، باب: ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: ما يستحب من العطاس، وما يكره من التثاؤب.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: ما يستحب من العطاس، وما يكره من التثاؤب.

لمن رآه بقلب له بصيرة زيادة قوة في إيمانه حتى يحصل له من ذلك ما لا يحصل بعبادة أيام عديدة، ويداخله من حب الله الذي أنعم عليه بذلك ما لم يكن في باله، ومن حب الرسول الذي جاءت معرفة هذا الخير على يده والعلم الذي جاءت به سنته ما لا يقدر قدره. وفي زيادة ذرة من هذا ما يفوق الكثير مما عداه من الأعمال ولله الحمد كثيرًا [1].

أحب الأعمال إلى الله أدومها

قال رسول الله ﷺ: **«أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل»**[2].

العمل الدائم: إن المداومة على عمل من أعمال البر ولو كان مفضولاً أحب إلى الله من عمل يكون أعظم أجرًا لكن ليس فيه مداومة... والحكمة في ذلك أن المديم للعمل يلازم الخدمة فيكثر التردد إلى باب الطاعة كل وقت ليجازي بالبر لكثرة تردده، فليس هو كمن لازم الخدمة مثلاً ثم انقطع. وأيضًا فالعامل إذا ترك العمل صار كالمعرض بعد الوصل فيتعرض للذم والجفاء، ومن ثم ورد الوعيد في حق من حفظ القرآن ثم نسيه، والمراد بالعمل هنا الصلاة والصيام وغيرهما من العبادات[3].

وقال عليه الصلاة والسلام: **«يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا وإن أحب الأعمال إلى الله ما دووم عليه وإن قل»**[4]، أي: عليكم من الأعمال ما تطيقون الدوام عليه بلا ضرر، وفيه دليل على الحث على الاقتصاد في العبادة واجتناب التعمق، وليس الحديث مختصًا بالصلاة بل هو عام في جميع أعمال البر... وفي هذا الحديث كمال شفقته ﷺ ورأفته بأمته؛ لأنه أرشدهم إلى ما يصلحهم وهو ما يمكنهم الدوام عليه بلا مشقة ولا ضرر فتكون النفس أنشط والقلب منشرحاً فتتم العبادة بخلاف من تعاطى من الأعمال ما يشق

---

(١) فتح الباري ١٠/٦٠٩-٦١٠.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضيلة العمل الدائم.

(٣) العسقلاني: فتح الباري ١١/٢٩٨-٢٩٩.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضيلة العمل الدائم.

فإنــه بصدد أن يتركه أو بعضــه أو يفعله بكلفة وبغير انشــراح القلب فيفوته خير عظيم، وقد ذم الله - سبحانه وتعالى - من اعتاد عبادة ثم أفرط.

وقولــه ﷺ: «**وإن أحب الأعمال إلى اللــه ما دووم عليه وإن قل**»، فيه الحث على المداومــة على العمل وأن قليله الدائم خير من كثير ينقطع، وإنما كان القليل الدائم خيــرًا من الكثير المنقطــع؛ لأن بدوام القليل تدوم الطاعــة والذكر والمراقبة والنية والإخلاص والإقبال على الخالق ســبحانه وتعالى، ويثمر القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافًا كثيرة[1].

أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على المسلم

قال رســول اللــه ﷺ: «**أحـب الأعمال إلـى الله عـزَّ وجلَّ سـرور تدخلـه على مسلم**»[2].

السرور: هو الفرح، وهو خلاف الحزن.

لقد أرشد النبي ﷺ في أحاديث كثيرةٍ إلى أعمالٍ من الخير، وآدابٍ اجتماعيةٍ، يمكــن للمســلم أن يُدخِل بها الســرور إلى قلب أخيه المســلم؛ ومــن هذه الأعمال والآداب:

التبسم في وجه المسلم:

إن من الســرور الذي يمكن للمســلم أن يدخله إلى أخيه المســلم؛ هو أن يلقاه بوجه طلق بشوش مبتسم، لقول النبي ﷺ: «**لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**»[3]. وقال ﷺ: «**تبسمك في وجه أخيك لك صدقة**»[4].

---

(١) النووي: شرح صحيح مسلم ٦/ ٧١.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٧٦.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٥٩٤.

وقال رسول الله ﷺ: **«كل معروف صدقة، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق، وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك»**[1]. ففي هذه الأحاديث الحث على فضل المعروف وما تيسر منه وإن قل حتى طلاقة الوجه عند اللقاء، فإن ذلك مما يُدخل السرور إلى المسلم، ويزيد الألفة والمودة بين الإخوان والأصدقاء.

الرد عن عرض المسلم:

إذا سمع أحدًا يغتاب أخًا له في الإسلام أن يرد عنه كما لو كان موجودًا ويسمعه، فيقول عنه ما يحب أن يقوله هو عنه لو كان في مكانه؛ فقد قال رسول الله ﷺ: **«من رد عن عرض أخيه، رد الله عن وجهه النار يوم القيامة»**[2].

إعانة المسلم وستره:

ومن عوامل إدخال السرور إلى المسلم؛ العمل بقول رسول الله ﷺ: **«من نفَّس عن مؤمن كُربة من كُرب الدنيا، نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر، يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد، ما كان العبد في عون أخيه»**[3]. وفي هذا الحديث يرشد النبي ﷺ إلى جملة من الأعمال والآداب التي على المسلم أن يفعلها مع أخيه المسلم فتُدخل السرور إلى قلبه، فتكون المجازاة من جنسها؛ فتنفيس الكربة إزالة ما عند الأخ من الهم والغم فيكون جزاؤه من جنس عمله فينفس الله تعالى عنه يوم القيامة. والتيسير على المعسر أن يصبر على المعسر الذي لا يجد وفاء لدينه، وقد أمر الله تعالى بذلك فقال عزَّ وجلَّ: **﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾**[4]؛ وقال النبي ﷺ: **«من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله الله في ظله»**[5]. وعن بريدة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من أنظر**

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦٠٥.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٥٧٥.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الذكر، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٠.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق ، باب: حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر .

معسرًا فله بكل يوم مثله صدقة». قال: ثم سمعته يقول: «من أنظر معسرًا فله بكل يوم مثليه صدقة». قلت: سمعتك يا رسول الله تقول: «من أنظر معسرًا فله بكل يوم مثله صدقة» ثم سمعتك تقول: «من أنظر معسرًا فله بكل يوم مثليه صدقة». قال: «له بكل يوم صدقة قبل أن يحل الدين، فإذا حلَّ الدين فأنظره فله بكل يوم مثليه صدقة»[1].

ومن التيسير على المعسر أيضًا أن يضع عنه بعض الدين أو كله، وقد وعد الله -عزَّ وجلَّ- على ذلك الخير والثواب الجزيل فقال تعالى: ﴿ **وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[2]؛ وقد أخبر النبي ﷺ أنه: **«كان تاجر يداين الناس، فإذا رأى معسرًا قال لفتيانه: تجاوزوا عنه لعلَّ الله أن يتجاوز عنَّا، فتجاوز الله عنه»**[3].

أما من ستر مسلمًا فلم يهتك ستره ولم ينشر عيوبه بين الناس فإن الله تعالى يستره في الدنيا والآخرة. أما من كان في عون أخيه سواء في قضاء حاجة أو نفعه بشيء من علم أو مال أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة وغير ذلك؛ فالله -عزَّ وجلَّ- في عونه. قال رسول الله ﷺ: **«أحب الأعمال إلى الله عزَّ وجلَّ سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في المسجد شهرًا... ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام»**[4].

زيارة المسلم:

عن النبي ﷺ: **«أن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكًا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية. قال: هل لك**

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٦١٠٨. واللفظ في مسند أحمد، رقم: ٢٢٩٤٢، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٠.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب: من أنظر معسرًا.

(٤) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٧٦.

عليه من نعمة تربُّها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عزَّ وجلَّ. قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: **«من عاد مريضًا، أو زار أخًا له في الله ناداه مناد: أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً»**[2]. ففي هذين الحديثين فضيلة زيارة الإخوان والأصحاب، وفضيلة الحب في الله وأنه سبب لحب الله العبد. ولا شك أن الزيارة وعيادة المرضى سبب لإدخال السرور إلى المسلم، ولتقوية روابط الأخوة والصداقة فضلاً عما في ذلك من الأجر.

تشميت المسلم:

قال رسول الله ﷺ: **«إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله، وليقل له أخوه - أو صاحبه - يرحمك الله، فإذا قال له يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم»**[3]، فمن حق المسلم على أخيه أن يشمته إذا عطس وحمد الله تعالى، وقد صرح النبي ﷺ بذلك في رواية أخرى حيث يقول عليه الصلاة والسلام: **«فإذا عطس أحدكم وحمد الله كان حقًا على كل مسلم سمعه أن يقول له: يرحمك الله»**[4]، لكن إذا لم يسمعه يحمد الله فلا يشمته.



أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن

قال رسول الله ﷺ: **«إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله، وعبد الرحمن»**[5].

عبد الله وعبد الرحمن[6]: إنما كانت هذه الأسماء أحب إلى الله؛ لأنها تضمنت

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل الحب في الله تعالى.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦٣٣.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: إذا عطس كيف يشمت.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: إذا تثاءب فليضع يده على فيه.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الآداب، باب: بيان ما يستحب من الأسماء.

(٦) راجع: فيض القدير للمناوي ٤١٢/٢، وفتح الباري للعسقلاني ٥٧٠/١٠.

ما هو وصف واجب لله وما هو وصف للإنسان وواجب له وهو العبودية؛ ثم أضيف العبد إلى الرب إضافة حقيقية فصدقت أفراد هذه الأسماء وشرفت بهذا التركيب فحصلت لها الفضيلة.

وقيـل: إن تفضيل التسـمية بهذين محمول على من أراد التسـمي بالعبودية. فتقديره أحب أسمائكم إلى الله إذا تسميتم بالعبودية عبد الله وعبد الرحمن؛ لأنهم كانوا يسمون عبد شمس والدار، ولا ينافي أن اسم أحمد ومحمد أحب إلى الله من جميع الأسـماء فإنه لم يختر لنبيه إلا ما هو الأحب إليه.. ويلحق بهذين الاسـمين مـا كان مثلهما مما فيه إضافة العبد إلى الله تعالى كعبد الرحيم وعبد الملك وعبد العزيز وعبد الصمد وغيرها.



أحب الأضحية إلى الله العفراء

قال رسول الله ﷺ: **«دم عفراء أحب إلى الله من سوداوين»**[1].

العفـراء[2]: هي الشـاة التي يضرب لونها إلى بيـاض غير ناصع، والعفرة لون الأرض، فـإن دم العفراء عند الله أحب وأزكى عنده من دم شـاتين سـوداوين في الأضاحي.

لقد شـرع الله الأضحية إحياءً لذكرى إبراهيم عليه السلام وتوسـعة على الناس يوم عيـد الأضحى، وهنـاك أربعة أمور لا تُجزئ في الأضحية: العـوراء البيِّن عورها، والمريضة البيِّن مرضها، والعرجاء البيِّن ظلعها، والعجفاء التي لا تنقي وذهب مخها من شـدة الهزال. ويلحق بهذه الهتماء التي ذهب ثناياها من أصلها، والعصماء التي انكسـر غلاف قرنها، والعمياء، والتولاء التي تدور في المرعى ولا ترعى، والجرباء التي كثر جربها.

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٣٩١.

(٢) راجع: فقه السنة لسيد سابق ٣/٣١٩-٣٢٥، وفيض القدير للمناوي ٣/٥٣٤.

ويُشترط في الأضحية ألا تُذبح إلا بعد طلوع الشمس من يوم العيد ويمر من الوقت قدر ما يصلي المصلي، ويصح ذبحها بعد ذلك في أي يوم من الأيام الثلاثة في ليل أو نهار، ويخرج الوقت بانقضاء هذه الأيام. وإذا ضحى المسلم بشاة من الضأن أو المعز أجزأت عنه وعن أهل بيته، ويُسن للمضحي أن يأكل من أضحيته، ويهدي الأقارب، ويتصدق منها على الفقراء. وقد قال العلماء: الأفضل أن يأكل الثلث، ويتصدق بالثلث، ويدخر الثلث. ويُسن لمن يُحسن الذبح أن يذبح أضحيته بيده ويقول: بسم الله والله أكبر، اللهم هذا عن فلان، ويسمي نفسه، فإن كان لا يُحسن الذبح فليشهده ويحضره.

يرضى الله عن الشكر

قال الله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[1].

الشكر[2]: في اللغة: الظهور. وهو الثناء على المحسن بما أولاكه من المعروف. والشكران: خلاف الكفران. والشكر في عبارات العلماء معناه: الاجتهاد في بذل الطاعة مع الاجتناب للمعصية في السر والعلانية. وقيل: الشكر هو الاعتراف في تقصير الشكر للمنعم. وقيل: حقيقة الشكر العجز عن الشكر. وقيل: الشكر حقيقته الاعتراف بالنعمة للمنعم واستعمالها في طاعته، والكفران استعمالها في المعصية، وقليل من يعقل ذلك؛ لأن الخير أقل من الشر، والطاعة أقل من المعصية. وقيل: الشكر التواضع والمحافظة على الحسنات، ومخالفة الشهوات، وبذل الطاعات، ومراقبة جبار الأرض والسماوات. وقيل: الشكر لمن فوقك بالطاعة، ولنظيرك بالمكافأة، ولمن دونك بالإحسان والإفضال. وقيل: الشكر معرفة الإحسان والتحدث به. والله - تبارك وتعالى - يرضى الشكر ويحبه لعباده المؤمنين.

---

(١) سورة الزُمَر، الآية: ٧.

(٢) راجع: إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ٤/٩٠-٩٥ ، ١٢٣-١٢٤، ومدارج السالكين لابن القيم ٢/٢٤٢-٢٤٤، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/٢٧٠-٢٧١، ٩/٢٢٥، ٥٨٣، ١٤/١٧٧، وفتح الباري للعسقلاني ٣/١٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٥٤٣، ٣/٤٥٣، وفيض القدير للمناوي ٦/٢٢٤.

والشـــكر على ثلاث درجات: الأولى: الشكر على المحاب؛ وهو الاعتراف بنعمه سـبحانه، والثناء عليه بها، والإحسان إلى خلقه منها. وهذا بلا شك يوجب حفظها على الشاكر والمزيد منها. والثانية: الشكر على المكاره؛ وهو أشد وأصعب من الشكر على المحاب. ولهذا كان فوقه في الدرجة، وهذا الشـاكر أول من يُدعى إلى الجنة؛ لأنه قابل المكاره -التي يقابلها أكثر الناس بالجزع والسـخط، وأوسـاطهم بالصبر، وخاصتهم بالرضى- فقابلها هو بأعلى من ذلك كله. وهو الشـكر. فكان أسـبقهم دخـولاً إلى الجنة، وأول من يدعى منهم إليها. والثالثة: ألا يشـهد العبد إلا المنعم؛ وهذه الدرجة يسـتغرق صاحبها بشهود المنعم عن النعمة، فلا يتسع شهوده للمنعم ولغيره.

قال الله تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾[1]؛ إن فعل الشـكر وترك الكفر لا يتم إلا بمعرفة ما يحبه الله تعالى عما يكرهه، إذ معنى الشـكر اسـتعمال نعمه تعالى في محابه، ومعنى الكفر نقيض ذلك إما بترك الاسـتعمال أو باستعمالها في مكارهه. ولتمييز ما يحبه الله تعالى مما يكرهه مدركان: أحدهما، السمع، ومستنده الآيات والأخبـار، والثاني: بصيرة القلب، وهو النظر بعـين الاعتبار، وهذا الأخير عسـير، وهو لأجل ذلك عزيز؛ فلذلك أرسـل الله تعالى الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق، ومعرفة ذلك تتبني على معرفة جميع أحكام الشـرع في أفعال العباد، فمن لا يطلع على أحكام الشرع في جميع أفعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر أصلاً. وأمـا الثاني وهو النظر بعين الاعتبار فهو إدراك حكمـة الله تعالى في كل موجود خلقه، إذ ما خلق شـيئًا فـي العالم إلا وفيه حكمة وتحـت الحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحبوب.. وكل من استعمل شيئًا في جهة غير الجهة التي خلق لها ولا على الوجه الذي أريد به فقد كفر فيه نعمة الله تعالى. وكل من اسـتعمل شيئًا في غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله في جميع الأسباب التي لا بد منها لإقدامه على تلك المعصية. ومثال على ذلك فإن من عامل معاملة الربا على المال فقد كفر النعمة وظلم؛ لأن المال خُلق لغيره لا لنفسه إذ لا غرض في عينه، فإذا أتجر في عينه فقد

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

اتخذه مقصودًا على خلاف وضع الحكمة، إذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم. فمن فهم حكمة الله تعالى في جميع أنواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[1]. لا يقصر بالخلق عن شكر النعمة إلا الجهل والغفلة، فإنهم يمنعون بالجهل والغفلة عن معرفة النعم، ولا يتصور شكر النعمة إلا بعد معرفتها، ثم إنهم إن عرفوا نعمة ظنوا أن الشكر عليها أن يقول بلسانه فقط: الحمد لله، الشكر لله. ولم يعرفوا أن معنى الشكر أن يستعمل النعمة في إتمام الحكمة التي أريدت بها وهي طاعة الله -عزَّ وجلَّ- فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين المعرفتين إلا غلبة الشهوة واستيلاء الشيطان ؛ وقد فرح إبليس بقوله ﴿وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[2].

أما الغفلة عن النعم فلها أسباب، وأحد أسبابها أن الناس بجهلهم لا يعدون ما يعم الخلق ويسلم لهم في جميع أحوالهم نعمة؛ فلذلك لا يشكرون على النعم التي تعمهم وتحيط بهم.. فإن ابتلى واحد منهم ببلاء أو سُلبت منه نعمة من نعم الله تعالى ثم نجا ربما قدَّر ذلك نعمة وشكر الله عليها، وهذا غاية الجهل إذ صار شكرهم موقوفًا على أن تسلب عنهم النعمة ثم ترد عليهم في بعض الأحوال، والنعمة في جميع الأحوال أولى بأن تشكر في بعضها؛ فلا ترى البصير يشكر صحة بصره إلا أن تعمى عينيه، فعند ذلك لو أعيد عليه بصره أحس به وشكره وعدَّه نعمة، فصار الناس لا يشكرون إلا المال الذي يتطرق الاختصاص إليه من حيث الكثرة والقلة وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم، كما شكا بعضهم فقره إلى بعض أرباب البصائر وأظهر شدة اغتمامه به فقال له: أيسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال: لا، فقال: أيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال: لا، فقال: أيسرك أن أقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفًا؟ فقال: لا، فقال: أيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال: لا، فقال: أما تستحي أن تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين ألفًا؟!. وما من عبد يمعن النظر في أحواله إلا ويرى

---

(١) سورة سبأ، الآية: ١٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧.

من الله نعمة أو نعمًا كثيرة تخصه لا يشاركه فيها الناس كافة بل يشاركه عدد يسير منهم وربما لا يشاركه فيها أحد.

إن إنسانًا أرسله الله رحمة للعالمين وجعله سيد الأولين والآخرين وخاتم الأنبياء والمرسلين وغُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يقوم في الصلاة حتى تتورم قدماه لأجل أن يشكر الله على نعمه عليه؛ قالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تفطَّر رجلاه، قالت عائشة: يا رسول الله أتصنع هذا وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «**يا عائشة أفلا أكون عبدًا شكورًا**»[1]. فإذا كان ﷺ فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف بمن لم يعلم بذلك فضلاً عمن لم يأمن أنه استحق النار؟ والحديث يبين أن الشكر يكون بالعمل كما يكون باللسان كما قال الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾[2]. أي؛ اعملوا عملاً هو الشكر على ما أنعم به عليكم في الدين والدنيا. وكأن الصلاة والصيام والعبادات كلها هي في نفسها الشكر إذ سدَّت مسدَّه. فظاهر القرآن والسنة أن الشكر بعمل الأبدان دون الاقتصار على عمل اللسان، فالشكر بالأفعال عمل الأركان، والشكر بالأقوال عمل اللسان. قال القرطبي: ظن من سأل النبي ﷺ عن سبب تحمله المشقة في العبادة أنه إنما يعبد الله خوفًا من الذنوب وطلبًا للمغفرة والرحمة فمن تحقق أنه غفر له لا يحتاج إلى ذلك، فأفادهم أن هناك طريقًا آخر للعبادة وهو الشكر على المغفرة وإيصال النعمة لمن لا يستحق عليه فيها شيئًا فيتعين كثرة الشكر على ذلك، والشكر الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة، فمن كثر ذلك منه سمي شكورًا، ومن ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾.

والشكور اسم من أسماء الله الحسنى، أي؛ الذي لا يضيع سعي العاملين لوجهه بل يضاعفه أضعافًا مضاعفة، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[3]، أي؛ لئن شكرتم إنعامي لأزيدنكم من فضلي، فحقيقة

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة، باب: إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة.

(٢) سورة سبأ، الآية: ١٣.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

الشكر على هذا الاعتراف بالنعمة للمنعم وألا يصرفها في غير طاعته؛ ﴿ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[1]؛ لئن كفرتم النعم وسترتموها وجحدتموها إن عذابي لشديد وذلك بسلبها عنهم وعقابه إياهم على كفرها. فوعد بالعذاب على كفر النعم وجحدها كما وعد بالزيادة على شكرها.

قال رسول الله ﷺ: **«الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر»**[2]، وفي رواية: **«الطاعم الشاكر له مثل أجر الصائم الصابر»**[3]؛ قال ابن بطال: هذا من تفضل الله على عباده أن جعل للطاعم إذا شكر ربه على ما أنعم به عليه ثواب الصائم الصابر. وفي الحديث الحث على شكر الله على جميع نعمه إذ لا يختص ذلك بالأكل. وقال عليه الصلاة والسلام: **«مَن لا يشكر الناس لا يشكر الله»**[4]؛ لأنه لم يطعه في امتثال أمره بشكر الناس الذينس هم وسائط في إيصال نعم الله عليه، والشكر إنما يتم بمطاوعته فمن لم يطعه لم يكن مؤديًا شكره... وفائدته صرف النعم في الطاعة وإلا فذلك كفران وأصل النعم من الله والخلق وسائط وأسباب فالمنعم حقيقة هو الله وله الحمد وله الشكر فالحمد خبر عن جلاله والشكر خبر عن إنعامه وأفضاله لكنه أذن في الشكر للناس لما فيه من تأثير المحبة والألفة.

قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[5]، وقال المصطفى ﷺ: **«التحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر»**[6]. وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾[7]؛ يعود نفع الشكر وثوابه على الشاكر نفسه لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾[8]؛ ولقول النبي ﷺ: «عجبًا

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٠٢١.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٩٤٣.

(٤) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٥٩٢.

(٥) سورة الضحى، الآية: ١١.

(٦) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٠١٤.

(٧) سورة لقمان، الآية: ١٢.

(٨) سورة الروم، الآية: ٤٤.

لأمــر المؤمــن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سـراء شـكر فـكان خيــرًا له...»[1]؛ والله -عزَّ وجلَّ- غني عن العباد لا يتضرر بذلك ولو كفر أهل الأرض كلهم جميعًا فإنه الغني عمن سواه؛ فلا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه.

﴿ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾[2].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، باب: في أحاديث متفرقة.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

ما يبغض الله من الأمور

لا يحب الله الجهر بالسوء

قال الله تعالى: ﴿ لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ ﴾[1].

الجهر بالسوء من القول[2]: الجهر بالسوء من القول هو أن يدعو الإنسان على غيره ويسبه ويشتمه أمام الناس، إلا مَن ظُلم فله أن يقول ظلمني فلان، ولا يدع عليه، بل يقول: اللهم أعني عليه، اللهم استخرج حقي، اللهم حُل بينه وبين ما يريد من ظلمي. وقال ابن عباس وغيره: المباح لمن ظُلم أن يدعو على مَن ظلمه، وإن صبر فهو خير له. وظاهر الآية يقتضي أن للمظلوم أن ينتصر من ظالمه -ولكن مع اقتصاد- إن كان مؤمنًا؛ فأما أن يقابل القذف بالقذف ونحوه فلا؛ وإن كان كافرًا فليرسل لسانه وليدع بما شاء من الهلكة وبكل دعاء.

إن الجهر بالسوء من القول - في أي صورة من صوره - سهل على اللسان ما لم يكن هناك تحرج في الضمير وتقوى لله، وشيوع هذا السوء كثيرًا ما يترك آثارًا عميقة في ضمير المجتمع.. كثيرًا ما يدمر الثقة المتبادلة في هذا المجتمع فيخيل إلى الناس أن الشر قد صار غالبًا.. وكثيرًا ما يذهب ببشاعة السوء بطول الألفة؛ فالإنسان يستقبح السوء أول مرة بشدة؛ حتى إذا تكرر وقوعه أو تكرر ذكره، خفت حدة استقباحه والاشمئزاز منه؛ وسهل على النفوس أن تسمع -بل أن ترى- ولا تثور للتغيير على المنكر.

ذلك كله فوق ما يقع من الظلم على مَن يتهمون بالسوء ويشاع عنهم - وقد يكونون منه أبرياء - ولكن قالة السوء حين تنتشر؛ وحين يصبح الجهر بها

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٨.

(٢) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦/٢-٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٨٥/١، وفي ظلال القرآن لسيد قطب ٧٩٥/٢-٧٩٦.

هينًا مألوفًا، فإن البريء قد يتقول عليه مع المسيء؛ ويختلط البر بالفاجر بلا تحرج من فرية أو اتهام؛ ويسقط الحياء النفسي والاجتماعي الذي يمنع الألسنة من النطق بالقبيح؛ والذي يعصم الكثيرين من الإقدام على السوء.

إن الجهر بالسوء يبدأ في أول الأمر اتهامات فردية -سبًا وقذفًا- وينتهي انحلالاً اجتماعيًا؛ وفوضى أخلاقية؛ تضل فيها تقديرات الناس بعضهم لبعض أفرادًا وجماعات؛ وتتعدم فيها الثقة بين بعض الناس وبعض؛ وقد شاعت الاتهامات؛ ولاكتها الألسنة بلا تحرج. لذلك كله لا يحب الله الجهر بالسوء من القول ويكره أن تشيع قالة السوء بين المسلمين، واستثنى من وقع عليه ظلم فأعطاه وحده حق الجهر بكلمة السوء يصف بها الظالم ليدفع عنه الظلم في حدود ما وقع عليه منه؛ وفي هذه الحالة يكون الوصف بالسوء -ويشمل ما تعبر عنه المصطلحات القانونية بالسب والقذف- انتصارًا من ظلم، ودفعًا لعدوان، وردًا لسوء بذاته قد وقع بالفعل على إنسان بذاته؛ وتشهيرًا بالظلم والظالم في المجتمع؛ لينتصف المجتمع للمظلوم؛ وليضرب على يد الظالم؛ وليخشى الظالم عاقبة فعله، فيتردد في تكراره، قال رسول الله ﷺ: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**». فقال رجل: يا رسول الله! أنصره إذا كان مظلومًا أفرأيت إذا كان ظالمًا كيف أنصره؟ قال: «**تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره**»[1].

والجهر بالسوء عندئذ يكون محدد المصدر -من الشخص الذي وقع عليه الظلم- محدد السبب -فهو الظلم المعين الذي يصفه المظلوم- موجهًا إلى شخص بذاته هو الذي وقع منه الظلم.. عندئذ يكون الخير الذي يتحقق بهذا الجهر مبررًا له؛ ويكون تحقيق العدل والنصفة هو الهدف لا مطلق التشهير.. وقد جاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو جاره، فقال ﷺ: «**اذهب فاصبر**» فأتاه مرتين أو ثلاثًا فقال ﷺ: «**اذهب فاطرح متاعك في الطريق**». فطرح متاعه في الطريق، فجعل الناس يسألونه فيخبرهم خبره، فجعل الناس يلعنونه: فعل الله به، وفعل، وفعل، فجاء إليه جاره فقال له: ارجع لا ترى مني شيئًا تكرهه[2].

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإكراه، باب: يمين الرجل لصاحبه.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤٢٩٢.

وهكذا يوفق الإسلام بين حرصه على العدل الذي لا يطيق معه الظلم، وحرصه على الأخلاق الذي لا يطيق معه خدشًا للحياء النفسي الاجتماعي.. والخير للمسلم أن يصبر ويعفو عمن أساء إليه كما حث الله -عزَّ وجلَّ- على ذلك فقال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾[1]، وكما نصح النبي ﷺ ذلـــك الرجل أكثر من مرة «اذهب فاصبر»؛ فذلك مما يقرب عند الله ويجزل الثواب لديه فإن من صفاته تعالى أن يعفو عن عباده مع قدرته على عقابهم.

لا يحب الله العقوق

قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يحب العقوق»[2].

العقوق[3]: العق هو الشـــق والقطع؛ وهو ضد البر. والمراد به صدور ما يتأذى بـــه الوالد من ولده من قـــول أو فعل. فالوالدان يحمـــلان أذى ولدهما وهو صغير راجـــين حياته، والرجل إن حمـــل أذى والديه في كبرهما رجا موتهما، وقد أمر الله تعالى ببر الوالدين والإحســـان إليهما وخفض الجنـــاح لهما ونهى عن عقهما فقال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَـــانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَـــا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُـــل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[4].

وعقوق الوالدين محرم وهو من أكبر الكبائر، قال رســـول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟... الإشراك بالله، وعقوق الوالدين...**»[5].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٩.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٤٩.

(٣) راجع: الجامـــع لأحكام القرآن للقرطبي١٠/١٥٥-١٦٠، ١٤/٤٤، ٥/١٢٠، وفتح الباري للعســـقلاني ١٠/٤٠٣-٤٠٦، ٥/٦٨، وفيض القدير للمناوي ٢/٢٢٧، ٤/٣٣.

(٤) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣-٢٤.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: عقوق الوالدين من الكبائر.

وعقــوق الوالديــن مخالفتهما في أغراضهمــا الجائزة لهما؛ كمــا أن برهما موافقتهمــا على أغراضهما. وعلى هذا إذا أمــرا أو أحدهما ولدهما بأمر وجبت طاعتهمــا فيه؛ إذا لم يكن ذلــك الأمر معصية، وإن كان ذلــك المأمور به من قبيل المبــاح في أصله، وكذلك إذا كان مــن قبيل المندوب. وقد ذهب بعض الناس إلى أن أمرهمــا بالمباح يصيِّره في حق الولد مندوبًــا إليه، وأمرهما بالمندوب يزيده تأكيدًا في نَدْبيته... ولا يختص بر الوالدين بأن يكونا مسلمين، بل إن كانا كافرين يبرهما ويحسن إليهما إذا كان لهما عهد.

وقولــه تعالى: ﴿ إِمَّـا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَـا أَوْ كِلاهُمَا ﴾، خص حالة الكبر؛ لأنها الحالة التي يحتاجان فيها إلى بره لتغير الحال عليهما بالضعف والكبر؛ فألزم في هذه الحالة من مراعاة أحوالهما أكثر مما ألزمه من قبل؛ لأنهما في هذه الحالة قــد صارا كَلاًّ عليــه، فيحتاجان أن يلي منهما في الكبر مــا كان يحتاج في صغره أن يليــا منه؛ فلذلك خص هــذه الحالة بالذكر. وأيضًا فطــول المكث للمرء يوجب الاستثقال للمرء عادة ويحصل الملل ويكثر الضجر فيظهر غضبه على أبويه وتنتفخ لهما أوداجه، ويســتطيل عليهما بدالَّة البنوَّة وقلــة الديانة، وأقل المكروه ما يظهره بتنفســه المتردد من الضجر. وقد أمر أن يقابلهما بالقول الموصوف بالكرامة، وهو السالم عن كل عيب فقال: ﴿ فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴾. وقد قال النبي ﷺ: «رَغِمَ أنفه ثم رغم أنفه ثم رغم أنفه» قيل: مَن يا رســول الله؟ قال: «مــن أدرك والديــه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة»[1]. فالســعيد الذي يبادر اغتنام فرصة بِرهما لئلا تفوته بموتهما فيندم على ذلك. والشــقي من عقَّهما، لا سيما من بلغه الأمر ببرهما.

وقوله تعالى: ﴿ فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ ﴾ أي؛ لا تقل لهما ما يكون فيه أدنى تبرم. وعن أبي رجاء العُطَارِدِيِّ قــال: الأف الكلام القَذَع الرديء الخفي. وقال مجاهد: معناه إذا رأيت منهما في حال الشــيخوخة الغائط والبول الذي رأياه منك في الصغر فلا تَقْذَرْهما وتقول أف. والآية أعم من هذا. ويقال لكل ما يُضجر ويســتثقل: أف له.

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب: تقديم الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها.

وقال بعضهم: معنى أف الاحتقار والاستقلال؛ أُخذ من الأَفَف وهو القليل. ولو علم الله من العقوق شيئًا أردأ من «أف» لذكره. قيل: وإنما صارت قولة (أف) للأبوين أردأ شيء؛ لأنه رفَضَهما رفض كفر النعمة، وجحد التربية وردَّ الوصية التي أوصاه في التنزيل. و(أف) كلمة مقولة لكل شيء مرفوض؛ ولذلك قال إبراهيم لقومه: ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾[1]، أي؛ رَفْض لكم ولهذه الأصنام معكم.

قوله تعالى: ﴿ وَلا تَنْهَرْهُمَا ﴾ النَّهْر: الزجر والغلظة. ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴾ أي؛ ليِّنًا لطيفًا، مثل: يا أبتاه ويا أماه، من غير أن يسميهما ويُكَنِّيهما... ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾، هذه استعارة في الشفقة والرحمة بهما والتذلل لهما تذلل الرعية للأمير والعبيد للسادة.. والذل: هو اللين. والذل في الدواب المنقاد السهل دون الصعب. فينبغي بحكم هذه الآية أن يجعل الإنسان نفسه مع أبويه في خير ذلة، في أقواله وسكناته ونظره، ولا يُحِدَّ إليهما بصره فإن تلك هي نظرة الغاضب. ﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا ﴾، أمر تعالى عباده بالترحم على آبائهم والدعاء لهم، وأنْ ترحمهما كما رحماك وتَرْفُق بهما كما رَفَقا بك؛ إذ وَلِياكَ صغيرًا جاهلاً محتاجًا فآثراك على أنفسهما، وأسهرا ليلهما، وجاعا وأشبعاك، وتعريا وكَسَواك، فلا تجزيهما إلا أن يبلغا من الكبر الحد الذي كنت فيه من الصغر، فتَلي منهما ما وَلِيا منك، ويكون لهما حينئذ فضل التقدم. ﴿ كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ خص التربية بالذكر ليتذكر العبد شفقة الأبوين وتعبهما في التربية، فيزيده ذلك إشفاقًا لهما وحنانًا عليهما.

ومن العقوق أن يتعرض لسبهما كما قال النبي ﷺ: **«إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه»** قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: **«يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه»**[2]. فإن كان التسبب إلى لعن الوالد من أكبر الكبائر فالتصريح بلعنه أشد.. وقوله (وكيف يلعن الرجل والديه) هو استبعاد من السائل؛ لأن الطبع المستقيم يأبى ذلك، فبيَّن في الجواب

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٦٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: لا يسب الرجل والديه.

أنه وإن لم يتعاط السب بنفسه في الأغلب الأكثر لكن قد يقع منه التسبب فيه وهو مما يمكن وقوعه كثيرًا.

ومن عقوق الوالدين إذا لم يتعين الجهاد أن يجاهد بغير إذنهما؛ فقد قال رجل للنبي ﷺ: أجاهد؟ قال: «**لك أبوان؟**» قال: نعم. قال: «**ففيهما فجاهد**»(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات**»(٢). قيل: خص الأمهات بالذكر وإن كان عقوق الآباء عظيمًا؛ لأن عقوقهن أقبح أو إليهن أسرع من الآباء لضعف النساء، ولينبه على أن بر الأم مقدم على بر الأب في التلطف والحنو ونحو ذلك. فهو من تخصيص الشيء بالذكر إظهارًا لعظم موقعه.

وقال ﷺ: «**رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد**»(٣). لأنه تعالى أمر أن يطاع الأب ويكرم، فمن امتثل أمر الله فأطاع والده وأكرمه فقد أطاع الله فرضي عنه، ومن خالف أمر الله فأغضب والده وأهانه فقد أغضب الله فغضب عليه، وهذا فيما ليس في معصية الخالق. وهذا وعيد شديد يفيد أن العقوق كبيرة.

قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه... وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه...**»(٤).

لا يرضى الله القول الباطل

قال الله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾(٥).

القول الباطل: القول الباطل هو كل قول ضد الحق كالكذب والافتراء والإفك والبهتان والزور والكيد والخيانة واتهام البريء وتبرئة الجاني.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: لا يجاهد إلا بإذن الأبوين.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: عقوق الوالدين من الكبائر.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٥٤٩.

(٤) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٠٧١.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٠٨.

أصحاب القول الباطل[1]: أصحاب القول الباطل هم المنافقون الذين يستخفون بقبائحهم من الناس لئلا ينكروا عليهم، ويجاهرون الله بها؛ لأنه مطلع على سرائرهم وعالم بما في ضمائرهم وهو معهم عندما يبيتون ما لا يرضاه الله لأهل طاعته من الرأي والاعتقاد.

أبغض الأعمال إلى الله الإشراك بالله[2]

قال رسول الله ﷺ: **«أبغض الأعمال إلى الله الإشراك بالله»**[3].

قال الله تعالى: ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**﴾[4]؛ يأمر الله -تبارك وتعالى- بعبادته وحده لا شريك له فإنه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الآنات والحالات فهو المستحق منهم أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئًا من مخلوقاته.. فهو الله الذي لا إله غيره ولا رب سواه ولا تبتغي العبادة إلا له؛ لأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وهو الذي لا ولد له ولا والد، ولا عديل ولا بديل، ولا وزير ولا نظير، بل هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد.

الشرك بالله: الشرك بالله هو أعظم الذنوب، وأعظم الظلم؛ فاستحق ألا يغفره الله لأحد ويغفر ما دونه من المعاصي لمن يشاء؛ قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا**﴾[5]، ﴿**وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا**﴾[6]، أي؛ فقد سلك غير الطريق الحق وضل عن الهدى وبعُدَ عن الصواب وأهلك نفسه وخسرها في الدنيا والآخرة وفاتته سعادة الدنيا

(١) راجع: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١/٥٦٥.

(٢) راجع: مدارج السالكين لابن القيم ١/٣٤٨-٣٥٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٥٠٥، ٥٦٨، ٣/٢٢٠، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٨/١١٦، وإحياء علوم الدين للغزالي ٣/٢٩٧.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٦٦.

(٤) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٥) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٦) سورة النساء، الآية: ١١٦.

والآخرة. فأي إثم أعظم، وأي معصية أكبر، وأي ضلال أبعد من أن يجعل الإنسان لله ندًا وشريكًا وهو خلقه؟! عن عبد الله بن مسعود قال: سألت النبي ﷺ أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله ندًا وهو خلقك». قلت: إن ذلك لعظيم[1].

فمن أشرك بالله وجعل لله ندًّا فالنار أولى به ومحرم عليه دخول الجنة وإن صلَّى وصام وزعم أنه مسلم، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾[2]، فإشراكه بالله يبطل ثواب أعماله الصالحة الأخرى، قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[3]؛ ذلك لأن الشرك كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[4]. فمن مات على الشرك فهو في أصحاب الجحيم ولا ينقذه من ذلك شيء من الوسائل.

والشرك نوعان: أكبر وأصغر؛ فالأكبر: لا يغفره الله إلا بالتوبة منه وهو من أكبر الكبائر وهو الشرك الأعظم، وهو اعتقاد شريك لله في ألوهيته، وأن يتخذ من دون الله ندًا يحبه كما يحب الله، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين؛ ولهذا قالوا لآلهتهم في النار: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[5]، مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء، وربه ومليكه، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق، ولا تحيي ولا تميت. وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حال أكثر مشركي العالم، بل كلهم يحبون معبوداتهم ويعظمونها ويوالونها من دون الله. وكثير منهم -بل أكثرهم- يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾[6]، ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم إذا ذُكر الله وحده، قال تعالى:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿فلا تجعلوا لله أندادًا﴾.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٢.

(٣) سورة الزُمَر، الآية: ٦٥.

(٤) سورة لقمان، الآية: ١٣.

(٥) سورة الشعراء، الآيتان: ٩٧-٩٨.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[1]، ويغضبون لمنتقص معبوديهم وآلهتهم أعظم مما يغضبون إذا انتقص أحد رب العالمين.

والمشرك إنما يتخذ معبوده لما يعتقد أنه يحصل له به من النفع، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع: إما مالك لما يريده عابده منه، فإن لم يكن مالكًا كان شريكًا للمالك، فإن لم يكن شريكًا له كان معينًا له وظهيرًا، فإن لم يكن معينًا ولا ظهيرًا كان شفيعًا عنده؛ فنفى الله - تبارك وتعالى - المراتب الأربع نفيًا مترتبًا، متنقلاً من الأعلى إلى ما دونه، فنفى المِلْكَ، والشركة، والمظاهرة، والشفاعة التي يظنها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعة بإذنه، فقال تعالى: ﴿ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢) وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾[2].

وأما الشرك الأصغر: فأنواعه كثيرة لا يحصيها إلا الله -عزَّ وجلَّ-؛ فمن أنواعه: الرياء والتصنع للخلق؛ قال رسول الله ﷺ: **«إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»** قالوا: يا رسول الله؛ وما الشرك الأصغر؟ قال: **«الرياء؛ إن الله تبارك وتعالى يقول يوم تجازى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون بأعمالكم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»**[3]. قال الله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[4]؛ وقد حذرنا رسول الله ﷺ من هذا الشرك فقال عليه الصلاة والسلام: **«ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدَّجَّال؟» قلنا: بلى. فقال: «الشرك الخفي: أن يقوم الرجل يصلي فيُزين صلاته لما يرى من نظر رجل»**[5].

---

(١) سورة الزُّمَر، الآية: ٤٥.

(٢) سورة سبأ، الآيتان: ٢٢-٢٣.

(٣) مسند أحمد، رقم: ٢٣٥٢٦، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٤) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٥) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٣٣٨٩.

فأصل الرياء طلب المنزلة في قلوب الناس بالعبادات وخصال الخير وإظهارها، وحد الرياء هو إرادة العباد بطاعة الله؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[1]؛ قال رسول الله ﷺ: **«قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشِرْكه»**[2]. فالله -عزَّ وجلَّ- غني عن المشاركة وغيرها، فمن عمل شيئًا لله ولغيره لم يقبله الله بل يتركه لذلك الغير، والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه ويأثم به.

ومن أنواعه: الحلف بغير الله حتى ولو بشيء عظَّمه الله وقدسه، فقد سمع عبد الله بن عمر رجلاً يقول: لا والكعبة. فقال ابن عمر: لا يحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»**[3]، وقول الرجل للرجل: «ما لي إلا الله وأنت» و«أنا متوكل على الله وعليك» و«لولا أنت لم يكن كذا وكذا».

ومن أنواعه: النذر لغير الله؛ فإنه شرك، وهو أعظم من الحلف بغير الله، فإذا كان مَن حلف بغير الله فقد أشرك فكيف بمن نذر لغير الله؟.

ومن أنواعه: الخوف من غير الله، والتوكل على غير الله، والعمل لغير الله، والإنابة والخضوع والذل لغير الله، وابتغاء الرزق من عند غير الله، والغنية بحمد غير الله عن حمد الله، والذم والسخط على ما لم يقسمه الله، وإضافة نعم الله إلى غيره، واعتقاد أن يكون في الكون ما لا يشاء الله.

ومن أنواعه: طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم. وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا، فضلاً عمن استغاث به، وسأله قضاء حاجته، أو سأله أن يشفع له إلى الله فيها، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع له عنده، فإنه لا يقدر أن يشفع له عند الله إلا بإذنه، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سببًا لإذنه وإنما السبب لإذنه: كمال

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، باب: تحريم الرياء.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٢٤١.

التوحيد. فجاء هذا المشـــرك بسبب يمنع الإذن، وهو بمنزلة من استعان في حاجة بما يمنع حصولها، وهذه حالة كل مشـــرك. والميت محتاج إلى من يدعو له، ويترحَّم عليه، ويســـتغفر له، كما أوصانا النبي ﷺ إذا زرنا قبور المســـلمين أن نسلم عليهم وندعو الله أن يغفر لهم، فعكس المشـــركون هذا، وزاروهم زيارة العبادة، واستقضاء الحوائج، والاســـتغاثة بهم، وجعلوا قبورهم أوثانًا تُعبَد، فذبحوا لهم الذبائح، ونذروا لهم النذور، وفعلوا غير ذلك من أعمال الشرك بالله تعالى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْـــرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾[1].

أبغض الأعمال إلى الله قطيعة الرحم

قال رســـول اللـــه ﷺ: «**أبغض الأعمـال إلى اللـه الإشـراك بالله، ثـم قطيعة الرحم**»[2].

قطيعة الرحم: الرحم؛ يطلق على الأقارب وهم من بينه وبين الآخر نســـب، سواء كان يرثه أم لا، سواء كان ذا محرم أم لا. وقيل هم المحارم فقط، والأول هو المرجح؛ لأن الثاني يستلزم خروج أولاد الأعمام وأولاد الأخوال من ذوي الأرحام وليس كذلك.

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب. قال: فهو لك. قال رســـول الله ﷺ: فاقرؤوا إن شئتم ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[3]**»[4].

لقد خلق الله الرحم وأخرج لها اسماً من اسمه فهو الرحمن وهي الرحم، وأمر تعالى بوصل الرحـــم ونهى عن قطعها، فقطيعة الرحم من أبغض الأعمال إليه بعد الإشراك به.

---

(١) سورة البينة، الآية: ٦.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٦٦.

(٣) سورة محمد، الآية: ٢٢.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: من وصل وصله الله.

وكما وعد الله تعالى من يصل الرحم بالخير الكثير في الدنيا والآخرة كما أخبر النبي ﷺ: **«من سَرَّه أن يُبسَط له في رزقه، وأن يُنسأ له في أثره فليَصل رحمه»**[1]، فقد توعد تعالى قاطع الرحم بألا يدخله الجنة جزاءً وفاقًا على قطعه ما أمر الله به أن يوصل؛ قال رسول الله ﷺ: **«لا يدخل الجنة قاطع»**[2] يعني؛ قاطع رحم، قال النووي: هذا الحديث يتأول تأويلين أحدهما: حمله على من يستحل القطيعة بلا سبب ولا شبهة مع علمه بتحريمها فهذا كافر يخلد في النار ولا يدخل الجنة أبدًا. والثاني: معناه ولا يدخلها في أول الأمر مع السابقين بل يعاقب بتأخره القدر الذي يريده الله تعالى[3].

بل إنه **«ما من ذنب أجدر أن يعجِّل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا، مع ما يدَّخر له في الآخرة مثل البغي وقطيعة الرحم»**[4]، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام.

أبغض الكلام إلى الله قول: عليك نفسك[5]

قال رسول الله ﷺ: **«إن أبغض الكلام إلى الله أن يقول الرجل للرجل: اتق الله، فيقول: عليك نفسك»**[6].

اتق الله: اتق الله أي خَفْه واحذره، باتباع أوامره واجتناب نواهيه. عن طلق بن حبيب قال: التقوى أن تعمل بطاعة الله، رجاء رحمة الله، على نور من الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، تخاف عقاب الله.

عليك نفسك: عليك نفسك، أي إذا وُعظ الإنسان في مقاله وفعاله، وقيل له: اتق الله، وانزع عن قولك وفعلك، وارجع إلى الحق، امتنع وأبى، وأخذته الحمية والغضب بالإثم،

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: من بسط له في الرزق بصلة الرحم.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: إثم القاطع.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ١٦/١١٣-١١٤.

(٤) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤٠٩٨.

(٥) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/١٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٨٧، ٢٥٤.

(٦) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، رقم: ٢٩٣٩.

أي؛ بسبب ما اشتمل عليه من الآثام. وهذا مثل قول الله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ** ﴾[1].

هذه صفة الكافر والمنافق الذاهب بنفسه زهوًا، ويُكره للمؤمن أن يوقعه الحرج في بعض هذا. وقال عبد الله: كفى بالمرء إثمًا أن يقول له أخوه: اتق الله، فيقول: عليك بنفسك، مثلك يوصيني! والعزة: القوة والغلبة، من عزَّه يعُزُّه إذا غلبه. وقيل: العزة هنا الحمية، ومنه قول الشاعر:

أخذته عزة من جهله ... فتولَّى مُغْضَبًا فعل الضَّجِر

وقيل: العزة هنا المنعة وشدة النفس، أي؛ اعتز في نفسه وانتحى فأوقعته تلك العزة في الإثم حين أخذته وألزمته إياه. وقال قتادة: المعنى إذا قيل له: مهلاً ازداد إقدامًا على المعصية، والمعنى حملته العزة على الإثم. وقيل: أخذته العزة بما يؤثمه، أي؛ ارتكب الكفر للعزة وحمية الجاهلية. وقيل: الباء في (بالإثم) بمعنى اللام، أي؛ أخذته العزة والحَمِيَّة عن قبول الوعظ للإثم الذي في قلبه، وهو النفاق.

وقيل: الباء بمعنى مع، أي؛ أخذته العزة مع الإثم، فمعنى الباء يختلف بحسب التأويلات. وذُكر أن يهوديًا كانت له حاجة عند هارون الرشيد، فاختلف إلى بابه سنة، فلم يقض حاجته، فوقف يومًا على الباب؛ فلما خرج هارون سعى حتى وقف بين يديه وقال: اتق الله يا أمير المؤمنين! فنزل هارون عن دابته وخرَّ ساجدًا، فلما رفع رأسه أمر بحاجته فقُضيت؛ فلما رجع قيل له: يا أمير المؤمنين؛ نزلت عن دابتك لقول يهودي! قال: لا، ولكن تذكرت قول الله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ** ﴾.

يبغض الله البؤس والتباؤس

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله... يبغض البؤس والتباؤس**»[2]. وقال ﷺ: «**إن الله تعالى... يكره البؤس والتباؤس**»[3].

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٦.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٧٤٢.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٧١١.

البؤس والتباؤس[1]: البؤس والتباؤس هو إظهار الفقر والحاجة وارتداء الملابس الرثة والبالية والممزقة والخشنة... وإظهار التمسكن والشكاية وإظهار السؤال لغير الله والطلب ممن سواه، والله -عزَّ وجلَّ- يبغض ذلك؛ لأنه جميل يحب الجمال ويحب أن تظهر نعمته على عبده زيًا وإنفاقًا وشكرًا لله تعالى، فهو تارة يكون بالقال وتارة يكون بالحال وتارة يكون بالفعال.

ولمحبته سبحانه للجمال أنزل على عباده لباساً وزينة تجمِّل ظواهرهم، وتقوى تجمِّل بواطنهم، فهو سبحانه يحب التجمل ويبغض البؤس والتباؤس حتى في اللباس؛ وقد رأى النبي ﷺ رجلاً رث الثياب فقال له: «**هل لك من مال؟**» فقال: من كل المال قد أعطاني الله من الإبل والغنم، فقال ﷺ «**فلْيُـرَ عليك**»[2]، أي؛ فليُبْصَر وليَظهَر. وقال عليه الصلاة والسلام: «**إذا آتاك الله مالاً فلير عليك، فإن الله يحب أن يرى أثره على عبده حسنًا، ولا يحب البؤس ولا التباؤس**»[3].

إن من آثار جمال أفعال الله تعالى الرضى من عباده باليسير من الشكر وإثابة الكثير من الأجر على قليل العمل المدخول، ويجعل الحسنة عشرًا ويزيد من شاء ما شاء ويعفو عن السيئات ويستر الزلات؛ فعلى عباده أن يتجملوا معه في إظهار نعمته عليهم ويتجنبوا أضداد ذلك من إظهار البؤس والفاقة.



يبغض الله الخيلاء في البغي والفخر[4]

قال رسول الله ﷺ: «**إن من الخُيَلاء ما يبغض الله... أما التي يبغض الله فاختياله في البَغْي والفَخْر**»[5]. والخيلاء، أي؛ الكبر والبطر والزهو والتبختر.

اختياله في البغي: نحو أن يذكر الرجل أنه قتل فلانًا وأخذ ماله ظلمًا، أو يصدر منه الاختيال حال البغي على مال الرجل أو نفسه.

---

(١) انظر: فيض القدير للمناوي ٢/٢٢٥.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦٣٢.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٢٥٥.

(٤) العظيم آبادي: عون المعبود ٧/٢٣٠.

(٥) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٢٣١٦.

اختياله في الفخر: نحو أن يذكر ما له من الحسب والنسب وكثرة المال والجاه والشجاعة والكرم لمجرد الافتخار ثم يحصل منه الاختيال عند ذلك، فإن هذا الاختيال مما يبغضه الله تعالى.

وإن من الخيلاء أيضًا إسبال الإزار، فيكون طول لباس الرجل أسفل من الكعبين ويجره خيلاء، فقد قال رسول الله ﷺ: «**وارفع إزارك إلى نصف الساق، فإن أبيت فإلى الكعبين، وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة، وإن الله لا يحب المخيلة**»[1]. وقال عليه الصلاة والسلام: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: المُسبل، والمنَّان، والمنفق سلعته بالحَلف الكاذب**»[2].

والخيلاء والمخيلة هي الكبر وصاحب الكبر على خطر عظيم يوم القيامة حيث يقول رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»، قال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة، قال: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس**»[3]، أي: رد الحق وجحده واحتقار الناس وازدراؤهم. ومتى احتقرهم وازدراهم: دفع حقوقهم وجحدها واستهان بها. يقول ابن القيم: «سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - يقول: التكبر شر من الشرك فإن المتكبر يتكبر عن عبادة الله تعالى، والمشرك يعبد الله وغيره. قلت: ولذلك جعل الله النار دار المتكبرين. كما قال تعالى: ﴿**ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ**﴾[4].

وأخبر أن أهل الكبر والتجبر هم الذين طبع الله على قلوبهم. فقال تعالى: ﴿**كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ**﴾[5].. وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ**﴾[6]؛ تنبيهًا على أنه لا يغفر الكبر الذي هو أعظم من الشرك، وكما أن «**من تواضع**

---

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٤٤٢.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه.

(٤) سورة غافر، الآية: ٧٦.

(٥) سورة غافر، الآية: ٣٥.

(٦) سورة النساء، الآية: ٤٨ و ١١٦.

لله رفعه» فكذلك من تكبر عن الانقياد للحق أذله الله ووضعه، وصَغَّرَه وحقره. ومن تكبر عن الانقياد للحق - ولو جاءه على يد صغير، أو من يبغضه أو يعاديه - فإنما تكبره على الله فإن الله هو الحق، وكلامه حق، ودينه حق، والحق صفته، ومنه وله، فإذا رده العبد وتكبر عن قبوله: فإنما رد على الله، وتكبر عليه. والله أعلم»[1].

يبغض الله الغَيْرة في غير ريبة

قال رسول الله ﷺ: «**من الغَيْرَة... ما يبغض الله... أما التي يبغضها الله فالغَيْرَة في غير رِيبة**»[2].

الغيرة في غير ريبة[3]: الغيرة في غير ريبة هي نحو أن يغار الرجل على أمه أن ينكحها زوجها، وكذلك سائر محارمه، فإن هذا مما يبغضه الله تعالى؛ لأن ما أحله الله تعالى فالواجب علينا الرضا به، فإن لم نرض به كان ذلك من إيثار حمية الجاهلية على ما شرعه الله لنا.

أو يغار أحد الزوجين على الآخر ويبالغ في إساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن والوهم والشك. والغيرة هي حمية وأنفة وكره شركة الغير، وخوف من أن يحتل الغير مكان الغيور. وقيل إنها مشتقة من تغير القلب وهيجان الغضب بسبب المشاركة فيما به الاختصاص، وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين. والغيرة قابلة للزيادة والنقصان، وكلاهما مذموم، وغالبًا الغيرة في زيادة عند النساء.

إن الغيرة المذمومة غير الطبيعية أحد الأمراض القاسية التي يمكن أن تصيب الحياة الزوجية.. والغريب أن المدفوع بالغيرة لا يعي أنه مصاب بهذه الآفة الخطيرة، بل إنه يعد غيرته في بعض الأحيان تعبيراً عن الحب، ولا يدري أن الغيرة المذمومة لا تعبر عن الحب وإنما تعبر عن رغبة أنانية في التملك، وهذا عكس مفهوم الحب الذي يقوم على التضحية وإنكار الذات.

---

(١) مدارج السالكين ٢/٣١٦-٣١٧.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٢٣١٦.

(٣) راجع: عون المعبود للعظيم آبادي ٧/ ٢٣٠، وأمراض الحياة الزوجية لسامي محمود ٨٦، والغيرة والخيانة لعادل صادق ١١-٢١.

والغيرة المبغوضة أو الغيرة المشكلة جوهرها وسواس أو مرض نفسي مثل حب التملك والسيطرة؛ وهي ألم يائس غليظ، ودوامات عاتية تشد قارب الحب إلى قاع اليأس، ومرض قاتل يعصف بالوعي ويذهب بالعقل، وصرخات مفزعة جارحة، وأشواك سامة بلا ورود، ولهيب حارق، وإنكار على الطرف الآخر حريته ونضجه ومحاولة السيطرة عليه سيطرة كاملة، والقسوة والتدمير له إذا خرج عن نطاق السيطرة، إنه الحب المدمر.. وأساس الغيرة المشكلة ضعف الثقة بالنفس أو الشعور بالنقص، فتدفع هذه الغيرة صاحبها إلى محاصرة الطرف الآخر ومراقبته والثورة عليه.

إن الإسراف في الغيرة غير الطبيعية يصبح وبالاً على المتصف به، ويبطش به بطشًا؛ فهي تغيظ قلبه، وتقلق نفسه، وتشتت فكره، وتؤرق جفنه. وتصف إحدى النساء أعراض الغيرة فتقول: مشاعر الغيرة متعبة جدًا.. إنها مزيج من القلق والخوف والتوتر والضيق والارتعاش الداخلي والتشنج العضلي، وأحيانًا تضطرب معدتي وتفيض ألمًا، أو يكسر رأسي الصداع وأشعر بسخونة تصعد من قدماي إلى أعلى وبضيق في الصدر واختناق في العنق، ويضطرب صوتي وتختلج عضلات وجهي وأحسها مشدودة متقلصة، ويجتاحني غضب غير محدد الاتجاه.

والغيرة الشديدة المذمومة تدفع صاحبها إلى المعصية بالغيبة والنميمة والإضرار بالغير كما تدفعه إلى الشكوك والأوهام والتخيلات، وإساءة تفسير الحوادث والمواقف. وبالطبع لا يدري من يقع تحت تأثير هذه الغيرة المذمومة أنه يدمر العلاقة الزوجية، ويخنق فيها الحب والحنان والدفء، ولا يمكن لحياة زوجية صحيحة قوية أن تنمو وتسعد في جو من عدم الثقة والشكوك المستمرة.

يبغض الله هذه الضجعة

قال رسول الله ﷺ: **«إن هذه ضِجْعَة يبغضها الله تعالى»**[1].

الاضطجاع على البطن: الاضطجاع على البطن هو النوم منبطحًا على البطن والظهر لأعلى، وقال عنها النبي ﷺ في حديث آخر: **«إن هذه ضجعة لا يحبها الله»**[2].

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٢٢٧١.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٢٢١.

وفي الحديث أن النوم على البطن لا يجوز وأنه ضجعة الشيطان.

ومـن جانب صحي فإن النوم على البطن مضر بصحة الجسـم، إذ أن القفص الصدري يتمـدد للأمام عند التنفس، والاضطجاع على البطن يحد من حركة هذا القفص، ولا يسـمح للرئتين بالتمدد الكامل والامتلاء بالهواء، وقد يؤثر أيضًا على حركة القلب وعمل المعدة.

يكره الله سفساف الأمور

قال رسـول الله ﷺ: **«إن اللـه تعالى يحـب: معالي الأمـور، وأشـرافها، ويكره سَفْسافها»**[1].

سفساف الأمور: يأتي في مقدمة سفساف الأمور الأمور الدينية وهي كل نهي نهى الله تعالى عنه في كتابه أو على لسان رسوله محمد ﷺ، ومن ذلك: الكفر والشرك والنفاق.

وكذلـك الفحش والتفحش والطيش والبذاءة والمراء والجدال والغيبة والنميمة والقيل والقال وكثرة السـؤال والثرثـرة وإخلاف الوعد والجهل والظلم والشـهوة والغضب والشح والبخل وعدم العفة والنهمة والجشع والذل والدناءة والكبر والحقد والحسد والعدوان والسفه والخسة واللؤم والذل والحرص.

إن الإنسـان يضارع البهيمة بالشهوة والدناءة فمن صرف همته إلى السفساف من الأمور ورذائل الأخلاق التحق بالبهائم فيصير إما ضاريًا ككلب، أو شرهًا كخنزير، أو حقودًا كجمل، أو متكبرًا كنمر، أو روَّاغًا كثعلب، أو جامعًا لذلك كشيطان.

يكره الله سفساف الأخلاق

قال رسول الله ﷺ: **«إن الله... يحب معالي الأخلاق، ويكره سفسافها»**[2].

سفسـاف الأخـلاق: سفسـاف الأخلاق؛ أي رديء الأخـلاق وحقيرها. ومنها: النفاق الأصغر، ويكون الظاهر خلاف الباطن فيقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، ويبيتون أمرًا غير الذي يقولون، ويكذبون في أقوالهم وأفعالهم.

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٩٠.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨٠٠.

ومنها: الفسوق وهو عصيان أوامر الله - تبارك وتعالى - وارتكاب ما نهى الله عنه.

ومنها: الفجور، والزنى، والسكر، واللواط، والسحاق، والتبرج، والسفور، والاختلاط، والعري.

ومنها: إخلاف الوعد، وخيانة الأمانة، وغدر العهد، وكذب الحديث، والخصام، والطعن، واللعن.

ومنها: القبيح من القول من السب والشتم والقذف والفحش والبذاءة ونحوه.

ومنها: الاستهزاء بالآخرين وتقليد طريقة كلامهم وحركاتهم.



يكره الله ثلاثة أمور

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله كره لكم ثلاثًا: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال**»[1].

قيل وقال[2]: قيل وقال هو الإكثار من الكلام الذي لا فائدة فيه، والخوض في أخبار الناس وحكايات ما لا يعني من أحوالهم وتصرفاتهم. والإكثار من الحديث عما يقول الناس من غير تثبت، ولا تدبر، ولا تبين. وقد قال النبي ﷺ: «**بئس مطية الرجل زعموا**»[3]. الزعم قريب من الظن وأسوأ عادة للرجل أن يتخذ لفظ زعموا مركبًا إلى مقاصده فيخبر عن أمر تقليدًا من غير تثبت فيخطئ ويجرب عليه الكذب. فالإخبار بخبر مبناه على الشك والتخمين دون الجزم واليقين قبيح بل ينبغي أن يكون لخبره سند وثبوت ويكون على ثقة من ذلك لا مجرد حكاية على ظن وحسبان. وفي المثل: زعموا مطية الكذب.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب: قول الله تعالى ﴿لا يسألون الناس إلحافًا﴾.

(٢) راجع: عون المعبود للعظيم آبادي ١٢/٢١٤-٢١٥، وفيض القدير للمناوي ٢/٢٢٧، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٢/١١، ومجالسنا إلى أين للمؤلف ٦٩.

(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤١٥٨.

وقــد نبه النبي ﷺ في هذا الحديث على وجوب تجنب التبرع بنقل الأخبار لما فيه من هتك الأستار وكشف الأسرار وذلك ليس من دأب الأخيار؛ ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، والله سبحانه ستار والستر لا يحصل مع كثرة نقل الأخبار.

قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا، أو ليصمت**»[1]، فينبغي للإنسان أن يحفظ لسانه عن الكلام المحرم أو المكروه أو الذي لا خير فيه، وقد قال الله تعالى: ﴿**لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ**﴾[2]. والمعروف: هو كل ما أمر الله به أو ندب إليه من أعمال البر والخير، وأما ما ســوى هذه المصالح التي ذكرها الله -عزَّ وجلَّ- فإن الكلام في كثير منه لا خير فيه والسنة الإمساك عنه.

إضاعة المال[3]: إضاعة المال هو صرف المال في غير وجوهه الشرعية، والسرف والتبذير في إنفاقه في غير حق أو بالتوســع في لذيذ المطاعم والمشــارب ونفيس الملابــس والمراكب والزينة والزخرفة في المباني ونحو ذلك لما ينشــأ عنه من غلظ الطبع وقسوة القلب المبعدة عن الرب، وتعريض المال للتلف وسبب النهي أنه إفساد والله لا يحب المفســدين؛ ولأنه إذا أضاع ماله تعرض لما في أيدي الناس. قال الله تعالى: ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّــيَاطِينِ وَكَانَ الشَّــيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا**﴾[4]. فمن أنفق ماله في الشهوات زائدًا على قدر الحاجات وعرضَّه بذلك للنفاد فهو مبذِّر. ومن أنفق درهمًا في حرام فهو مبذِّر.

وقال تعالــى: ﴿**وَلا تُؤْتُوا السُّــفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ**﴾[5]، وهذا عام في حق كل ســفيه صغيــرًا كان أم كبيــرًا، ذكرًا كان أم أنثى، والســفيه هو الذي يضيع المال ويفســده

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٤.

(٣) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي ١١/١٢، وفتح الباري للعسقلاني ٦٨/٥، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠/٥-٢١، ١٦٢/١٠، وفيض القدير للمناوي ٢٢٧/٢.

(٤) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٦-٢٧.

(٥) سورة النساء، الآية: ٥.

بســوء تدبيره. قال ابن عباس: لا تدفع مالك الذي هو ســبب معيشتك إلى امرأتك وابنــك وتبقى فقيرًا تنظر إليهم وإلى ما في أيديهم؛ بل كن أنت الذي تنفق عليهم. فالســفهاء على هذا هم النســاء والصبيان؛ صغار ولد الرجــل وامرأته. وقد أجاز الشرع الحَجْر على السفيه الذي يُخشى منه إضاعة المال؛ والسفيه له أحوال: حال يحجر عليه لصغره، وحالة لعدم عقله بجنون أو غيره، وحالة لسوء نظره لنفسه في ماله، ويُخشى منه إتلاف ماله في غير وجه.

وقيل إن من إضاعة المال أن تدفع مالك مضاربة أو إلى وكيل لا يحسن التجارة، ويجهل فاســد البياعات وصحيحها وما يحل وما يحرم منها. أو تدفعه إلى الكفار؛ ولهذا كره العلماء أن يوكِّل المســلم ذميًا بالشــراء والبيع، أو يدفع إليه مضاربة، لما يخاف من معاملته بالربا وغيره.

كثرة الســؤال[1]: كثرة الســؤال هو الإكثار من السؤال عما لا يقع ولا تدعو إليه حاجة وكان السلف يكرهون ذلك ويرونه من التكلف المنهي عنه، وقد كره رسول الله ﷺ المســائل وعابها، وقيل المراد به سؤال الناس أموالهم وما في أيديهم، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك، وقيل يحتمل أن المراد كثرة ســؤال الإنســان عن حاله وتفاصيل أمــره فيدخل ذلك في ســؤاله عما لا يعنيه ويتضمن ذلــك حصول الحرج في حق المســؤول فإنه قد لا يؤثر إخباره بأحواله فإن أخبره شق عليه وإن كذبه في الأخبار أو تكلف التعريض لحقته المشقة وإن أهمل جوابه ارتكب سوء الأدب.

وقيل: كثرة السؤال هي البحث عن أمور مغيبة ورد الشرع بالإيمان بها مع ترك كيفيتها، ومنها ما لا يكون له شاهد في عالم الحس، كالسؤال عن وقت الساعة وعن الروح وعن مدة هذه الأمة، إلى أمثال ذلك مما لا يعرف إلا بالنقل الصرف. والكثير منه لم يثبت فيه شيء فيجب الإيمان به من غير بحث، وأشد من ذلك ما يوقع كثرة البحث عنه في الشك والحيرة.

---

(١) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي ١١/١٢، وفتح الباري للعسقلاني ٢٦٧/١٣.

يكره الله التثاؤب

قال رســول اللــه ﷺ: «**إن الله... يكـره التثـاؤب... وأما التثـاؤب فإنما هو من الشـيطان، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما اسـتطاع، فإن أحدكم إذا تثاءب ضَحِك منه الشـيطان**»[1]. وقـال ﷺ: «**إذا تثـاءب أحدكم في الصـلاة فليكظم ما اسـتطاع فإن الشيطان يدخل**»[2].

التثاؤب[3]: التثاؤب هو التنفس الذي يفتح عنه الفم، وهو إنما ينشأ من الامتلاء وثقل النفس وكدورة الحواس، ويورث الغفلة والكسـل وسـوء الفهم، ولذا كرهه الله وأحبه الشـيطان وضحك منه. وإضافة التثاؤب إلى الشيطان بمعنى إضافة الرضا والإرادة، أي؛ إن الشـيطان يحب أن يرى الإنسـان متثائبًا؛ لأنهـا حالة تتغير فيها صورته فيضحك منه. لا أن المراد أن الشيطان فعل التثاؤب... والشيطان يدعو إلى الشـهوات، إذ يكون عن ثقل البدن واسترخائه وامتلائه، والمراد التحذير من السبب الذي يتولد منه، وهو التوسع في المأكل وإكثار الأكل.

وأمـر بكظم التثاؤب ورده ووضع اليد على الفم لئلا يبلغ الشـيطان مراده من تشويه صورته ودخوله فمه وضحكه منه. وقوله (فليرده) أي؛ يأخذ في أسباب رده، وليـس المراد به أنـه يملك دفعه؛ لأن الذي وقع لا يرد حقيقـة. ويكون رده بتغطية الفـم بالكف إذا انفتح بالتثـاؤب أو إذا كان منطبقًا حفظًا له عن الانفتاح بسـبب ذلـك، ويمكن وضع الثـوب ونحوه مما يحصل ذلك المقصـود، وإنما تتعين اليد إذا لم يرتد التثاؤب بدونها. وقد شـبه التثاؤب الذي يسترسـل معه بعواء الكلب تنفيرًا عنه واستقباحًا له، فإن الكلب يرفع رأسه ويفتح فاه ويعوي، والمتثاءب إذا أفرط في التثاؤب شـابهه. ومن هنا تظهر النكتة في كونـه يضحك منه؛ لأنه صيره ملعبة له بتشويه خلقه في تلك الحالة.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: إذا تثاءب فليضع يده على فيه.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد، باب: تشميت العاطس وكراهة التثاؤب.

(٣) راجع: فتح الباري للعسـقلاني ٦١٢/١٠، وشـرح صحيح مسلم للنووي ١٢٢/١٨-١٢٣، وتحفة الأحوذي للمباركفوري ١٧/٨.

وينبغـــي كظم التثاؤب في كل حالة.. وإنما خـــص الصلاة؛ لأنها أولى الأحوال بدفعه لما فيه من الخروج عن اعتدال الهيئة واعوجاج الخلقة. ومما يؤمر به المتثائب إذا كان في الصلاة أن يمســـك عن القراءة حتى يذهب عنه لئلا يتغير نظم قراءته. وقولـــه «**فـإن الشـيطان يدخـل**» فيحتمل أن يراد به الدخـــول حقيقة، وهو وإن كان يجري من الإنسان مجرى الدم لكنه لا يتمكن منه ما دام ذاكرًا لله تعالى، والمتثائب فـــي تلك الحالة غير ذاكر فيتمكن الشـــيطان من الدخـــول فيه حقيقة. ويحتمل أن يكـــون أطلق الدخول وأراد التمكن منه؛ لأن من شـــأن من دخل في شـــيء أن يكون متمكنًا منه.




ما يحب الله
وما يبغض
من البلاد والأشياء

ما يحب الله من البلاد والأشياء

أحب الأرض إلى الله مكة[1]

قال رسـول الله ﷺ عن مكة: «**والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت**»[2].

مكة: هي مكة المكرمة، وأم القرى، وبكة، والبلد الأمين، والبلد الحرام، شـرَّف الله مكة بالكعبة وهي أول بيت وُضع للناس لعبادة الله وتوحيده؛ ومكة هي أمنية كل مسلم للقدوم إليها لحج بيت الله الحرام وأداء الركن الخامس للإسلام.

لقد شـهدت مكة أحداثًا عظيمة الخطب، جليلة القدر، من بناء الكعبة، وبعثة رسـول الله ﷺ، وظهور الإسلام، وهي تشهد يوميًا وأسبوعيًا وسنويًا تجمعًا بشريًا ليس له مثيل في العالم، وهو هذا التجمع للمسلمين في الصلوات الخمس والجمعة ورمضان والحج. ومكة على صغرها إلا أن ما يحدث بها يتأثر به المسـلم في جميع أرجـاء الأرض مهما كان بعيدًا عنها، بل إن ما سـوف يحـدث بها في آخر الزمان سيتأثر به العالم بأسره؛ وكيف لا يكون ذاك ومكة هي بلد الله الحرام، وخير أرض الله، وأحب الأرض إلى الله؟!.

قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْـمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُـبْ عَلَيْنَا إِنَّـكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾[3]. فقد أمر اللـه تعالى إبراهيم ببناء البيت، فقام إبراهيم ببنائه هو وابنه إسماعيل عليهما السلام، وهما يقولان: ﴿ **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا**

(١) راجـع: البداية والنهاية لابن كثير ١/١٦٣ وما بعدها، ٨/٢٢٤، ٣٢٩، ١١/١٦٠، ٢٢٣، والسـيرة النبوية لابن هشـام ١/٥٢ وما بعدها، ٢/٤٠٦ وما بعدها.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٣٠٨٢.

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ١٢٧-١٢٨.

إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، وجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان: ﴿**رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾.

وعهد الله إلى إبراهيم وابنه إسماعيل أن يطهرا بيته للطائفين والعاكفين والركع السجود، ودعا إبراهيم ربه أن يجعل البيت ومكة بلدًا آمنًا، وأن يرزق أهله من الثمرات؛ قال تعالى: ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾[1].

وأمر الله تعالى إبراهيم بأن يؤذِّن في الناس ليأتوا من كل فج عميق ليحجوا هذا البيت ويشهدوا منافع لهم؛ فقال تعالى: ﴿**وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ**﴾[2]. وهكذا عمرت مكة، ووُضع لعموم الناس أول بيت ومسجد لعبادة الله وتوحيده؛ قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾[3].

وصار الناس يفدون إلى مكة من كل مكان ليحجوا البيت وليطوفوا به، وليصلوا عنده لينالوا البركة والهدى والأجر العظيم الذي ليس له مثيل في أي مسجد آخر. فقد قال رسول الله ﷺ: «**صلاة في المسجد الحرام أفضل من مئة ألف صلاة فيما سواه**»[4]، أي؛ ثواب صلاة واحدة في المسجد الحرام يزيد على ثواب مئة ألف صلاة في غيره من المساجد، ويزيد على ثواب مئة صلاة في المسجد النبوي في المدينة.

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ١٢٥-١٢٦.

(٢) سورة الحج، الآيات: ٢٧-٢٩.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ٩٦-٩٧.

(٤) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ١١٥٥.

ومكـــة كرمها الله هي أحب البلاد إلى رســـول الله ﷺ، وما كان ﷺ ليســـكن غيرها لـــولا أن قومه أخرجوه منها، قال ﷺ عن مكة: **«ما أطيبك من بلد، وأحبك إليَّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك»**[1].

وقـــد حرم الله تعالى مكة منذ خلق الســـماوات والأرض؛ قال رســـول الله ﷺ يـــوم فتح مكة: **«إن هـــذا البلد حرمـــه الله يوم خلـــق الســـماوات والأرض، فهو حرام بحرمـــة اللـــه إلى يوم القيامة، وإنه لم يحلَّ القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحلَّ لي إلا ســـاعة مـــن نهار، فهو حرام بحرمـــة الله إلى يوم القيامة: لا يُعضَدُ شـــوكه، ولا يُنفَّرُ صيـــده، ولا يَلتقـــطُ لُقَطتَهُ إلا مـــن عرَّفها، ولا يُختلى خـــلاه»**[2]. ومع ذلك فإن هذا البلـــد الحرام قد حدثت فيه فتن كثيرة عظيمـــة، ووقع فيه قتل كثير، وأُصيب بيت الله الحرام الكعبة بأضرار كبيرة وتهدم وحرق. وســـيظل هذا البلد الحرام والبيت الحرام هدفًا لأعداء الله وأعداء دينه حتى آخر الزمان.

فقد جاء أبرهة الأشـــرم الحبشـــي لهدم الكعبة حجرًا حجرًا فهدمه الله أنملة أنملة من جســـمه، كلما ســـقطت أنملة تحول مكانها إلى دملة ترشـــح قيحًا ودمًا، والجزاء من جنس العمل، وذلك بعد أن أرســـل عليه الطير الأبابيل؛ قال الله تعالى: **﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾**[3].

وسيأتي جيش لغزو الكعبة فيغزَّهم الله في الأرض بأن يخسف بهم؛ قال رسول الله ﷺ: **«لَيَؤُمَّنَّ هذا البيت جيش يغزونه، حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأوسطهم وينادي أولهم آخرهم ثم يخسف بهم ، فلا يبقى إلا الشريد الذي يخبر عنهم»**[4].

ولكن عندما يقترب قيام الســـاعة التي ســـتقوم على شـــرار الناس الذين ليس فيهم من يقول الله الله، يأتي رجل من الحبشـــة فيهدم الكعبة كما أخبر رسول الله ﷺ: **«يُخرِّب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة»**[5].

---

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٣٠٨٢.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجزية والموادعة، باب: إثم الغادر للبرِّ والفاجر.

(٣) سورة الفيل.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب: هدم الكعبة.

أحب البلاد إلى الله المساجد

قال رسول الله ﷺ: «أحب البلاد إلى الله مساجدها»[1].

قال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾[2].

المساجد: المساجد هي البيوت التي تُبنى للصلاة وذكر الله وطاعته.. وهي أحب البلاد إلى الله؛ لأنها بيوت الطاعات وأساسها التقوى وهي محل نزول الرحمة؛ ولهذا كان أجر من يبني مسجدًا لله أن يبني الله له في الجنة مثله، قال النبي ﷺ: «من بنى مسجدًا لله بنى الله له في الجنة مثله»[3].

قال الله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾[4]. فينبغي احترام المساجد وتوقيرها وتطييبها وتبخيرها والدخول إليها بالرجل اليمنى والخروج منها بالرجل اليسرى مع الدعاء فالنبي ﷺ كان إذا دخل المسجد قال: «أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم»[5]، وقال ﷺ: «إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ ثم ليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، فإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك»[6]. وكذلك الصلاة ركعتين تحيتها كما قال عليه الصلاة والسلام: «إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين من قبل أن يجلس»[7].

وينبغي كذلك أن تصان وتنزه عن أمور كثيرة لا تليق أن تكون في بيوت الله تعالى وأحب بقاع الأرض إليه؛ ومن ذلك:

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح.

(٢) سورة الجن، الآية: ١٨.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل بناء المساجد والحث عليها.

(٤) سورة النور، الآية: ٣٦.

(٥) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤٤١.

(٦) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٤٤٠.

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب: إذا دخل المسجد فليركع ركعتين.

الدنس واللغو والأقوال والأفعال السيئة، والروائح الكريهة كالبصل والثوم وغير ذلك، والبيع والشـــراء وجميع الاشتغال، ورفع الصوت والصياح، وكثرة الكلام بأمور الدنيا، ورمي الأوساخ، والبصاق.

أحب الأشياء إلى الله قطرتين وأثرين

قال رســـول الله ﷺ: **«ليس شـيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين: قطرة من دموع في خشـية الله، وقطرة دم تهراق في سـبيل الله. وأما الأثران: فأثر في سـبيل الله، وأثر في فريضة من فرائض الله»**[1].

قطرة دموع من خشية الله: ليس شيء أحب إلى الله -عزَّ وجلَّ- من قطرة دموع تفيض من عين من شدة خوف الله وعظمته المورثة لمحبته، فهذه العين لا تمسها النار، قال رسول الله ﷺ: **«عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل اللــه»**[2]، أي؛ لا تمــس النار صاحب هذه العين الباكية من خشــية الله تعالى، وهي مرتبة المجاهدين مع النفس.

بل إن صاحب هذه العين الباكية من خوف الله يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله؛ إذ قال رسول الله ﷺ: **«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله:.. ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»**[3].

وقد مدح الله النبيين الذين أنعم الله عليهم بأنهم إذا سمعوا آيات الله سجدوا وبكوا؛ قال تعالــى: ﴿ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُــجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾[4]، وقد قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ســورة مريم فســجد وقال: هذا السجود فأين البكى؟ يريد

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٣٦٣.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٣٣٨.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب: من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ، وفضل المساجد.

(٤) سورة مريم، الآية: ٥٨.

البكاء. ومدح الله -عزَّ وجلَّ- الذين أوتوا العلم أنهم إذا تلي عليهم القرآن ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾[1].

قال رسول الله ﷺ: **«لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع»**[2].

قطرة دم في سبيل الله: وليس شيء أحب إلى الله -عزَّ وجلَّ- من قطرة دم في سبيل الله تعالى، وذلك يشمل الجهاد وغيره من سبيل الخير كالدفاع عن النفس أو العرض أو المال أو الدين ونحوه. كان رسول الله ﷺ في بعض المشاهد وقد دميت إصبعه فقال: **«هل أنتِ إلا إصبعٌ دَمِيت، وفي سبيل الله ما لَقيتِ»**[3]، وقال النبي ﷺ: **«والذي نفسي بيده، لا يُكْلم أحد في سبيل الله -والله أعلم بمن يكلم في سبيله- إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم، والريح ريح المسك»**[4].

أثر في سبيل الله: وليس شيء أحب إلى الله -عزَّ وجلَّ- من أثر في سبيل الله، كخطوة الساعي في فريضة من فرائض الله، أو غبار أو جراحة في الجهاد، أو سواد حبر في طلب العلم ونحو ذلك من الأعمال.

أثر في فريضة من فرائض الله: وليس شيء أحب إلى الله -عزَّ وجلَّ- من أثر في فريضة من فرائض الله؛ كالساعي المتعب نفسه في أداء الفرائض والقيام بها والكد فيها، أو احتراق الجبهة من حر الرمضاء التي يسجد عليها، أو تشقق الأقدام من برد ماء الوضوء، أو خلوف فمه في الصوم، أو اغبرار قدمه في الجمعة والحج ونحو ذلك؛ فعن عباية بن رفاعة قال: أدركني أبو عبس وأنا أذهب إلى الجمعة فقال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«من اغبرَّت قدماه في سبيل الله حرَّمه الله على النار»**[5]، والمراد في سبيل الله جميع طاعاته. وفي الحديث إشارة إلى عظيم قدر التصرف في سبيل الله، فإذا كان مجرد مس الغبار للقدم يحرم عليها النار فكيف بمن سعى وبذل جهده واستنفد وسعه؟.

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٠٩.

(٢) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٨٨١.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب: من يُنكب في سبيل الله.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب: من يُجرح في سبيل الله عزَّ وجلَّ.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب: المشي إلى الجمعة.

أحب الطعام إلى الله من عمل اليدين

قال رسول الله ﷺ: **«ما أكل أحد منكم طعامًا أحب إلى الله عزَّ وجلَّ من عمل يديه»**[1].

عمـل اليديـن[2]: إن أحب الطعام إلى الله تعالى ذلك الذي يأكله الإنســان من كسبه وعمل يديه، وقد حث الإسلام على العمل ونهى عن سؤال الناس، وقال النبي ﷺ: **«لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة الحطب على ظهره فيبْيعها فيكف الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»**[3]، ففيه الحض على التعفف عن المســألة والتنزه عنها ولو امتهن المرء نفســه في طلب الرزق وارتكب المشقة في ذلــك، إذ لا عيب في العمل من أجل الكســب، وفيه فضــل العمل باليد، وتقديم ما يباشره الشخص بنفسه على ما يباشره بغيره. وقد كان رسول الله ﷺ يعمل بنفسه ويــأكل من عمل يديه حتى أنه رعــى الغنم لأهل مكة، قال ﷺ: **«ما بعـث الله نبيًا إلا رعـى الغنـم»**، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: **«نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة»**[4].

وقــد كان جملة من الرســل والأنبياء يعملون ويأكلون مــن عمل أيديهم، فداود عليه السلام كان صاحــب صنعــة ويأكل من عمل يده؛ قال رســول الله ﷺ: **«مــا أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل مــن عمـل يـده»**[5]، والحكمة في تخصيص داود بالذكر في الحديث أن اقتصاره في أكله على ما يعمله بيده لم يكن من الحاجة؛ لأنه كان خليفة في الأرض كما قال الله

---

(١) مسند أحمد، رقم: ١٧١١٥، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٢) راجع: فتح الباري للعســقلاني ٣/٣٣٦، ٤/٣٠٤، ٣٠٦، ٦/٤٥٥، والجامــع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/٢١٢، وعون المعبود للعظيم آبادي ٩/٣٢٤، وسنن الترمذي، باب أن الوالد يأخذ من مال ولده.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب: الاستعفاف عن المسألة.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الإجارة، باب: رعي الغنم على قراريط.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب: كسب الرجل وعمله بيده.

تعالـــى، وإنما ابتغى الأكل من طريق الأفضل؛ ولهذا أورد النبي ﷺ قصته في مقام الاحتجاج بها على ما قدمه من أن خير الكسب عمل اليد، وفي الحديث أن التكسب لا يقــدح فـــي التوكل. والذي يظهر أن الذي كان يعمله داود بيده هو نســج الدروع، وألان الله له الحديد، فكان ينسج الدروع ويبيعها ولا يأكل إلا من ثمن ذلك مع كونه كان مـــن كبار الملوك، قال الله تعالى: ﴿وَشَـدَدْنَا مُلْكَهُ﴾[1]، ومع ذلك كان يتورع ولا يأكل إلا مما يعمل بيده، وقد قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾[2].

قـــال القرطبي: هذه الآية أصل في اتخاذ الصنائع والأســباب، وهو قول أهل العقــول والألباب، لا قول الجهلـــة الأغبياء القائلين بأن ذلك إنما شــرع للضعفاء، فالسبب سنة الله في خلقه فمن طعن في ذلك فقد طعن في الكتاب والسنة، ونسب من ذكرنا إلى الضعف والمنة.. فالصنعة يكف بها الإنســان نفسه عن الناس، ويدفع بها عن نفســه الضرر والباس. وقال ابن حجر: ومن شرطه ألا يعتقد أن الرزق من الكســب بل من الله تعالى بهذه الواســطة، ومن فضل العمل باليد الشــغل بالأمر المباح عن البطالة واللهو وكسر النفس بذلك والتعفف عن ذلة السؤال والحاجة إلى الغير.. وفوق ذلك من عمل اليد ما يكتســب من أموال الكفار بالجهاد وهو مكسب النبي ﷺ وأصحابه وهو أشرف المكاسب لما فيه من إعلاء كلمة الله تعالى وخذلان كلمة أعدائه والنفع الأخروي.

وهناك كســب آخر طيب وحلال من غير عمل اليدين المباشــر وهو كسب ولد الرجل وهو يعد من كســبه أيضًا؛ قال رسول الله ﷺ: «**إن من أطيب ما أكل الرجل من كسْبِه، وولده من كسبه**»[3]، أي؛ من جملته؛ لأنه حصل بواسطة تزوجه فيجوز له أن يأكل من كسب ولده. قال أبو عيسى الترمذي: والعمل على هذا عند بعض أهل العلم، من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم. قالوا: إن يد الوالد مبســوطة في مال ولده يأخذ ما شاء. وقال بعضهم: لا يأخذ من ماله إلا عند الحاجة إليه.

---

(١) سورة ص، الآية: ٢٠.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٨٠.

(٣) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٠١٣.

وقد صرح النبي ﷺ أن الولد من أطيب كسب الرجل وأباح الأكل من ماله فقال ﷺ: «**ولد الرجل من كسبه، من أطيب كسبه، فكلوا من أموالهم**»[1]؛ ولهذا لما أتى النبي ﷺ رجل وقال له: يا رسول الله، إن لي مالاً وولدًا، وإن والدي يحتاج مالي؟ قال له النبي ﷺ: «**أنت ومالك لوالدك؛ إن أولادكم من أطيب كسبكم، فكلوا من كسب أولادكم**»[2]، فهذا الرجل اشتكى للرسول ﷺ أن والده يجتاح ماله - كما في رواية - من الاجتياح وهو الاستئصال، فلم يعذره النبي ﷺ ولم يرخص له في ترك النفقة على والده وقال له: «**أنت ومالك لوالدك**»؛ على معنى أنه إذا احتاج إلى مالك أخذ منك قدر الحاجة كما يأخذ من مال نفسه، وإذا لم يكن لك مال وكان لك كسب لزمك أن تكتسب وتنفق عليه.

أحب الطعام إلى الله الذي يُجتمع عليه

قال رسول الله ﷺ: «**أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي**»[3].

أحب الطعام إلى الله[4]: أحب الطعام إلى الله هو الذي يجتمع عليه أهل البيت أو الأصحاب، ولا يفترقون فيأكل كل واحد من أهل البيت لوحده، فقد قال أصحاب النبي ﷺ: يا رسول الله، إنا نأكل ولا نشبع. قال: «**فلعلكم تفترقون؟**» قالوا: نعم! قال: «**فاجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله عليه، يُبارك لكم فيه**»[5]. لأن اجتماع الأنفاس وعظم الجمع أسباب نصبها الله - سبحانه وتعالى - مقتضية لفيض الرحمة وتنزلات غيث النعمة وهذا كالمحسوس عند الموقنين ولكن العبد بجهله يغلب عليه الشاهد على الغائب والحس على العقل.

فالاجتماع على الطعام وذكر اسم الله عليه يبارك فيه حتى أن طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الأربعة وهكذا.. كما قال المصطفى ﷺ:

---

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٠١٤.

(٢) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٠١٥.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٧١.

(٤) راجع: فتح الباري ٥٣٥/٩، وفيض القدير للمناوي ١٧٢/١.

(٥) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣١٩٩.

«طعام الرجل يكفي رجلين وطعام رجلين يكفي أربعة وطعام أربعة يكفي ثمانية»[1].

والمراد الحض على المكارم والتقنع بالكفاية، وليس المراد الحصر في مقدار الكفاية، وإنما المراد المواساة وأنه ينبغي للاثنين إدخال ثالث لطعامهما وإدخال رابع أيضًا بحسب مَن يحضر، والكفاية تنشأ عن بركة الاجتماع، وأن الجمع كلما كثر ازدادت البركة. والمواساة إذا حصلت حصلت معها البركة فتعم الحاضرين، ولا ينبغي للمرء أن يستحقر ما عنده فيمتنع من تقديمه، فإن القليل قد يحصل به الاكتفاء، بمعنى حصول سد الرمق وقيام البنية، لا حقيقة الشبع.



يرضى الله عن السواك

قال رسول الله ﷺ: **«السواك يُطَيِّب الفم ويُرضي الرَّب»**[2].

السِواك[3]: السواك هو العود الذي يُستخدم لتنظيف الفم والأسنان؛ يؤخذ من شجر الأراك وقد يؤخذ من أشجار أخرى إلا أن شجرة الأراك هي الأفضل، يتكون لبه من ألياف طولانية قاسية لا تتكسر بسرعة تحت الضغط، ومرنة تأخذ شكل الأسنان وتدخل بين فجواتها لتنظيفها. أما طبقته السطحية فهي غشاء فلِّيني يحفظ اللب ويحميه من التلوث. له رائحة خاصة وطعم حراق لوجود مادة به لها علاقة بالخردل، واستعماله مستحب في جميع الأوقات ولكن في خمسة أوقات أشد استحبابًا: عند الصلاة، والوضوء، وقراءة القرآن، والاستيقاظ من النوم، وتغير الفم وتغيره يكون بأشياء منها: ترك الأكل والشرب، أكل ما له رائحة كريهة، طول السكوت، كثرة الكلام. ويستحب أن يستاك بعود من أراك وبأي شيء استاك مما

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة، باب: فضيلة المواساة في الطعام القليل.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٦٩٦.

(٣) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي ٣/١٤٢-١٤٤، وفتح الباري للعسقلاني ١/٣٥٦، ٢/٣٧٧، وفيض القدير للمناوي ٤/١٤٧-١٤٨، وشرح سنن النسائي للسيوطي ١/١٩-٢٠، وفي الصلاة صحة ووقاية لفارس علوان ٥٣-٥٥.

يزيل التغير حصل السواك. والمستحب أن يستاك بعود متوسط لا شديد اليبس يجرح ولا رطب لا يزيل، وأن يقطع منه الجزء المستخدم ويشذب جزء جديد ويفضل أن يكون ذلك يوميًا.

والطريقة المثلى لتنظيف الأسنان بالسواك أو بغيره أن يستاك عرضًا بحركات متتابعة من الأعلى إلى الأسفل عند تنظيف أسنان الفك العلوي، ومن الأسفل إلى الأعلى للفك السفلي؛ فذلك يسهل جرف فضلات الطعام الموجودة بين فجوات الأسنان. ولا يستاك طولاً لئلا يدمي لثته؛ ولأن بنية الأسنان تتأثر وتتضرر بمرور الزمن إذا كانت حركة التنظيف أفقية. ويستحب أن يمر السواك أيضًا على طرف أسنانه وكراسي أضراسه وسقف حلقه إمرارًا لطيفًا. ويستحب أن يبدأ في سواكه بالجانب الأيمن من فمه.

لقد ألح رسول الله ﷺ على استعمال السواك وتنظيف الفم والأسنان لأسباب كثيرة لم نفقه معظمها بعد، وكان ﷺ حريصًا جدًا على التسوك في الأوقات والحالات المختلفة:

أ- **عند الوضوء:** قال ﷺ: **«لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء»**[1].

ب- **عند الصلاة:** قال ﷺ: **«لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة»**[2].

قال ابن دقيق العيد: السر في استحباب السواك عند القيام إلى الصلاة أنَّا مأمورون في كل حالة من أحوال التقرب إلى الله تعالى أن نكون في حالة كمال ونظافة إظهارًا لشرف العبادة.

ج- **عند التهجد:** عن حذيفة رضي الله عنه **«أن النبي ﷺ كان إذا قام للتهجد من الليل يشوص فاه بالسواك»**[3]؛ والشوص الغسل والتنظيف والدلك، وقيل الإمرار

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصيام، باب: سواك الرَّطب واليابس للصائم.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب: السواك يوم الجمعة.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب: طول القيام في صلاة الليل.

على الأســنان من أســفل إلى فوق. قال ابن دقيق العيد: فيه استحباب السواك عنــد القيــام من النوم؛ لأن النوم مقتض لتغير الفم لمــا يتصاعد إليه من أبخرة المعدة، والســواك آلة تنظيفه فيســتحب عند مقتضاه، قــال: وظاهر قوله «من الليل» عام في كل حالة، ويحتمل أن يخص بما إذا قام إلى الصلاة.

د- **عنــد الدخــول إلــى البيت:** عن عائشــة رضي الله عنهــا: «**أن النبــي ﷺ كان إذا دخل بيته بدأ بالســواك**»[1]؛ فيه بيان فضيلة الســواك في جميع الأوقات وشدة الاهتمــام به وتكراره. وقيل: الحكمة في ذلك أنــه ربما تغيرت رائحة الفم عند محادثة الناس، فإذا دخل البيت كان من حســن معاشــرة الأهل إزالة ذلك، وفي الحديث دلالة على استحباب السواك عند دخول المنزل.

هـ- **عند المرض:** عن عائشــة رضي الله عنها قالت: «**دخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه سواك يستن به، فنظر إليه رسول الله ﷺ، فقلت له: أعطني هذا السواك يا عبدالرحمن، فأعطانيه، فقصمته ثم مضغته، فأعطيته رســول الله ﷺ، فاســتن به وهو مســتند إلى صدري**»[2]؛ وفيه دلالة على تأكد أمر الســواك لكونه ﷺ لم يخل به مع ما هو فيه من شاغل المرض.

وقد رئي النبي ﷺ يســتاك في أوقات أخــرى مختلفة؛ فعن أبي بردة عن أبيه قال: «**أتيت النبي ﷺ فوجدته يستن بسواك بيده يقول «أع، أُع» والسواك في فيه كأنه يتهوع**»[3]. التهوع التقيؤ، أي؛ له صوت كصوت المتقيئ على ســبيل المبالغة. ويستفاد منه مشروعية السواك على اللسان طولاً، أما الأسنان فالأحب فيها أن تكون عرضًا، وفيه تأكيد السواك وأنه لا يختص بالأسنان، وأنه من باب التنظيف والتطيب لا من باب إزالة القاذورات، لكونه ﷺ لم يختف به.

وظــل النبي ﷺ يردد وصاياه بالســواك حتى خشــي أن يكون قــد أكثر على أصحابه فقال ﷺ: «**أكثرت عليكم في السواك**»[4]، أي؛ بالغت في تكرير طلبه منكم،

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب: السواك.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب: من تسوك بسواك غيره.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب: السواك.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب: السواك يوم الجمعة.

أو في إيراد الأخبار في الترغيب فيه. وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**عشر من الفطرة**» وعدَّ منها السواك[1]. وكل هذه التوصيات بسبب أن «**السواك مَطْهَرَة للفم مرضاة للرَّب**»[2]؛ يقول العلماء القدامى إن السواك آلة تنظف الفم الذي هو محل الذكر والمناجاة ومظنة لرضى الله أو سبب لرضاه؛ وذلك لأنه تعالى جميل يحب الجمال، نظيف يحب النظافة، والسواك ينظف الفم ويطيب رائحته لمناجاة الله.. وهو من السنة أو من توابع الدين ومكملاته ويحصل بكل ما يجلو الأسنان، ولا يُكره في وقت من الأوقات ولا في حال من الأحوال، ومن فوائده أنه يطهر الفم ويرضي الرب وينقي الأسنان ويطيب النكهة ويشد اللثة ويصفي الحلق عن البلاغم والأكدار ويقطع الرطوبة ويضاعف الأجر ويهضم الطعام ويسكن الصداع ويذهب وجع الضرس والبلغم والحفر ويصحح المعدة ويقويها.

ونظرًا للاهتمام الكبير الذي أولاه رسول الله ﷺ للسواك فقد أُجريت بحوث متعددة عليه فاكتشف أن للسواك فوائد كثيرة وميزات كثيرة تجعله يفضل الفرشاة والمعجون ويتفوق عليهما. فقد تبين أن السواك يحوي ما يلي:

١- موادًا قاتلة للعوامل المرضية: (أ) فقد أثبت الدكتور الباحث عبد الحميد القضاة أن السواك يقضي على خمسة أنواع على الأقل من الجراثيم التي توجد في الفم، وتكون سببًا في أمراضه. (ب) يقول العالم رودات مدير معهد علم الجراثيم في ألمانيا إن فيه مادة مضادة للجراثيم شبيهة بالبنسلين. (ج) أثبتت جامعة الملك سعود بالرياض أنه يحوي مادة السنجرين ذات التأثير المطهر الشديد الفعالية التي تقضي على الجراثيم.

٢- فيه مادة السيليس التي تجرف الفضلات وتزيل القلح وهو المادة الداكنة التي تترسب وتصبغ الأسنان، وتساعد على تلميع الأسنان وتبييضها بتأثيرها الآلي الحادّ.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب: خصال الفطرة.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٦٩٥.

٣- غني بحمض العفص الذي يمنع النزف ويشفي جروح اللثة ويطهر الفم.

٤- يحوي نسـبة عاليـة من مادة الكلوريد الذي يسـاعد على حـلِّ ملح الطرطير والتصبغـات الأخرى على الأسـنان وإزالتها. علمًا بأن ترسـبات الطرطير هي الأساس في تولد القلح.

٥- يتضمن مواد عطرية متعددة تشكل غلافًا أو طلاء فوق طبقة الميناء لتحميها من التشقق والتصدع، حيث يكون هذا التشقق كثغرة يبدأ فيها التنخر والتسوس.

٦- مواده العطرية الخاصة تطيب الفم وتجعل له رائحة زكية.

٧- فيـه كمية مناسـبة مـن فيتامين (ث) الذي لـه أثر كبير فـي مكافحة النزف عمومًا.

٨- الصموغ والنشـاء والأملاح التي تتضمنه تسـاعد على توزيع المواد الفعالة فيه وتكون لها بمثابة السواغ وهو المادة الوسيطة التي تحل أو تمزج بها المواد الدوائية الفعالة.

٩- يقول الدكتور كينيت كبوديل إن فيه مادة تمنع تنخر الأسنان.

١٠- يحتوي على ٢٢ مادة فعالة: منها أملاح الحديد والكلس.

١١- أن تأثيره المحصن للفم والمطهر للأسنان أطول من تأثير معجون الأسنان.

لقد عرف الغرب مؤخرًا أثر السواك النافع على الفم والأسنان فشرعوا بمزج مسحوقه مع معاجين الأسنان، وصنعوا منه معاجين للأسنان سموها باسمه. ويكفي السـواك تشـريفًا وتكريمًا أنه دخل فم رسـول الله ﷺ وأفواه آل بيته الطاهرين وصحابته الكرام والتابعين، وشرَّعه ﷺ لهذه الأمة.

ما يبغض الله من البلاد

أبغض البلاد إلى الله أسواقها

قال رسول الله ﷺ: «أبغض البلاد إلى الله أسواقها»[1].

قال ﷺ: «إياكم وهَيْشات الأسواق»[2].

الأسواق: الأسواق هي محل الغش والخداع والربا والكذب والحلف الكاذب وإخلاف الوعد وبيع المحرمات والمنكرات والتساهل في البيوع الفاسدة والصخب والضجيج والمنازعات والخصومات، والإعراض عن ذكر الله والانشغال عن الصلاة، والاختلاط والتبرج والسفور، والفحش والفجور والفتن.

وإذا كانت المساجد محل نزول الرحمة وهي أحب البلاد إلى الله تعالى فالأسواق ضدها وهي أبغض البلاد إليه سبحانه. وما يكون أبغض إلى الله فهو أحب إلى الشيطان؛ لذا فالأسواق من أحب البقاع إلى الشيطان وهي معركته وفيها ينصب رايته وبها يبيض ويفرِّخ ويدعو إلى كل ما فيه عصيان لله تعالى ومخالفة لأوامر الدين ونواهيه.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب: تسوية الصفوف وإقامتها.

العبد المحبوب والعبد المبغوض

إن لكل عمل ثمرات؛ والثمار من جنس الشجر؛ فمن كان عمله مما يحبه الله تعالى ويرضاه أحبه الله، ومن كان عمله مما يبغضه الله تعالى ويكرهه أبغضه الله.

وليس الشأن أن تحب الله، بل الشأن أن يحبك الله فتحصل على الخير والسعادة والفوز والنجاة والحب والقبول في الدنيا والآخرة. ويا بئس مصير من يبغضه الله تعالى؛ فهو خاسر مبغوض في الدنيا والآخرة.

إن مصير العبد المحبوب من الله وجزاؤه في الآخرة معروف، فالله -عزَّ وجلَّ- يدخله إحدى الدرجات المختلفة من الجنة، ويزيده من رضوانه بالنظر إلى وجهه تبارك وتعالى، وكذلك مصير العبد المبغوض من الله وعقابه في الآخرة معروف كذلك؛ إذ سيكون صاحب درك في النار، وعذاب من نوع خاص بحسب عمله. ولكن ما هو مصير المحبوب والمبغوض في الدنيا وما هي ثمرات حب الله أو بغضه للعبد؟

العبد المحبوب

إذا أحب الله عبدًا وضع له القبول في الأرض[1]: إن من يحرص على الإتيان بكل ما يحبه الله من الأقوال والأفعال ويداوم على ذلك حتى يحبه الله، فإن الله تعالى إذا أحبه دعا جبريل أن يحبه وكذلك أهل السماء أن يحبوه، ثم يوضع له القبول في الأرض، فقد قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدًا نادى جبريل إن الله قد أحب فلانًا فأحبَّه، فيُحبُّه جبريل، ثم ينادي جبريل في**

(١) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/١٤٧-١٤٨، وفتح الباري للعسقلاني ١٠/٤٦٢، ١٣/٤٦٢، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/١٠٧-١٠٨، وفيض القدير للمناوي ١/٢٤٧.

السماء: إن الله قد أحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في الأرض»[1].

فمن ثمرات حب الله للعبد القبول في الأرض وهو قبول القلوب له بالمحبة والميل إليه والرضا عنه واعتقادهم فيه الخير وإرادتهم دفع الشر عنه ما أمكن.. فلا تكاد تجد أحدًا إلا مائلاً إليه مقبلاً بكليته عليه؛ وإذا أحب الله عبدًا استنارت جهاته وأشرقت بنور الهداية ساحاته وظهرت عليه آثار الإقبال وصار له سيما من الجمال والجلال فنظر الخلق إليه بعين المودة والتكريم ﴿ **ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴾[2]. ويؤخذ من الحديث أن محبة قلوب الناس علامة محبة الله، ويؤيده قوله ﷺ: **«أنتم شهداء الله في الأرض»**[3].

وفي هذا الحديث تأنيس العباد وإدخال المسرة عليهم؛ لأن العبد إذا سمع عن مولاه أنه يحبه حصل على أعلى السرور عنده وتحقق بكل خير، وهذا إنما يتأتى لمن في طبعه فتوة ومروءة وحسن إنابة كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ** ﴾[4]، وأما من في نفسه رعونة وله شهوة غالبة فلا يرده إلا الزجر بالتعنيف والضرب.. ويؤخذ من هذا الحديث الحث على توفية أعمال البر على اختلاف أنواعها فرضها وسنتها، ويؤخذ منه أيضًا كثرة التحذير عن المعاصي والبدع؛ لأنها مظنة السخط.

قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا** ﴾[5]؛ إذ يعطي الله سبحانه المؤمن الألفة والملاحة والمحبة في صدور الصالحين والملائكة المقربين. فيجعل الله تعالى له في قلوب العباد مودة، لا يلقاه مؤمن إلا وقره، ولا مشرك ولا منافق إلا عظَّمه. وكان هرم بن حيان يقول: ما أقبل أحد بقلبه على الله تعالى إلا أقبل الله تعالى بقلوب أهل الإيمان إليه، حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب: كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢١.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب: ثناء الناس على الميت.

(٤) سورة غافر، الآية: ١٣.

(٥) سورة مريم، الآية: ٩٦.

قال ابن كثير: يخبر تعالى أنه يغرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات وهي الأعمال التي ترضي الله -عزَّ وجلَّ- لمتابعتها الشريعة المحمدية -يغرس لهم في قلوب عباده الصالحين محبة ومودة وهذا أمر لا بد منه ولا محيد عنه.. قال مجاهد: سيجعل لهم الرحمن ودًا قال محبة في الناس في الدنيا. وقال سعيد بن جبير: يحبهم ويحببهم يعني إلى خلقه المؤمنين. وقال العوفي عن ابن عباس: الود من المسلمين في الدنيا والرزق الحسن واللسان الصادق. وقال قتادة: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودًا أي والله في قلوب أهل الإيمان. وقال قتادة: وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول: ما من عبد يعمل خيرًا أو شرًّا إلا كساه الله -عزَّ وجلَّ- رداء عمله.

قال الحسن البصري: قال رجل والله لأعبدن الله عبادة أُذكر بها، فكان لا يُرى في حين صلاة إلا قائمًا يصلي وكان أول داخل إلى المسجد وآخر خارج فكان لا يعظم، فمكث بذلك سبعة أشهر وكان لا يمر على قوم إلا قالوا انظروا إلى هذا المرائي فأقبل على نفسه فقال: لا أراني أُذكر إلا بشر لأجعلن عملي كله لله -عزَّ وجلَّ- فلم يزد على أن قلب نيته ولم يزد على العمل الذي كان يعمله فكان يمر بعد بالقوم فيقولون رحم الله فلانًا الآن.

قال رسول الله ﷺ: **«إذا أحب الله عبدًا نادى جبرئيل: إني قد أحببت فلانًا فأحبه، فينادي في السماء، ثم تُنزلُ له المحبة في أهل الأرض، فذلك قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾»**[1]؛ وإذا كان العبد محبوبًا في الدنيا فهو كذلك في الآخرة؛ فإن الله تعالى لا يحب إلا مؤمنًا تقيًا، ولا يرضى إلا خالصًا نقيًا؛ جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه.

إذا أحب الله عبدًا حماه الدنيا[2]: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أحب الله عبدًا حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء»**[3]؛ وقال ﷺ: **«إن الله تعالى ليحمي**

(١) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٢٥٢٨.

(٢) راجع: فيض القدير للمناوي ٢٤٦/١، ٢/٢٦٠-٢٦١، وتحفة الأحوذي للمباركفوري ١٥٩/٦.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٦٥٩.

عبده المؤمن من الدنيا، وهو يحبه، كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه»[1].

إن الأطباء تحمي شرب الماء في بعض الأمراض؛ والله -عزَّ وجلَّ- إذا أحب عبدًا حماه، أي؛ حفظه من متاع الدنيا ومناصبها وحال بينه وبين ذلك بأن يبعده عنه ويعسر عليه حصوله فحال بينه وبين نعيمها وشهواتها ووقاه أن يتلوث بزهرتها لئلا يمرض قلبه بها وبمحبتها وممارستها ويألفها ويكره الآخرة كما يمنع الرجل مريضه من شرب الماء إذا كان يضره.. فهو جلَّ اسمه يذود من أحبه عنها حتى لا يتدنس بها وبقذارتها ولا يشرق بغصصها، كيف وهي للكبار مؤذية، وللعارفين شاغلة، وللمريدين حائلة، ولعامة المؤمنين قاطعة، والله تعالى لأوليائه ناصر ولهم منها حافظ وإن أرادوها.

وكذلك الأطباء تمنع المريض من تناول بعض الأطعمة إذا كانت تضره وتزيد من مرضه؛ والله سبحانه يحمي عبده المؤمن من الدنيا كما يحمي أهل المريض مريضهم من الطعام الذي يؤذيه خوفًا عليه من زيادة مرض بدنه بتناوله، والله تعالى إنما يحمي عبده لعاقبة محمودة وأحوال سديدة مسعودة. فما تقول في الطبيب الحاذق المحب إذا منع مريضه شربة ماء وسقاه شربة دواء كريه، أقصده إيذاء مريضه؟ بل هو نصح وإحسان لما علم أن في إعطاء مريضه ما يشتهيه من الطعام والشراب زيادة مرضه وربما هلاكه وموته. والغرض من التشبيه بيان كمال الاعتناء والشفقة والمحبة.

إذا أحب الله قومًا ابتلاهم[2]: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن صبر فله الصبر، ومن جزع فله الجزع»**[3].

إذا أحب الله قومًا ابتلاهم بأنواع البلاء حتى يمحصهم من الذنوب، ويفرغ قلوبهم من الشغل بالدنيا غيرة منه عليهم أن يقعوا فيما يضرهم في الآخرة،

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٨١٤.

(٢) راجع: فيض القدير للمناوي ١/٢٤٦.

(٣) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٧٠٦.

وجميع ما يبتليهم به من ضنك المعيشة وكدر الدنيا وتسليط أهلها ليشهد صدقهم معه وصبرهم في المجاهدة، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[1].

إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله إذا أحب أهل بيت أدخل عليهم الرفق»**[2].

إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق؛ لأنه تبارك وتعالى رفيق يحب الرفق في الأمر كله ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه. والرفق سبب كل خير، ومن يُحرَم الرفق يُحرَم الخير. ويُدخل عليهم الرفق ليثيبهم عليه ما لا يثيب على غيره، وليعطيهم عليه في الدنيا من الثناء الجميل ونيل المطالب وتسهيل المقاصد، وفي الآخرة من الثواب الجزيل ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه. وقد قال النبي ﷺ: **«إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزَعُ من شيء إلا شانه»**[3].

العبد المبغوض

إذا أبغض الله عبدًا وضع له البغضاء في الأرض:

إن من يرتكب ما حرم الله من الأقوال والأفعال ويداوم على ذلك حتى يبغضه الله، فإن الله تعالى إذا أبغضه دعا جبريل أن يبغضه وكذلك أهل السماء أن يبغضوه، ثم توضع له البغضاء في الأرض، فقد قال رسول الله ﷺ: **«إن الله... إذا أبغض عبدًا دعا جبريل فيقول: إني أُبغض فلانًا فأبغضه، فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض»**[4].

---

(١) سورة محمد، الآية: ٣١.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ١٧٠٤.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب: إذا أحب الله عبدًا وضع له القبول في الأرض.

ومن ثمرات بغض الله تعالى لعبده شــقاوته وعقابه، والرفض في الأرض وهو رفــض القلوب له بالبغض والكره وعدم الميل إليه وعدم الرضا عنه واعتقادهم فيه الشــر وعدم إرادتهم الخير له، فلا تكاد تجد أحدًا مائلاً إليه أو مقبلاً عليه. وإذا أبغض الله عبدًا أظلمت جهاته وانطمســت بظلام الضلالة ســاحاته وظهرت عليه آثار الإعراض وصار له ســيما من القباحة والحقارة فنظر الخلق إليه بعين البغض والاحتقار.

تراه فاحشًــا متفحشًــا نُزع منه الحياء من الله تعالى ومن الناس، وإذا نُزع منه الحيــاء لم تلقــه إلا مقيتًا ممقتًا مبغوضًا بين الناس كثيــرًا مغضوبًا عليه عندهم، فــإذا لم تلقه إلا مقيتًا ممقتًا نُزعت منه الأمانــة وأُودعت فيه الخيانة، فإذا نُزعت منه الأمانة لم تلقه إلا خائنًا مخوَّنًا فيما جُعل أمينًا عليه منســوبًا إلى الخيانة بين النــاس محكومًا له بها عندهم نُزعت منه الرحمة ورقة القلب والعطف على الخلق، فإذا نُزعت منه الرحمة لم تلقه إلا رجيمًا ملعَّنًا مطرودًا عن منازل الأخيار ودرجات الأبرار ويلعنه الناس كثيرًا نُزعت منه ربقة الإسلام[1].

قــال أحدهم: ما عصيت الله أو أغضبته في شــيء إلا وجــدت ذلك في خُلُق زوجتــي وخُلُق حماري. فلا زوجة تطيعه ولا حمار ينقاد له؛ وهكذا بقية أمور العبد المبغوض الذي يرتكب كل ما يبغضه الله تعالى أو يكرهه من الأقوال والأفعال.

وبما أن البغض ضد الحب فيقال في المبغوض من الله تعالى عكس كل ما قيل عن العبد المحبوب من الله تعالى.

(١) انظر: فيض القدير للمناوي ٢/٢٠٤.

الخاتمـة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. لا يسعني في هذه الخاتمة إلا أن أحمد اللــه تعالى علــى إعانته لي على تأليف هذا الكتاب وخروجه إلى الوجود بعد أن لم يكن على البال.

وأســألـه جل شأنه هو الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم الأحد الصمد الذي لــم يلد ولم يولد ولم يكن لــه كفوًا أحد الرحمن الرحيــم أن يرحمنا برحمته، وأن يجعلنــا من الذين يحبهم، وأن يوفقنا إلى مــا يحبه ويرضاه من القول والعمل حتى يحبنا، وأن يحببنا إلى من يحبهم ويحببهم إلينا، وألا يجعلنا من الذين يبغضهم، وأن يوفقنــا على تجنب ما يبغضه من القول والعمــل حتى يرضى عنا، وأن يُبغِّض إلينا فيه كل مَن يبغضه.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

عدنان الطرشة

www.adnantarsha.com



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

من يحب الله ومن يبغض من الناس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

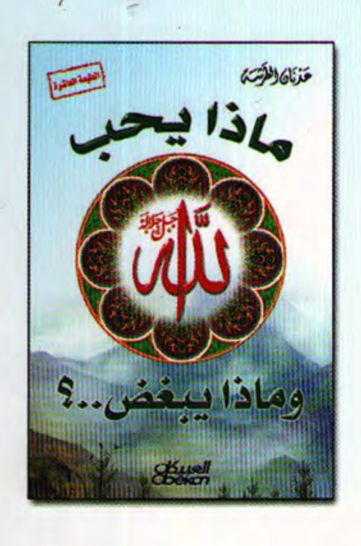
الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

العبد المحبوب والعبد المبغوض





حب الله عز وجل أعظم آمال المؤمن، وأهم غاية يسعى لتحقيقها، ويسعد بنوالها.

فليس هناك أفضل من حب الله جل وعلا للمؤمن؛ لأنه مفتاح كل خير، وطريق لسعادة الدارين.

وحتى يصل المؤمن إلى هذه المنزلة الرفيعة ونيل حب الله عز وجل، عليه أن يعرف معرفة جيدة ماذا يحب الله جل وعلا ليسارع إلى فعله، وماذا يبغض ليحذر الوقوع فيه، وطريق الوصول إلى هذه المعرفة التامة هو:

هذا الكتاب الذي جمع فيه مؤلِّفُه قدر وسعه من بطون الكتب وأمهات المراجع كل ما يحبه الله عز وجل وما يبغضه، بطريقة لم يسبق إليها؛ ولذا جاء الكتاب فريدًا في بابه ومرجعًا مهمًا لرواد البحث والمعرفة.

ومكتبة العبيكان يسرها نشر هذا الكتاب الذي تأمل أن يعم نفعه جميع المسلمين.

والله ولي التوفيق ،،،

موضوع الكتاب: ١- الوعظ والإرشاد
٢- المعاصي والذنوب




ISBN:978-603-503-472-2
9 786035 034722